

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية




وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وهران
معهد العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية
قسم التاريخ و علم الآثار

المكتبات الجزائرية في القطاع الوهراني خلال الفترة 1830م – 1954 م

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي و التربوي

إعداد الطالب :

* صديقي بلحاج

تحت إشراف :

* أ.د.بوشيخي شيخ

أعضاء لجنة المناقشة :

- أ. د. صحبي محمد :	جامعة وهران	رئيسا ????
- أ. د. بوشيخي شيخ :	جامعة وهران	مشرفا ومقررا
- د. غازي الشمري :	جامعة وهران	مناقشا
- أ.د رابح لونيسي:	جامعة وهران	مناقشا

السنة الجامعية : 2011-2012

إهـــــــــــــــــداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما .

إلى من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلهما .

إلى روح والدي صديقي علال رحمه الله .

إلى والدتي العزيزة حفظها الله .

إلى إخواني : عبد الواحد ،عبد الخالق ، مصطفى ، صلاح الدين.

إلى أخواتي: مريمة ،أسماء ، الزهراء ، هجيرة .

إلى زوجتي حفظها الله .

إلى أبنائي : الغفاري و عتيق حفظهما الله .

إلى أبناء إخواني و أخواتي .

إلى كل التلاميذ الذين درستهم منذ سنة 1980 و إلى الآن .

إلى كل المعلمين و الأساتذة الذين كونوني و رافقوني خلال مساري التعليمي من الابتدائي إلى التعليم العالي .

و أخيرا إلى كل عمال التربية و التعليم عبر كامل التراب الوطني .

شكـــــــــــــــــــــر

نتوجه بجزيل الشكر و العرفان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل ، و في تذليل ما واجهناه من صعوبات ، و نخص بالذكر الأستاذ الدكتور المشرف المحترم بوشيخي شيخ الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته و نصائحه القيمة

و تشجيعاته المليئة بالأمل مما دفعنا نحو إتمام هذا البحث المتواضع .

ولا يفوتنا توجيه الشكر إلى الأساتذة الذين سهروا على تكويننا مدة سنتين و هم : الدكتور غازي الشمري ، الأستاذ الدكتورخليفي عبد القادر ، الأستاذ الدكتور مهديد إبراهيم ، الأستاذة الدكتورة مقرنطة بختة .

الشكر الجزبل لعمال المكتبات العمومية بتلمسان معسكر و عين تموشنت و مكتبة دار الثقافة بعين تموشنت .

الشكر الجزيل لطلبة دفعة تاريخ الجزائر الثقافي و التربوي و هم السادة : مدني حسين ، صادق بلحاج ،بن داود أحمد ، مخلوفي جمال .

و أخيرا شكري الجزيل إلى القائمين على مطبعة بشير بويجرة بسيدي بلعباس على طباعة هذه المذكرة .

المقدمـــــــــة

إن المتتبع لتاريخ الجزائر الثقافي المتعلق خاصة بمراكزه و مؤسساته التربوية و التعليمية من مساجد وزوايا و كتاتيب ومدارس تظهر أمامه مكانة المخطوطات و الكتب و المكتبات في نفوس أهلها و مدى اعتزازهم بها إلى درجة التقديس قبل و خلال فترة الاستعمار (1830م-1954م) و في نفس الوقت تظهر أمامه سياسة الإدارة الاستعمارية الفرنسية للنيل من هذا التراث الفكري ، وهذا مما زاد من إصرار الجزائريين على التمسك به و المحافظة عليه و بكل الوسائل .

لقد ظهرت بالجزائر بوادر التدوين و التأليف و جمع الكتب منذ القديم ،فكان الاهتمام بشراء الكتب و نسخها و جمعها في الخزانات و المكتبات ، و ينطبق هذا مثلا على تلمسان عاصمة الدولة الزيانية التي اشتهرت مساجدها وزواياها بمكتبات احتوت على مجموعات هامة من المخطوطات مثلها مثل مكتبات مساجد و زوايا كل من مازونة ، معسكر ، وهران ، قسنطينة و ذلك ابتدءا من القرن العاشر الهجري (16م) ، ولم يقتصر أمر تخزين الكتب و العناية بالمكتبات على مدن الشمال بل حتى بالمناطق الجنوبية مثل منطقة قرارة و توات منذ القرن السابع الهجري (13م)و استمرت مكتبات زواياها و مساجدها في العطاء و إلى الآن .

لقد استمرت هذه الخزانات و المكتبات بفضل حرص العلماء الجزائريين و محافظتهم عليها خلال فترة الحكم العثماني (1518م-1830م) .

بعد (1830م) انتهجت الإدارة الفرنسية الاستعمارية ، سياسة أدت إلى تدهور الحياة الاقتصادية ، الاجتماعية والثقافية للجزائريين .

عملت الإدارة الفرنسية الاستعمارية و خلال أكثر من قرن و ثلاثين سنة للقضاء على مقومات الشخصية الوطنية فحلت اللغة الفرنسية محل اللغة العربية و حوصر الدين الإسلامي في أضيق نطاق و حولت المراكز التربوية و التعليمية من مساجد و زوايا ، إلى كنائس و ثكنات و إسطبلات و تعرضت خزانات الكتب و المخطوطات إلى النهب و الإتلاف مثل ما وقع لخزانة الباي بقسنيطنة و خزانة محمد الكبير بوهران و خزانة الأمير عبد القادر التي أتلفت خلال الهجوم على الزمالة سنة (1844م) و خزائن مساجد الجزائر العاصمة و غيرها .

بعد الاحتلال مباشرة وضع الفرنسيون أيديهم على المساجد و الزوايا و الكتاتيب القرآنية و مكتباتها وكذا الخزانات العائلية خاصة في العواصم الجزائرية العلمية و الثقافية و منها عواصم القطاع الوهراني (تيهرت ، تلمسان،مازونة، معسكر،وهران،مستغانم...) و صادروا ما فيها ،فاختفت العديد من المخطوطات و الكتب .

لقد قام عدد من المستشرفين الفرنسيين و الضباط المثقفين و هواة جمع المخطوطات ، الاتصال بالمساجد و الزوايا و بعض العائلات ، فجمعوا ما تحتوي عليه خزانات تلك المراكز من مخطوطات حيث لم تكن فيها من الكتب المطبوعة طباعة حجرية إلا النادر .هؤلاء المستشرقين لم يكتفوا بجمع المخطوطات فحسب بل كتبوا حولها دراسات و مقالات و أعدوا لبعضها فهارس و قوائم ، و هذا الأمر لم يكن مألوفا في المراكز العلمية عندنا ، و رغم ذلك لم يكن الجزائري بمعزل عن هذه الحركة العلمية الاستشراقية مع بداية القرن (20م) خاصة الذين يكتبون باللغة الفرنسية مثل ما أنجزه الأستاذ ابن أبي شنب حيث قام بفهرسة مخطوطات أكبر مساجد العاصمة و كانت فهرسة علمية .

إن تلك الحركة العلمية الاستشراقية تعد رائدة بالنسبة للمكتبات الجزائرية ، و لذلك فان الإشارة إليها من أوكد الأمور ، لأنها كما سنرى النواة الأولى لظهور دراسات علمية حول المخطوطات و الكتب: جمعا ، توصيفا ، دراسة ،فهرسة و انشاءا لمكتبات عصرية علمية تدخل في إطار ما يسمى بعلم المكتبات ، أي تكوين إطارات متخصصة ، مما ينظم ويشجع المطالعة العمومية.

- يعود اختياري لموضوع المكتبات بالقطاع الوهراني خلال الفترة (1830م-1954م) إلى عدة أسباب :

  * فمن الناحية الزمنية هي فترة طويلة أي حوالي قرن و أربعة و عشرين سنة تميزت بما يلي:
- إن هذه الفترة تبدأ مع دخول الاستعمار الاستيطاني الفرنسي اعتمادا على القوة و العنف و استمر ذلك إلى غاية نهاية فترة المقاومات الشعبية (1904م).
- هي فترة شهدت المقاومات الشعبية و في مختلف جهات الجزائر و التي امتدت من (1832م) و إلى غاية نهاية القرن(19م)، علما أنها مقاومات انطلقت من المساجد و الزوايا بزعامة شيوخ الطرق الصوفية مثل القادرية و الرحمانية و الشيخية مما يدل على أن المقاومة كانت بالدرجة الأولى مقاومة ضد تمسيح و تنصير المجتمع الجزائري و المحافظة على مقومات شخصيته من دين لغة وفكر و تراث ثقافي.

- عموما هي فترة وصل فيها الاستعمار إلى أقصى تطوره من حيث أساليبه و وسائله لتكريس و ترسيخ وجوده في الجزائر و إلى غاية (1962م) ، و بالتالي فهي فترة زمنية طويلة جدا و لذلك كان تركيزنا أو لا، على تتبع حالة المخطوطات و الكتب و المكتبات الجزائرية عموما و بالقطاع الوهراني خصوصا سواء بالمساجد أو الزوايا أو المدارس قبل و أثناء الاحتلال، ثانيا تتبع سياسة فرنسا اتجاه التراث الفكري الجزائري المخزن بمكتبات المساجد و الزوايا و المدارس قبل و بعد إنشاء المكتبة (الوطنية) الجزائرية من قبل فرنسا سنة (1835م)، و كيف تم سلب و نهب المخطوطات و كتب مكتبات المساجد و الزوايا بالقطاع الوهراني ، لتكوين مكتبة فرنسية و ما صاحب ذلك من اهتمام المستشرقين الفرنسيين بأنفس محتوياتها و ثالثا هجرة عدد من علماء الغرب الجزائري حيث نقلوا أهم كتبهم معهم نحو الدول التي هاجروا إليها مثل الشام،مصر،تونس،المغرب،تركيا وغيرها ،خوفا من بطش المستعمر.

- هي فترة زمنية مكنتنا من الكشف عن مدى مساهمة الجزائريين في الثقافة العربية و الإسلامية و الإنسانية ، خاصة و أن الاستعمار الفرنسي عمل و لا زال يعمل من أجل ترويج فكرة :"أن لم يكن للجزائريين ماض علمي و فكري و ثقافي و لا مرجعية و لا هوية قبل (1830م)"،ثم أنهينا بحثنا بسنة(1954م) أي اندلاع ثورة التحرير الكبرى التي كانت نتيجة حتمية لما وقع قبلها .

*أما من الناحية الجغرافية فقد اقتصر البحث على القطاع الوهراني لتكون المعطيات واقعية و أقرب إلى الموضوعية و لنتخذها كنموذج نقيس عليه بقية جهات الوطن ، و لتكون هذه الجهة الواسعة من الوطن مكانا نستقي منه المعرفة حول الحياة العلمية و الثقافية بصفة عامة و أهمية مكتبات مساجده و زواياه بصفة خاصة .

- إن القطاع الوهراني يشكل عمالة الغرب الجزائري إلى جانب عمالة الجزائر و عمالة قسنطينة و منطقة الجنوب .

إن هذه المنطقة الغربية تميزت بعدد علمائها و مراكزها التربوية و مكتبات مساجدها و زواياها وأهميتها الدينية و العلمية الناتجة عن تأثرها بما خلفه الأسلاف من علوم و تراث أدبي و ديني و لغوي و فكري ، و عموما فالتاريخ الثقافي في القطاع الوهراني يشيد في النهاية بدور العواصم العلمية مثل تلمسان و مازونة و معسكر و تيهرت و بطيوة و غيرها ، و طبعا دون أن نغفل عن ذلك التواصل و الاتصال الثقافي في المجتمع الجزائري مما أعطانا مناخا علميا و ثقافيا جزائريا واحدا كان يتطور عبر مراحل التاريخ دون المساس بالثوابت .

*خلال دراستنا في مرحلة ما بعد التدرج لاحظنا حاجة البحث العلمي إلى البحوث الميدانية ، خاصة و أن البحوث التي خصصت للقطاع الوهراني اقتصرت على الجانب السياسي و العسكري و لم تشر إلى الجانب الثقافي إلا نادرا .

لقد لاحظنا من خلال تطرقنا لمخطوطات و كتب مكتبات مساجد وزوايا المنطقة، الدور الهام الذي لعبته هذه المراكز التربوية و الدينية و العلمية في المحافظة على التراث الفكري الجزائري خاصة و العربي الإسلامي عامة فأثرت في مجتمع الغرب الجزائري ثقافيا و سياسيا و اجتماعيا كما أن المتخرجين من هذه المراكز والذين تكونوا بواسطة كتب خزاناتها، لم يتأخروا في تلبية نداء المقاومة سواءا أيام المقاومة الشعبية أو أيام نشاط الحركة الوطنية مع بداية القرن (20م).

*لابد من الإشارة إلى أننا لم نتمكن من إحصاء وجرد لكل مكتبات و خزانات مساجد و زوايا و مدارس القطاع الوهراني لأنه أمر غير ممكن في الوقت الراهن ، فهي كثيرة العدد حيث كان لا يخلو مسجد أو جامع أو زاوية ليس فقط في المدن و إنما كذلك في الأرياف بل حتى في المداشر، من خزانات للمخطوطات و الكتب، بالإضافة إلى ما وقع لتلك المكتبات من إتلاف خلال الحروب التي عرفتها المنطقة أيام الزيانيين أو في العهد العثماني أو خلال فترة الاستعمار الفرنسي ، ثم ما حمله العلماء معهم من خزانات نحو البلدان التي هاجروا إليها نتيجة تعرضهم للاضطهاد و المطاردة ، مع ما وقع لكثير من الخزانات في الغرب الجزائري من نهب و سرقة و نقل إلى مكتبات أوربا خاصة نحو فرنسا و اسبانيا و ألمانيا و غيرها .

*لقد ركزنا في بحثنا على بعض مكتبات مساجد و زوايا تلمسان و مازونة بالإضافة إلى مكتبة الشيخ المهدي البوعبدلي من خلال مراسلاته مع الدكتور أبو القاسم سعد الله، ثم توقفنا عند مكتبة الأمير عبد القادر و لم نغفل الأهمية السياسية و الاجتماعية لتلك المراكز التربوية و التعليمية .

*استقينا بعض مواد البحث خاصة الأساسية من مصادرها كي نتجنب الأحكام السطحية عملا بالقول المأثور :"إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها" ، لقد أثرينا البحث بجداول تبين اسم المكتبة و عدد الكتب و المخطوطات و مواضيعها.

* أمام موضوع بهذه الأهمية تطرح الإشكالية الآتية:
- بما تميز واقع الكتب و المكتبات الجزائرية عموما قبل (1830م)؟
- ما هو الدور الذي لعبته المراكز التربوية و التعليمية (مساجد ، زوايا) في المحافظة على المخطوطات و الكتب الدينية و العلمية قبل و بعد (1830م)؟

- ما هي السياسة التي انتهجتها الإدارة الفرنسية اتجاه كل ما هو تراث فكري جزائري في القطاع الوهراني ؟

- كيف كان مصير المكتبات العربية الإسلامية أثناء الاحتلال الفرنسي؟

- كيف كانت المكتبات في الجزائر من خلال واقع المطالعة العمومية العصرية في الفترة ما بين (1900م-1954م)؟

-هل تمكنت فرنسا من خلق قطيعة بين الجزائريين و تراثهم الفكري من كتب و مخطوطات ؟

*من أجل إعطاء دراسة تفي بالإجابة على تلك التساؤلات المبينة في الإشكالية المطروحة ،قمنا بتقسيم البحث إلى مدخل ثم فصل تمهيدي و فصلين أول وثاني وأخيرا خاتمة.

- ففي المدخل عرفنا بالمنطقة من حيث جغرافيتها و بيئتها الثقافية و الاجتماعية مع رصد لبعض مكتباتها قبل (1830م).

- و في الفصل التمهيدي تطرقنا للمراكز التربوية و التعليمية و أهميتها في المحافظة على التراث الفكري الجزائري قبل (1830م)،خاصة أواخر العهدين الزياني و العثماني.

-أما في الفصل الأول فتعرضنا إلى مكتبات و مخطوطات القطاع الوهراني ، و موقف الاستعمار منها و اهتمام المستشرقين الفرنسيين بكل ما هو تراث فكري بالمنطقة ،و ذلك خلال القرن (19م).

- أما الفصل الثاني و الأخير فخصصناه لسياسة فرنسا المتعلقة بتأسيس مكتبات في الجهة الغربية من الوطن و حالة المطالعة العمومية في الجزائر عموما و في القطاع الوهراني خصوصا ، مع إبراز لدور الحركة الإصلاحية الجزائرية في طبع و نشر التراث الفكري الجزائري المخزن في مكتبات المساجد و الزوايا في النصف الأول من الفرن 20 م .

*أثناء قيامنا ببناء خطة البحث اعتمدنا على جملة من المصادر و المراجع المتنوعة منها :

- بعض المصادر لأبناء المنطقة على غرار "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" لمحمد بن أحمد أبي راس الناصر و هو كتاب جاء بمناسبة فتح وهران على يد الباي محمد الكبير سنة 1206هـ (1792م) ،و كذا كتاب : "تعريف الخلف برجال السلف" للحفناوي أبو القاسم ،و كتاب: "تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر" للأمير محمد ابن عبد القادر .

- دراسات متخصصة وردت في مجلات فرنسية و جزائرية ،عبارة عن تقارير و مقالات تبين سياسة فرنسا فيما يتعلق بالمكتبات في الجزائر مثل مقالات محمد ابن أبي شنب أو لويس أدريان بيربروجر(Adrien berbrugger).

- بعض الصحف بالعربية و بالفرنسية مثل مجلة الأصالة ، الشهاب ثم الثقافة و كذا صوت الأهالي (la voix indigéne)، صباح وهران (oran matin)، المجلة الإفريقية (Revue Africaine) .
- بعض المراجع التي تناولت بالدراسة الواسعة تاريخ الجزائر الثقافي خاصة موسوعة سعد الله أبو القاسم.
- مجموعة من الرسائل الجامعية الأكاديمية و خاصة موضوع رسالة الدكتوراه باللغة الفرنسية :
- (manuscrits et bibliothèques musulmanes en Algérie : (1830-1962) للدكتور عراب عبد الحميد .

*لقد اتبعنا في صياغة هذا البحث أسلوب التحليل المبسط و عرض الأحداث التاريخية مع الجمع بين عدة مناهج :

- المنهج التاريخي حيث كان التحليل قائما على عرض الأحداث التاريخية وفق تسلسلها الكرونولوجي و الموضوعي حتى نقف على أسبابها وفهم عواملها التي أثرث فيها و بالتالي الخروج بنتائج تمكننا من إلقاء الضوء على ما ميز الغرب الجزائري من حيث مكتباته و علمائه و مراكزه التربوية و التعليمية .
- المنهج الإحصائي من خلال الاستفادة من جداول و قوائم كتب أهم مكتبات الغرب الجزائري و ما تحتويه من مؤلفات قبل و بعد (1830م).و مدى مساهمة تلك المراكز التربوية من مساجد و زوايا ومدارس في المحافظة على التراث الفكري الجزائري .

*عند انجازنا لهذا البحث واجهتنا صعوبات منها غياب عدد من المصادر و الوثائق و المخطوطات التاريخية نتيجة التخريب و التدمير و الحرق و السطو و الإتلاف الذي طال مكتبات المساجد و الزوايا و بالتالي ضاعت منا فرصة الاستفادة مما كان بعض العلماء و الشيوخ يدونونه ،مثل الجرد اليومي للكتب و الطلبة و تسجيل كل ماله علاقة بالمكتبات من مخطوطات وكتب و وثائق .
و حتى و لو توفرت بعض الوثائق فلم نستفد منها نتيجة رفض العائلات التي تحتفظ بها بدعوى أنها ملك عائلي و للتبرك بها .

و في ظل هذا الغياب الفاضح، تم التركيز على ما قام به المستشرقون الأجانب ، خاصة الفرنسيين، من فهرسة لعدد من مخطوطات مكتبات المساجد و الزوايا، حيث أنهم حشروا أنفسهم منذ بداية الاحتلال في كل ما هو تراث فكري و تاريخ ثقافي جزائري، مع كثير من التشويه لذلك التراث، مما جعل المعطيات الثقافية أحادية الطرف ،مع ما يواجه ذلك من صعوبة الترجمة من الفرنسية إلى

العربية و التي تعد أحد أكبر معوقات البحث التاريخي ،حيث صعوبة الحصول على المعنى الحقيقي الذي يخدم البحث ولا يبعدنا عن الأمانة العلمية لأصحابها في كتاباتهم الأصلية ، فحاولنا إقامة

مقارنة المصادر و المراجع التاريخية الجزائرية بالمصادر و المراجع التاريخية الفرنسية ووضع ذلك في سياقه التاريخي بشكل موضوعي بعيدا عن نزعتنا الذاتية .

*إن موضوع المكتبات الجزائرية بالقطاع الوهراني مابين (1830م-1954م) ، كان و بكل تأكيد مليئ بالثغرات العلمية و التي نأمل أن تجد أقلاما أهم منا تغوص في خبايا و أسرار تراثنا الفكري و التربوي الغني و ذلك لتصحيح ما بدر منا من نقائص و سهو سواءا من حيث الشكل أو المضمون أو حتى من حيث المنهجية ،و لنا آمال غير محدودة في أن موضوع بحثنا ستتناوله أجيال قادمة من الباحثين و بعمق و بجدية أكثر مما قمنا به.

المدخل

1- البيئة الثقافية بالغرب الجزائري قبل (1830م)

لقد عرف الغرب الجزائري ازدهارا ثقافيا واسعا قبل مجيئ العثمانيين أي في العهد الزياني (1236م-1557م)[1]، و كانت تلمسان هي العاصمة الثقافية التي ساهمت في خلق بيئة ثقافية و علمية سطع نجمها في سماء الحضارة العربية الإسلامية[2] ،حيث كان هناك اهتمام بالفن و الأدب و العلوم و العمران الذي لازالت آثاره باقية لحد الآن ، لكن بدأ نجم تلمسان يضمحل لأسباب عديدة أهمها صراعها المرير مع المرينيين غربا و الحفصيين شرقا ، ثم الصراع بين الأمراء الزيانيين على السلطة و الولاء بين القبائل و أخيرا الهجومات الإسبانية عليها .

بعد الزيانيين ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية (1518م-1830) فقسمت إداريا إلى أربع ولايات هي :

* دار السلطان و عاصمتها مدينة الجزائر *بايلك التيطري و عاصمته مدينة المدية

* بايلك الشرق و عاصمته مدينة قسنطينة *بايلك الغرب و كانت عاصمته في البداية مدينة مازونة ثم انتقلت إلى معسكر ثم أخيرا إلى مدينة وهران.

لقد عرفت الجهة الغربية في العهد العثماني الأخير ازدهارا ثقافيا خاصة في مازونة ، معسكر ، وهران و تلمسان ، وخاصة في عهد الباي محمد الكبير [3] الذي كانت له أيادي بيضاء في تشجيع الثقافة و بعثها من جديد ، فأنشأ المدارس و أقام المساجد التي لعبت في عهده الدور الرئيسي في التعليم و التدريس و خاصة المدرسة المحمدية بمعسكر (نسبة إلى اسمه) و هي المدرسة التي كانت مجهزة بكافة الوسائل التعليمية و التثقيفية من مكتبة إلى قاعات مطالعة و غيرها ، و عمل على تعيين الأساتذة الأكفاء بها ، حتى أصبحت مدينة معسكر عاصمة علمية كبيرة ،تخرج منها عدد كبير من العلماء مثل

---

1)- وزارة التربية الوطنية ، الكتاب المدرسي لمادة التاريخ ، السنة الأولى ثانوي ، (د،و،م،م)، الجزائر (2008م-2009م) ص 84.
2) – د.عبد الحميد حاجيات : الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان ، مجلة الأصالة ، عدد خاص ، جويلية –أوت (1975م)، ص 136-155.
3) – الباي محمد الكبير تولى الحكم ببايلك الغرب الجزائري من (1779م) الى سنة (1796م) ، ولقبه الأصلي هو محمد بن عثمان الكردي . للمزيد حول تلك الشخصية ، أنظر ص 13 من هذا البحث .

أبي راس الناصر الذي قال عن المدرسة ما يلي : " المدرسة المتعارفة عندنا الآن و هي التي تبنى لدراسة العلم ....كالمدرسة البوعنانية بفاس...و المدرسة المستنصرية و البياشية بتونس و القشاشية في الجزائر "[(1)] .

وبلغ التعليم بالمدرسة المحمدية درجة عالية جدا ، تجسدت نتائجه العلمية في ثقافة السكان و استنارتهم و لم يقتصر اهتمام الباي محمد الكبير على عاصمته بايلك الغرب ، و إنما تجاوزه إلى مدن أخرى من إقليمه، نذكر منها مدينة تلمسان التي أحيا نشاطها الثقافي المطمور، فتحركت قرائح الأدباء و الشعراء و العلماء و نشطت أقلام الكتاب .

أما وهران التي كانت تعيش في عزلة و في فراغ ثقافي حيث عمل الإسبان على طمس معالمها العلمية و الثقافية، لكن استعادت كل ذلك بعد أن عادت وهران إلى أصلها و اتخذها الباي عاصمته .

لقد برز ببايلك الغرب علماء كثيرون منهم :

- أبو راس الناصر - محمد بن علي أبو طالب المازوني - الطاهر بن حواء - عبد الله بن حواء خطيب المسجد الكبير [(2)] و غيرهم .

كما كان محمد الباي يشجع الكتاب على التأليف في شتى فروع المعرفة ، فمثلا أنه أمر "محمد بن رقية التلمساني " بالكتابة عن الحملة التي شنتها اسبانيا على الجزائر سنة (1775م) فتناولها هذا الكاتب في مؤلفه المعروف ب: "الزهرة النائرة "[(3)] .

1) – احمد الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ،تحقيق المهدي البوعبدلي ، قسنطينة (1973م) ص 127.
2) - أحمد الراشدي ، الثغر الجماني ...، المرجع السابق ، ص 135.
3) - محمد بن رقية التلمساني ، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة ، مخطوط بالمكتبة الوطنية ، تحت رقم 1626.

فإذا كانت البيئة الثقافية بمدن بايلك الغرب قد تأثرت تأثرا ايجابيا بتلك الحركة الثقافية التي أحدثها محمد الكبير ، فان الريف في تلك المنطقة كان يتلقى سكانه قدرا من العلم في الزوايا التي كان يديرها المرابطون و شيوخ الطرق الصوفية [1] مثل زاوية "أولاد مبخوث"في مشرية .

إن السياسة التي سلكها محمد الكبير فيما يخص تشجيع الثقافة ، كانت لها نتائجها المثمرة على سكان مدن بايلك الغرب ، إذ يتضح ذلك خاصة من خلال الكتب و المؤلفات التي تركها أصحابها المعاصرون له .

كانت الثقافة قبل (1830م) محلية تقليدية وذات بعدين : فقهى – لغوى و صوفي ، واتجاهاتها تعليمية أساسا و يعود ذلك إلى النزعة المحافظة التي أفضت إلى تراجع العلوم العقلية ، و كذا إلى النزعة الأصولية التي ارتكزت على تقليد السلف الصالح ، و الغاية من هذا كانت دينية – اجتماعية القصد منها تقوية الإيمان و ترسيخ الأخلاق [2]، و كانت مدينة مازونة منطقة عبور بين شرق الجزائر و غربها ،حيث عرفت بمدرستها الفقهية و خزانة كتبها[3]

2 - جغرافية و تاريخ القطاع الوهراني :

القطاع الوهراني يكون ما يسمى بعمالة الغرب الجزائري إلى جانب عمالة الجزائر و عمالة قسنطينة ثم منطقة الجنوب .

يتربع هذا القطاع عل مساحة إجمالية تقدر ب 6.780.034 هكتار ، يحد غربا بوادي عطية آخر بلاد مسيردة"[4] الحاجز بين أرضهم و أرض بني خالد [5] ، فوادي عطية هذا إلى الناحية الشرقية على مناصب

---

1) – حمدان خوجه ، المرآة ، تقديم و تعريب ، د. محمد العربي الزبيري ، الجزائر (1975) ، ص 318-320 .

2) محمد ابن احمد أبي راس الناصر عجائب الأسفار و لطائف الخبار ، الجزء الأول ، تقديم و تحقيق المخطوط لمحمد غانم ، CRASC، 2005م، ص 09 .

3)-- yacono.x, les bureaux arabes, l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du tell algérois, édition de la rose , paris v^{éme},1954,p 176.

4) - د. إبراهيم مهديد ، القطاع الوهراني ما بين _1850م-1919م)، منشورات دار الأديب وهران ، (2006م)، ص 11

5)- بني خاد هي أحد بطون قبيلة " بني يزناسن " أحد أهم قبائل سكان شرق المغرب الأقصى (المملكة المغربية حاليا) .

وادي " كيس" في أطراف أرض " أنكاد"[1] وصولا إلى جبل " مديونة " مقابلا لمدينة "وجدة " [2] المغربية و عمالتها ، ثم يحد القطاع الوهراني جنوبا بجبال تلمسان مع الكتلة الجبلية المنحدرة لمليانة و الونشريس ، و يحد شرقا بواد الشلف حتى المصب في عين كرمان و غليزان مع الظهرة و الونشريس[3].

تعتبر منطقة التل المنحصرة بين البحر المتوسط و السهول العليا السهبية منطقة سهلية صالحة لزراعة الحبوب المختلفة . عموما القطاع الوهراني ذو طابع فلاحي و زراعي كبير اشتهر بزراعة القمح و الشعير و الحوامض و البقوليات و الخضر .أما مناخ المنطقة فيغلب عليه طابع مناخ البحر الأبيض المتوسط المتميز بصيفه الحار و الجاف و شتائه البارد القليل الأمطار و هو عموما مناخ متذبذب مما أثر في كثير من الأحيان سلبا على النشاط الزراعي و الحيواني مثل الغنم و الماعز و الخيول و الأبقار بريف المنطقة.

إن تاريخ القطاع الوهراني أو الغرب الجزائري بصفة عامة حافل بالأحداث ، فهي منطقة سكانها الأصليون هم " البربر " الأمازغيون ، فعدد من أسماء مدن القطاع الوهراني تدل على ذلك، مثل تلمسان هي تسمية أمازيغية معناها : ثلا أي عين الماء ، يمسن أي الجافة .- وهران تسمية أمازيغية معناها : و أي ملجأ ، اهران أي جمع أسد – مستغانم تسمية أمازيغية معناها : ثلما ست أي نصف ، اوغنيم أي نبات القصبة .

قبل الفتوحات الإسلامية للمنطقة ،واجه السكان الامازيغيون الاستعمار الثلاثي الروماني ، الوندالي و البيزنطي بشجاعة خارقة بقيادة زعماء القبائل الأمازيغية البارزة مثل : زناتة و صنهاجة و مصمودة فتمكنوا من طرد كل أولائك الغزاة .

لقد خضعت المنطقة للحكم الإسلامي بعد الفتوحات الإسلامية حوالي سنة 28هـ في عهد الخليفة الراشدي الثالث "سيدنا عثمان بن عفان ". خضع الغرب الجزائري لفترات حكم دول إسلامية عديدة ، منها الدولة الموحدية (مراكش) إلى غاية(1269 م)، فدخلت تحت راية حكم الدولة الزيانية التي اتخذت

---

1) – أنكاد ، أو أهل أنكاد كذلك قبيلة مشهورة في شرق المملكة المغربية ، و يستقرون بالقرب من مدينة وجدة و خاصة ببلدية بني يدرار (بني درار) ، و مطار وجدة الدولي حاليا يسمى مطار وجدة أنكاد .
2) محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر الطبعة الثانية ، دار اليقظة العربية ، دمشق ، (1964م) ، ص 14.
3) د. إبراهيم مهديد ، المرجع السابق ، ص 11.

كعاصمة لها مدينة تلمسان مابين (1236م-1557م)[1] وهي الفترة التي عرفت فيها المنطقة ازدهارا ثقافيا و عمرانيا لا زالت آثاره باقية لحد الآن .

كما أن المنطقة بعد الزيانيين ارتبطت كغيرها من جهات الجزائر بالحكم العثماني و كانت تسمى ببايلك الغرب و كانت العاصمة (مازونة ثم معسكر و وهران) و عرفت في أواخر ذلك الحكم فترة ازدهار ثقافي في كل من مازونة ، معسكر ،وهران و تلمسان خاصة في عهد الباي محمد الكبير[2] الذي تمكن من طرد الإسبان من وهران و المرسى الكبير سنة (1791م).

خلال فترة الاحتلال الفرنسي عرف القطاع الوهراني أولى المقاومات الشعبية ضد الاستعمار و جيوشه بزعامة ابن المنطقة الأمير عبد القادر (1832م-1847م) و لقد ارتكب ذلك الاستعمار الغاشم جرائم وحشية بالمنطقة خلال فترات تواجده إلى غاية (1962م) مرورا بثورة التحرير الكبرى (1954م) حيث لعب سكان القطاع الوهراني دورا كبيرا فيها فعدد شهدائها الأبرار و مجاهديها يدل على ذلك .

1) – وزارة التربية الوطنية ، الكتاب المدرسي لمادة التاريخ ، سنة اولى تعليم ثانوي الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية ، الجزائر ، 2008م-2009م، ص 84.

2) هو محمد بن عثمان الكردي ، أمه جارية اسمها زائدة أهداها لأبيه مولاي اسماعيل سلطان المغرب الأقصى أبوه هو إسحاق الحاج عثمان بن إبراهيم الكردي أصبح بايا على بايلك التيطري وتوفي بمعسكر و دفن بها سنة 1170هـ حيث بقي في الحكم تسعة أعوام وللمزيد من المعلومات عن شخصية و أعمال الباي محمد الكبير ، انظر أحمد بن هطال التلمساني ، رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري ، تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1969م ص 15.

3- القطاع الوهراني ، اثنيا ، اجتماعيا و إداريا بعد (1830م)

يمكن القول بأن السياسة الإستيطانية الفرنسية ، نجحت إلى حد بعيد في القطاع الوهراني حيث توافد الأوروبيين على المنطقة و خاصة العنصر الإسباني ، وذلك بأعداد ضخمة عبر مراحل تواجد الاستعمار الفرنسي بالجزائر سواءا خلال القرن (19م) و النصف الأول من القرن العشرين ، فحسب إحصاء[1]تم في مارس (1921م) وصل عدد الأوربيين في عمالة وهران الى : 358.587 نسمة ، بينما في عمالة الجزائر وصل إلى 292.950 نسمة ، و في عمالة قسنطينة :156.437 نسمة ، وفي نفس السنة و صل عدد المسلمين إلى المليون نسمة .

أ - اثنيا :

من الناحية الإثنية كان السكان في القطاع الوهراني يتشكلون أساسا من ثلاثة عناصر بشرية مختلفة ، المسلمين و الأوربيين و اليهود .

- فعدد الأوربيين تضاعف ب 350 مرة من (1833م) إلى (1931م) إلا أنه انخفض قليلا فيما بعد [2].

إن التركيبة الإثنية الأوربية بالقطاع الوهراني هي خليط من الفرنسيين و اليهود بحوالي (10% من المجموع) و كذلك الإسبانيين الذين تركزوا في مدينة وهران بالخصوص ، و هم موزعين كما يلي [3]:

اسم الدائرة	عدد الإسبانيين
دائرة وهران	45.420 اسباني
دائرة بلعباس	9.331 //
دائرة معسكر	3.770 //
دائرة مستغانم	3.749 //
دائرة تلمسان	3.712 //

1) – د. إبراهيم مهديد ، القطاع الوهراني مابين (1850م- 1919م)، دراسة حول المجتمع الجزائري ، الثقافة و الهوية الوطنية ، منشورات دار الأديب ، وهران (2006م) ، ص 12.
2) د. إبراهيم مهديد ، نفس المرجع ، ص 13.
3) – هي أرقام جاءت نتيجة إحصاء قامت به الإدارة الفرنسية سنة 1936م ، نقلا عن المرجع السابق ، مهديد إبراهيم ، ص 13.

إن العنصر الإسباني الغالب في عمالة وهران أثر على السكان الأوربيين بالعمالة ، من حيث العادات و الثقافة و الذهنيان و من حيث كذلك نفسيا تهم و توجيه سلوكهم الاجتماعي و حتى السياسي بصورة أوضح في فترات هامة من تاريخ القطاع الوهراني[1] .

كان العنصر اليهودي بعمالة وهران مندمج بعمق في الحياة الاقتصادية العصرية حيث كان منهم تجار الجملة و أصحاب المهن الحرة (30% من الأطباء و 30% من المعلمين في مدينة وهران)، نسبة منهم تجار صغار و أصحاب حرف مهنية (خياطة ، إصلاح أحذية ، حلاقة عصرية....) ثم محاسبون و موظفون ، كما كانت لهم أحياؤهم الخاصة بهم .

ب – اجتماعيا:

بعد الحرب العالمية الثانية (1945م) ارتفع عدد سكان القطاع الوهراني إلى أزيد من مليون ونصف (1.600.000 نسمة) [2] عما كان عليه في عقد العشرينات (مليون تقريبا) ، رغم تأثير الأزمات الاقتصادية والاجتماعية تأثيرا سلبيا في أوساط المسلمين ، ضف إلى ذلك مخلفات التجنيد الإجباري أثناء الحرب العالمية الأولى (1914م-1918م) و الذي ضرب المنطقة بعمق كبقية المناطق الجزائرية الأخرى .معظم الجزائريين ريفيون يمارسون زراعة تقليدية و مربو ماشية بمعدل 73% إلى 95%و 97% في البلديات المختلطة [3].

عرفت مدينة وهران توسعا عمرانيا و بشريا كبيرا مع بداية الثلاثينيات و حتى قبلها بسبب الهجرة نحوها لتوفرها على مناصب شغل خاصة في ميناء وهران ذو الحركة التجارية القوية ، وتلك الهجرة خلقت ظاهرة أخرى تمثلت في ظهور الأحياء القصديرية حول المدن العمرانية مثل حي "سيدي الحسني " و"مديوني"، و"الحمري"[4] و غيرها من الأحياء التي كان يطلق عليها و لحد الآن اسم ،"قرابة"جمع "قربي" أي عبارة عن أحياء مليئة بالأكواخ.

---

1)- د. مهديد إبراهيم ، القطاع الوهراني ...المرجع السابق ،ص13 .

2)-Le département d’Oran ,encyclopédie d’outre-mer, mars 1955,n°35,p5

3)- Gasser (m-j) ,et autres le livre d’or de l’oranie ,édition l’Afrique du nord illustrée, Aout,1925,p 25

3) - للإطلاع على حالة المسلمين العمال و مشاكلهم الاجتماعية بوهران ،أنظر:

4)- CF WEILLER (H),prolétariat musulman et problèmes sociaux à Oran, s.l 1945,37 pages dactylographiées,(D.A.W.O, cote B 59

كان السكان الجزائريين في المدن و المراكز الحضرية الكبيرة في القطاع الوهراني (وهران،مستغانم ،معسكر،تلمسان،أرزيو،بني صاف، الغزوات) يتوزعون على الأنشطة و الحرف المتنوعة كما يلي :[1]

عمال في ورشات صناعية وعمال يدويون و حمالون	حرفيون	تجار	موظفون
%6.5	%4.3	%5	%2.7

ج- إداريا :

قسم القطاع الوهراني إداريا إلى ستة دوائر رسمية حسب إحصائيات سنة (1936م) ، كما هو مبين في الجدول الآتي[2] :

الدوائر	عدد البلديات الكاملة الصلاحية	عدد البلديات المختلطة
دائرة وهران	45 بلدية	2 بلديات
// معسكر	13 //	4 //
// مستغانم	26 //	8 //
// سيدي بلعباس	21 //	2 //
// تلمسان	09 //	4 //
المجموع	144 //	20 //

إن البلديات الكاملة الصلاحية عددها 144 بلدية تغلب عليها الساكنة الأوروبية ، بينما 20 بلدية مختلطة فتغلب عليها الساكنة المسلمة ، و ستة مراكز بلدية تسير وفق نظام "الجماعة"[3] .

1) op.cit. ,p37CF WEILLER
2) د. إبراهيم مهديد، القطاع الوهراني ، المرجع السابق ، ص 12
3) GASSER(M.J) ET AUTRES .OP ,CIT P

الفصل التمهيدي

المراكز التعليمية و المكتبات و أهميتها في المحافظة على التراث الفكري الجزائري قبل 1830م.

الوقف كمؤسسة لإثراء المكتبات الجزائرية.

المساجد كخزان للمخطوطـــــات و الكتـــب.

الزوايا كمراكــز مخطوطـــــات و كتــــــب.

المكتبات بغرب الجزائر و محافظتها على تراث المساجد و الزوايا

تمهيـــــــد :

كانت المراكز التعليمية و العلمية في العهد العثماني، في معظمها لا تخرج عن نطاق المسجد و الكتاتيب و المدارس و الزوايا ، و التي كانت لا تخلو الواحدة منها من خزانات للكتب و المخطوطات قلت أو كثرت .

عموما كانت تلك المراكز تربوية و تعليمية محورها القرآن الكريم ، و بالتالي لم تكن مراكز ثقافية بمفهوم مصطلح الثقافة اليوم.

لم يكن من بين هذه المراكز، جامعة أو معهد عال رغم أن بعضها كان يبث تعليما ذو مستوى عالي ، و كذلك لم تكن في الجزائر قبل العهد الفرنسي ، لا صحافة و لا مطبعة.[(1)]

لا بد من الإشارة إلى أن تلك المراكز التربوية و العلمية الجزائرية كانت تغذيها أي تمولها و تمونها الأوقاف و التي اعتبرت مظهرا من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية فمثلا مكتبات المساجد و الزوايا و المدارس اعتمدت إلى حد كبير على الوقف الذي سنتوقف عنده كمبحث أول من هذا الفصل التمهيدي ثم نتوقف عند كل من المسجد، و الزاوية ثم المكتبات كمبحث أخير حيث اعتبرناها ثمرة مجهودات كل المراكز التعليمية و العلمية حيث هي الخزانة التي حافظت على تراثنا الفكري العريق عبر مراحل التاريخ خاصة ذلك المنتمي للحضارة العربية الإسلامية أيام المرابطين، مرورا بفترة الموحدين ثم المرينيين و الزيانيين إلى فترة العثمانيين وكذلك طيلة فترة التواجد الاستعماري الفرنسي (1830م-1962م).

1) - سعد الله ، أبو القاسم ،تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء 1، 1500-1830 ، دار البصائر ، الجزائر 2007 ، ص 227

أولا : الوقف كمؤسسة لإثراء المكتبات الجزائرية :

من المعلوم أن معظم المراكز التربوية و العلمية في الجزائر قبل 1830 اعتمدت في بقائها وازدهارها على الأوقاف الإسلامية حيث كانت من الكثرة و الثروة المتنوعة ما يكفي دخلها للإنفاق على تلك المراكز بسخاء[1] .

1 1 : الوقف ، تعريفه و أغراضه:

أ -تعريفه و نظامه :

الوقف هو إحساس عميق و إرادة بفعل الخير و تضامن الفرد المسلم مع مجتمعه ، و لقد اتبعت من قبل المسلمين منذ أوائل الإسلام ، و بتطور الزمن تعددت أغراضه و أوجهه ، و الوقف يقوم على مبدأ شرعي و على صيغة قضائية ملزمة و بحضور الواقف و الشاهد مع توقيع القاضي تصبح إذن وثيقة شرعية، كل الأطراف تلتزم بها أي الواقف و المستفيد من الوقف و كذا السلطة، لكن تلك الوثيقة لم تكن دائما محل احترام ، فأحيانا يسيئ الوكيل التصرف في الوقف ، أو تتدخل السلطة فتوجه فوائد الوقف إليها ، فمثلا نجد شكوى الورتلاني و هو يتحدث عن إهمال ولاة قسنطينة للأوقاف فيقول:" ضعف في قسنطينة العلم "، و كذلك في حديثه عن بسكرة ، فقال:" إن الترك استولوا فيها على الأوقاف مما سبب اندراس العلم و أهله" [2].

و من الأمثلة كذلك على عدم احترام وثيقة الوقف تذكر المصادر أن الباي محمد الكبير اتبع في معسكر طريقة للمراقبة الصارمة للأوقاف حيث جاء في إحدى الوثائق أن تتبع أوقاف مدرستي تلمسان << التي استولت عليها الأيدي ....>>[3] و أعاد للمدرستين الأراضي التابعة لهما . و لقد اعتبرت معظم المصادر التاريخية الباي محمد الكبير الذي حكم معسكر في أواخر القرن 12 هـ ، اعتبرته من أشهر اللذين اهتموا بالوقف و تنظيمه و خاصة ماله علاقة بالعلم و الدين و المعرفة أي اهتمامه بالكتب و المكتبات حتى اعتبر ممثلا لعصر التنوير في الجزائر العثمانية ، و سنتطرق لآثاره العلمية عند الحديث عن دوره في الاهتمام بالمراكز التربوية و العلمية وخاصة مكتباتها. << كان للوقف نظام داخلي دقيق ، حيث كان وكيل الوقف يعينه الباشا أو الباي و كان عليه تقديم تقرير دوري للعلماء[4]>> .

---

(1) تركي ، رابح ، ابن باديس ، فلسفته و جهوده في التربية و التعليم 1900 -1940 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1970، ص 128- 129
(2) الورتلاني (الرحلة) ، ص 110 – 686، عن سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي 1500- 1800، المرجع السابق، ص 230 .
(3) ابن سحنون (الثغر الجماني) ، مخطوط ، ورقة 12 بالمكتبة الوطنية .
(4) ملاحظات كتبها مارسيل اميريت (marcel emirit) عن أهمية الوقف في التعليم في : مجلة التاريخ الحديث و المعاصر ، 1954، ص 200 ، و قد رجع في ذلك إلى وثائق و تقارير رسمية .

ب ـ أغراض الوقف و هيئاته :

عموما كانت أغراض و أهداف الوقف كثيرة و ليس من السهولة حصرها ، و لذلك نكتفي بالقول أنها كانت ذات أهمية كبرى فيما يتعلق بإثراء مكتبات كل من المساجد و المدارس و الزوايا بالمخطوطات و الكتب ، و كذا العناية بالعلم و العلماء و الطلبة أو العناية بمذهب كالوقف على نشر و تدريس المذهب الحنفي [(1)]، فإذن كان للوقف أهمية كبرى في الحياة الدينية و العلمية و مصدرا لنموها و تطورها .

و من أشهر هيئات الوقف الجماعية و التي لعبت عدة أدوار منها دورها العلمي المرتبط بإثراء خزانات الكتب ، نذكر ما يلي :

- سبل الخيرات الحنفية[(2)]
- أوقاف مكة و المدينة [(3)]
- أوقاف الجمعية الأندلسية[(4)]

و التي أشرفت على إقامة مسجد وزاوية و مدرسة و مكتبة و عينت على أوقافها و كيلا هو الشيخ الآبلي[(5)] ، و بقيت أوقافها إلى الاحتلال الفرنسي الذي قضى على الجمعية و استولى على ممتلكاتها و خاصة المخطوطات و الكتب .

لابد من الإشارة إلى أنه تم نقل مكتبات بكاملها من الجزائر نحو الحجاز مثل مكتبة "عيسى الثعالبي" أخ عبد الرحمان الثعالبي،و هي مكتبة استفاد منها العياشي صاحب الرحلة المعروفة[(6)] .

---

(1) سعد الله ، أبو القاسم ، المرجع السابق ص 231.
(2) أسسها شعبان خوجة باشا سنة 999هـ ، و كانت تشرف على أوقاف ثمانية مساجد ، و كذا مصالح الأوقاف لعدد من الأغراض العلمية و الدينبة و منها مخطوطات و كتب ، أنظر جورج ايفير (George Ivere) بالمجلة الإفريقية 1913،ص240 .ان شعبان هذا هو الذي بنى الجامع المعروف اليوم (الجامع الجديد) و كذا الجامع كجاوة (كتشاوة) .
(3) و جد السيد جان ديني (jean dinet) 340 دفترا من الأرشيف تتعلق بأوقاف مكة ، أنظر عن مجلس أوقاف مكة والمدينة الأرشيف دفتر 169 ، 31، MI 228، ثم دفتر 32،176، MI 228 ،أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ص 231.
(4) أنظر ديفوكس (DIVOXE)، المجلة الإفريقية 1860، ص 471.
(5) الشيخ الآبلي هو محمد بن إبراهيم الآبلي التلمساني ، تحدثت عنه عدة مصادر كابن مريم في "بستانه "و المغري في "نفحة " و عبد الرحمان بن خلدون في مقدمته و أخيه يحي بن خلدون في "بغيته" ،عاش في فترة المرينيين و درس بمدرسة العباد بضريح سيدي بومدين في عهد السلطان أبي حسن المريني .
(6) بومدين بوزيد، مقالة بجريدة الخبر اليومي ، العدد 6871 ص21 ،بتاريخ 20-10-2012.

إذن من خلال ما سبق ذكره تتضح أهمية مؤسسة الوقف في الجزائر قبل 1830 ، من خلال وظائفها المتعددة خاصة في مجال خدمة الدين و العلم و العلماء، فهي التي كانت وراء بناء المساجد و الزوايا و المدارس و التي حافظت على التراث الفكري الجزائري من خلال خزانات ،المخطوطات و الكتب .

ثانيا : المساجد كخزان للمخطوطات و الكتب:

تمهيــــد :

لابد أن نشير إلى أننا سنتطرق إلى المساجد في الغرب الجزائري لا لشيء إلا لأنها كانت في معظمها لا تخلو من خزانات للكتب تختلف من مسجد لآخر من حيث عدد الكتب و أنواعها و تخصصاتها التي كان يغلب عليها الطابع الديني المرتبط بالقران الكريم و لذلك لا يمكن الفصل ما بين المسجد و مكتبته و بعبارة أوضح أن أهم شيء بداخل المسجد هو خزانة كتبه و خاصة في الفترة التي نحن بصدد دراستها .

إن أول مسجد بني في الإسلام هو مسجد التقوى ، أنشأه الرسول ﷺ أثناء هجرته إلى المدينة في السنة الأولى للهجرة (622 م) ، و كان اهتمامه كبيرا ببناء المساجد في كل الأماكن التي انتشر فيها الإسلام [1] وهناك آراء متعددة حول هندسة و مخطط المسجد توحي بأن الفن الإسلامي تأثر بعدد من الفنون خاصة فن العمارة في أماكن العبادة لدى اليهود و المسحيين أو الفن الساساني أو القبطي و غيرها من الفنون[2]

---

(1) أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، الجزء الأول ، مكتبة النهضة القاهرة ، 1996
(2) بلحاج معروف ، العمارة الإباضية بمنطقة وادي ميزاب من خلال بعض النماذج ، (رسالة دكتوراه) ، قسم الآثار ، جامعة تلمسان ، 2002،ص 168 -169

هناك اختلاف من حيث التسمية فهناك لفظين ، المسجد والجامع .

إن لفظ مسجد مشتق من الفعل سجد ، و هو يعني إذن الموضع الذي يتعبد فيه[1] .
أما لفظ الجامع اصطلاحا فهو أكبر حجما من المسجد ، فهو الذي تؤدى فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة .

هناك بعض الباحثين يذكرون "المساجد" فقط ثم يفصلون كبيرها عن صغيرها ، ماله صومعة عالية و ماله سوى قبة ، و مهما يكن فنحن في هذا المبحث سنتطرق للمساجد في الجزائر قبل 1830، في معنى المساجد العام باعتبارها أماكن للعبادة و للقراءة و لنشر العلم و كمركز تربوي تعليمي يحتوي على خزانات المخطوطات و الكتب .

2 1 :الإهتمام بمساجد الغرب الجزائري :

إن العناية بالمساجد ظاهرة بارزة في المجتمع الجزائري المسلم ، فلا تكاد تجد ريفا أو قرية أو حيا في المدينة بدون مسجد ، فقد كان مكانا يلتقي فيه العابدون و يجتمع فيه الأعيان ، و منشط للحياة الاجتماعية و العلمية و الدينية .

إن المصادر التاريخية التي تناولت عدد المساجد في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني ، لا تكاد تذكر إلا مساجد المدن الرئيسية ، و بعض المصادر تخلط ما بين المساجد قبل العهد العثماني و أثناءه، مثل الإحصاء الذي ذكره التمغروطي (النفحة المسكية) حول مساجد مدينة الجزائر في أواخر القرن العاشر الهجري (16 م) بأن عددها ثلاث جوامع للجمعة و في نفس الفترة يذكر هايدو الإسباني (haydo) حوالي مائة مسجد ، منها سبعة رئيسية [2] .

تذكر المصادر بأنه كان بتلمسان في آخر العهد العثماني خمسون مسجدا [3] ، منها جامع سيدي بومدين و الجامع الكبير و جامع محمد السنوسي و جامع أولاد الإمام و جامع المشور و غيرها و هي مساجد فيها ما أنشأ أيام المرينيين و الزيانيين و ما أنشأ في العهد العثماني ، فمثلا جامع العباد يرجع إلى العهد المريني (بني سنة 739هـ/ 1339م) و لقد جدد الأمير عبد القادر منبره ،

---

(1) أنظر ، محمد ابن منظور ، لسان العرب ، المجلد الثاني ، دار لسان العرب ، بيروت ، ص 98.
(2) أنظر ما ذكره هايدو الإسباني ، نقلا عن ديفوكس (divoxe) بالمجلة الإفريقية 1862 ، 371 ، و يعتقد ديفوكس (divoxe) أن هذه الإحصائية تشمل الزوايا أيضا.
(3) سعد الله ، أبو القاسم ، المرجع السابق ص 250.



أما الجامع الأعظم فأسسه الباي محمد بن عثمان الكبير بمعسكر إلى جانب المدرسة المحمدية في آخر العهد العثماني ، و لقد جهز المدرسة بجميع الوسائل التعليمية من مكتبة ، و قاعات للمطالعة و الدروس و مبيت للطلبة إلى جانب مطبخ و فرن و ذلك حتى ينافس بها القرويين بفاس و الزيتونة في تونس .

- عموما تذكر بعض المصادر أن إقليم وهران كان يضم 151 مسجدا سنة 1853 منها فقط ثلاثة بنيت وقت الاحتلال الفرنسي ، وهو رقم أكثر من إقليم العاصمة (الوسط) و أقل بكثير من مساجد إقليم قسنطينة (الشرق) حيث بلغ العدد 873 مسجدا [(1)] .

- إذا وضعنا مقارنة شكل المساجد قبل العثمانيين و شكلها خلال العهد العثماني ، فنرى حسب ما وصفته المصادر بأن المساجد في العهد العثماني كانت في الغالب جيدة و أنيقة و كثيرة الأوقاف ، بينما مساجد الأهالي فكانت في الجملة متواضعة ، كما لاحظ ذلك الورتلاني و كما تشهد على ذلك المساجد المؤسسة قبل العثمانيين ، فهي في الغالب مبنية بالجبس أو الحجر ، و صوامع منخفضة ، و مفروشة فقط بالحصير أو الزرابي البسيطة ، أما المساجد العثمانية فامتازت بدقة البناء و استعمال الزليج و الرخام في المحراب و الأناقة في المنبر و قناديل الزيت و الثريات و الزرابي الغنية و الزخرفة و نقوش لآيات قرآنية بالحروف العربية على الجدران ، و النظافة و استعمال الفسيفساء و زخرفة النوافد و الأبواب [(2)] و امتازت كذلك بالشساعة و علو الصوامع و دقة و جمال شكلها ، و من أجمل المساجد بالعاصمة جامع السيدة، و كذلك جامع محمد الكبير بمعسكر ، كما امتازت جوامع تلمسان التي يعود معظمها إلى العهد الزياني و ما قبله ، بالفن الأندلسي و الذوق العربي .

- وفي معظم الجوامع توجد المكتبات الموقوفة على الطلاب و القراء و العلماء مثلما يشير إلى ذلك الباحث بروسلار (broslard) في المجلة الإفريقية لسنة 1861 بصفحة 323 عن وقف مجموعة من الكتب الدينية و التاريخية على جامع محمد السنوسي بتلمسان .

---

(1) بوليربي (bolerby) ، المجلة الشرقية الجزائرية ، عدد ، 1853، ص 60 ،ص62 .
(2) سعد الله ، أبو القاسم ،تاريخ الجزائر الثقافي في 1500-1830 ،الجزء 1 ، دار البصائر ، الجزائر 2007 ، ص254 .



- إن الكتب الموقوفة على جوامع الغرب الجزائري كانت تختلف من حيث الكثرة و التنوع ، فأحيانا لا يوجد في مكتباتها سوى المصاحف و الكتب الدينية و الصوفية ، مثل صحيح البخاري و تنبيه الأنام و دلائل الخيرات و كتب الأدعية و الأذكار ، و لكن بعضها كان يحتوي على كتب في العلوم المختلفة من أدب و طب و فقه و تاريخ و رياضيات.

و سنتطرق في المبحث الأخير من هذا الفصل التمهيدي على أوقاف الكتب التي حبسها الباي محمد الكبير على مسجده ، و كذلك صالح باي على بعض مساجد قسنطينة لقد جاء في المجلة الإفريقية لسنة 1860 بصفحة 169 ، أن السيدة المسماة فاطمة بنت ابن جبور ، قد أوقفت على جامع الغريبة بتلمسان نسخة من تأليف الجوزي و أخرى من تأليف السيوطي [1] .

لقد اختلفت الجوامع أيضا من حيث عدد موظفيها ، فبعضها يتجاوز الستين موظفا كالجامع الكبير بمدينة الجزائر و بعضها عددهم لا يتجاوز الخمسة و كان لكل موظف من هؤلاء (الوكيل ، الخطيب ، الإمام ، المدرس ، المؤذن ، الحزاب و بعض القراء) مرتب خاص به .
فمثلا لقد خصص و حدد الباي محمد بن عثمان (و هو والد محمد الكبير) لجامع عين البيضاء الذي بناه بمعسكر ، رواتب موظفيه على الشكل الآتي : [2]

الوظيفـــــة	المبلـــــــغ
الإمام	40 ريالا
الخطيب	40 ريالا
طلبة يحضرون درس صحيح البخاري كل سنة	04 سلطانية ذهبا
المؤذنين الأربعة يتقاسمونها	80 ريالا
و كيل خزانة الكتب	15 ريالا
مدرس صحيح البخاري	40 ريالا

(1) سعد الله ، أبو القاسم ، المرجع السابق ص 255.
(2) لوكليرك (leclere) ، المجلة الإفريقية ، 1859، ص 43، و فيه النص العربي لوقفية الباي محمد بن عثمان .

أننا إذ نتحدث عن المساجد فإننا لا نفصلها عن مكتباتها التي كانت ذات طابع و توجه ديني فالمسجد بالنسبة للمسلمين هو مكان التقاء بين المسلمين من أجل القراءة و الكتابة و المراجعة و الحفظ و نقل الآيات و السور القرآنية حيث أن القرآن الكريم هو أسمى و أفضل كتاب .

فالمحافظة عليه و قراءته و توزيعه و تجليده و تزيينه هي من مهام المؤمن الحقيقي ، و انطلاقا من هذا أتت فكرة المحافظة على مخطوطات و مطبوعات القرآن الكريم ، و أضيفت له مخطوطات و مطبوعات أخرى متنوعة مثل الحديث النبوي و الفقه و لذلك كله أنشأت مكتبات المساجد بالعالم الإسلامي و كانت الجزائر جزء لا يتجرأ منه ، فقبل وفاته سنة (632 م) ، كان الرسول سيدنا محمد ﷺ ، قد رسم المنهج الصحيح للمجتمع الإسلامي و ذلك بتوضيح دور ومهمة المسجد بوصفه مركز إشعاع ثقافي يحتل فيه الكتاب و المكتبة الدور البارز الذي يؤدي إلى ميادين المعرفة و العلوم ، فعلى سبيل المثال الإمام مالك ألف كتابه الشهير الموطأ بمسجد المدينة ، الإمام الشافعي هو الآخر ألف كتاب الأم بمسجد الفسطاط ، ابن حنبل ألف مسنده بمسجد بغداد ، الخليل ابن أحمد بدأ تأليف كتاب العين بمسجد البصرة و أنهاه بمسجد دمشق ، و مع انتشار و ازدهار الحضارة العربية الإسلامية تأسست مكتبات المساجد في كل بقعة من المغرب إلى ماليزيا .

أما بالنسبة للجزائر و مكتبات مساجدها فنشير إلى ما قاله محمد ابن أبي شنب [1] :" مكتبة الجامع الأعظم بالعاصمة ، أكدوا لي بأنها كانت تضم على الأقل خمس مائة مؤلف (500) مع وصول فرنسا سنة (1830م)، و نرى الآن بأنها أقل غنى مما كانت عليه ..."

---

(1) محمد ابن أبي شنب ولد سنة 1869 بتاكبو إحدى ضواحي مدينة المدية ، و تعلم الفرنسية في مدرستها الابتدائية ثم تخرج من دار المعلمين بالجزائر العاصمة سنة 1888، كان ينهج في الدراسات العربية و الإسلامية منهجا أوروبيا ، و لقد اهتم بمكتبات المساجد ، و نذكر له على سبيل المثال بحثه الذي نشر عام 1905 تحت عنوان : فهرس المخطوطات العربية بالجامع الكبير في الجزائر.
(le catalogue des manuscrits arabes de la grande mosquée d'Alger)

و تؤكد عدة مصادر بأن ما وقع لمكتبة الجامع الكبير بالعاصمة ، وقع كذلك للمساجد الأخرى و التي مع الأسف سرقت منها مجموعة كتبها و مخطوطاتها في صمت ولا مبالاة مطلقة ، و سنرى في الفصول اللاحقة موقف فرنسا من مخطوطات و كتب خزانات المساجد و خاصة بالغرب الجزائري . لقد قامت الإدارة الفرنسية مباشرة بعد دخولها بعملية جرد للمخطوطات و الكتب التي كانت تحتوي عليها بعض مكتبات المساجد بالجزائر ، و فعلا هي أرقام تؤكد كما تبينه الجداول الثلاث الآتية ، بما لا يدع مجالا للشك الدور و الأهمية التربوية و التعليمية و الحضارية التي كان يؤديها المسجد في الجزائر قبل 1830 :

مكتبات المساجد	عدد العناويين	عدد المجلدات	القيمة بالفرنك
الجامع الكبير بالعاصمة	72	187	3.426
الجامع البحري	428	555	12.840
جامع سيدي رمضان	/	/	/
جامع سيدي عبد الرحمان	17	24	1.375
جامع المدية	34	100	/

- جدول تقييم مجموعات كتب بعض مكتبات المساجد بإقليم الجزائر العاصمة ليوم 31 ديسمبر 1872

المصدر : arab Abdelhamid , les manuscrits et bibliothèques musulmanes en Algérie 1830-1954 ;0.P.u ,2007. P69

عدد المخطوطات	ميادين التخصص
01 14	القرآن ← نصوص ← شرح
45	حديث
06	سيرة نبوية
03	الشرع
05	الشرع الحنفي
22	الشرع المالكي
02	علم الكلام أو المذاهب
09	علم الأخلاق
02	النحو (قواعد اللغة)
109	المجموع

❖ جدول توزيع ، حسب التخصص لمخطوطات مكتبة الجامع بالعاصمة
المصدر : ابن شنب (محمد) : فهرس المخطوطات العربية للجامع الكبير بالعاصمة ، 1909 ، صدر بالفرنسية كما أشرنا إلى ذلك سابقا .

القيمة بالفرنك	عدد المجلدات	عدد العناوين	مكتبات المساجد
980.55	137 مخطوط 155 مطبوع	92مخطوط 68 مطبوع	مكتبة الجامع الكبير المالكي
38.75	163 مخطوط	61 مخطوط	مكتبة سيدي رمضان
390	108 مخطوط	35 مخطوط	مكتبة جامع لابيشري
33.25	45 مخطوط	30 مخطوط	مكتبة جامع الصفر

❖ جدول تقييم مجموعات كتب و مخطوطات بعض مكتبات مساجد عمالة الجزائر حسب جرد 1911

المصدر : (عراب عبد الحميد) Arab Abdelhamid ;op.cit.p70



وحول هذه الجداول الثلاث، يقول الباحث الأستاذ عراب عبد الحميد ، لأسباب نجهلها ، نشرت سوى فهرست مكتبة الجامع الكبير و كذا بعض الجوامع بالوسط الجزائري و لكن لم تنشر فهرست المكتبات الأخرى ، و هذا رغم أن الحاكم عين محمد ابن شنب للقيام بعملية جرد لمكتبات المساجد الجزائرية بصفة عامة (شرق ، غرب ، وسط ، جنوب) و فعلا حققها ابن شنب حيث صدر له سنة 1909 مؤلفه:" فهرس المخطوطات العربية الموجودة بالمكتبات الجزائرية الرئيسية " (باللغة الفرنسية) .

2 2 :مكتبات المساجد بالغرب الجزائري:

أ -تعريف مكتبة المسجد :

مكتبة المسجد هي نوع من المكتبات ، ظهرت مع ظهور الحفظ في المساجد ، فلقد ورد في الموسوعة العربية في الوثائق و المكتبات (1) أن :"المساجد تعتبر مكتبات عامة ، و المكتبات في الإسلام نشأت مع نشأة المساجد "حيث اعتبر المسجد مكانا لحفظ الكتب ، خاصة القرآن الكريم ، ثم بعد ذلك أضيفت لها كتب الفقه و السيرة و أنواع أخرى من الكتب الدينية و بذلك كان المسجد عبارة عن مركز تربوي تعليمي و فكري ، تشير معظم المصادر التاريخية بأن أغلب المساجد كانت تملك مكتبة خاصة بها ، " لقد ارتبطت المكتبات بالمساجد حيث كان كبار العلماء يوقفون ما لديهم من الكتب في المساجد "(2) .

إنه لا يمكن التطرق إلى الحضارة العربية الإسلامية دون ذكر مكتبات المساجد ، التي كانت مركزا فكريا ، تربويا و تعليميا بقصده العلماء و الطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي مثل جامع بني أمية في دمشق ، جامع مكة و المدينة و جامع الأزهر بالقاهرة و جامع قرطبة بالأندلس و جامع الزيتونة بتونس و جامع القرويين بفاس المغربية .

إن مكتبات المساجد هي أول نوع من المكتبات نشوءا بالعالم الإسلامي و منه الجزائر قبل دخول فرنسا ، بسبب أن القرآن الكريم حث على القراءة و طلب العلم و تشجيع العلماء .

---

(1) عبد التواب شرف الدين ، الموسوعة العربية في الوثائق و المكتبات ط1 ، دار الثقافة ، الدوحة ، 1986 ، ص 171
(2) أبو بكر محمود الهوش ، لمحة حول الكتاب و المكتبات في الحضارة الإسلامية ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، طرابلس ، 1986، ص 62.

ب - بعض مساجد الغرب الجزائري :

❖ **<u>مساجد تلمسان:</u>** لقد كانت تلمسان تزخر بالمساجد التي لازال بعضها موجودا لحد الآن ، و لقد لقبت تلمسان بألقاب تدل على ازدهار الحضارة بها و من هذه الألقاب : " جوهرة المغرب ، غرناطة إفريقيا ..."[(1)].

و من مساجدها نذكر ما يلي :

- **مسجد أقادير :** هو أقدم مسجد بها ، حيث ذكر ابن خلدون في بغية الرواد[(2)] بأن تأسيسه يرجع إلى عهد الأدارسة في شمال منطقة أقادير الحالية في مسلك منحدر يشرف على البساتين و الحقول المؤدية إلى ضريح سيدي الداودي[(3)] ، و نسب تأسيسه إلى المولى إدريس بن عبد الله الحسن عام 174 هـ/ (791م) و مئذنته الحالية شيدها السلطان يغمراسن بن زيان العبد الوادي القرن7هـ/ (13م)[(4)] .
- **مسجد سيدي أبي مدين**[(5)] : هو مسجد ارتبط بالولي الصالح المتصوف ، شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي من قرى اشبيلية ، و ضريحه موجود بقرب المسجد ، و شيد هذا

المسجد من قبل السلطان أبي الحسن المريني عام 739هـ / (1339م) ثم ألحقت به المدرسة و بالتالي هناك المسجد و الضريح و المدرسة و كلهم آية من حيث الفن المعماري والزخرفي تعكس عظمة الدولة المرينية .

---

(1) براهامي نصر الدين ـ تلمسان الذاكرة ، منشورات ثالة ، الأبيار ، الجزائر 2007، ص9.
(2) أنظر : يحى ابن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تقديم و تحقيق و تعليق ، عبد الحميد حاجيات ، ج1 ، المكتبة الوطنية ، الجزائر 1980، ص 91.
(3) سيدي الداودي : هو العالم الجليل أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي يوجد ضريحه بمقبرة أقادير ، أنظر : محمد ابن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984، ص38.
(4) محمد ابن عمرو الطمار ، المرجع السابق ص 56.
(5) ابن خلدون (يحي) المصدر السابق ، ص 125.



- **الجامع الكبير :** يعتبر أهم عمارة إسلامية في الجزائر و أحد مفاخر المرابطين في المغرب الأوسط ، و يقع ضمن المكان القديم تاقرارت (تلمسان حاليا) تبلغ مساحته (3674 متر مربع) و له ثمانية أبواب ، و لقد شيد على مراحل : مرحلة يوسف ابن تاشغين 475هـ (1083م) ، مرحلة علي بن يوسف ابن تاشفين 530 هـ (1136م) ، مرحلة يغمرا سن الزياني الذي خلف أخاه زيدان بن زيان سنة (1236م) ، و هناك مساجد أخرى.

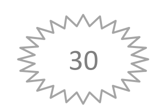
❖ مساجد وهران :

تميزت مدينة وهران بكثرة مساجدها ، و نذكر منها ما يلي :

- **مسجد و ضريح سيدي محمد ابن عمر الهواري**(1): هو مسجد أمر ببنائه الباي عثمان بن محمد و يعتبر أقدم مسجد بوهران ، و هو مسجد يقع في حي القصبة وله قبة مستطيلة ذات نوافذ زجاجية ملونة ، و شيد في الحي الاسباني و هو معلم أثري (2) .
- **جامع البيطار** : أسس عام 747 هـ (1347م) في شمال القصبة ثم حول إلى كنيسة ، ثم الآن هو مركز ثقافي(3) .
- **مسجد الباشا** : أسس من طرف الباي محمد الكبير عام (1796 م) بأمر من الداي حسين باشا أو كما يسمى "بابا حسن " (4) احتفالا بالفتح الكبير لمدينة وهران و تحريرها من العدو الاسباني و ذلك ضمن خطة لإعادة الوجه العربي الإسلامي لمدينة وهران بعد أن مسخها النصارى الاسبان و طمسوا معظم معالمها الإسلامية الحضارية ، و هو يقع شمال المدينة القديمة على الضفة اليمنى الشرقية بوادي " رأس العين " ومن بين حبوس هذا الجامع خزانة الكتب العامرة بالمصاحف القرآنية وكتب الفقه الإسلامي ، ومن ضمن مخطوطاته النادرة ، مخطوط كتاب المعيار في الفتاوى للعلامة أحمد الونشريسي(5) .

---

(1) عن الشيخ الهواري و حياته ، أنظر ، يحيى بوعزيزة ، مدينة عبر التاريخ ، ص 160
(2) Henri lean fey : histoire d’ Oran avant , pendant et après la domination espagnol , édition dar et Gharb(SD) , p 303
(3) يحيى بو عزيز ، مدينة عبر التاريخ ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، الجزائر " د.ت " ، ص 168 .
(4) بابا حسن حكم الجزائر ما بين (1791 م) و (1798 م).
(5) يحيى بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 69 .



- **مسجد الباي محمد الكبير** : أسس الباي عثمان بن محمد الكبير [1] عامي " 1799م– 1800 م " بجوار برج القصبة و الذي خلد تأسيسه في لوحة رخامية على جدار منارته المواجهة للقصبة ، و بعد الاحتلال الفرنسي حول إلى مستشفى عسكري لسنوات طويلة ، و لقد تم إصلاحه و فتحه و هو من المعالم و الآثار الهامة بوهران ، بشكله المعماري و الهندسي .

❖ **مساجد معسكر :**

كانت مدينة معسكر من أبرز المدن الجزائرية من حيث مساجدها و مكتباتها و علمائها ونشاطها الديني و العلمي و الفكري ، و من أبرز مساجدها :

- **الجامع الكبير أو جامع مصطفى بن التهامي**[2] : يقع هذا المسجد الكبير يقلب مدينة معسكر إلى الغرب من مسجد المبايعة ، بدأ تشييده في الفاتح محرم من عام 1117 هـ حسب اللوحة الرخامية المثبتة في الجدار الخلفي للمسجد و أمر ببنائه الباي الحاج عثمان بن إبراهيم الذي تولى أمر بايلك الغرب ، وما يميزه هو حصوله على ثلاث خزائن للكتب القديمة ، و أغلبها دينية ، ولقد ساهم هذا المسجد في تنوير عقول الأجيال الجزائرية و في إثراء الحياة الفكرية و المعرفية بشكل واسع .

و كان هدا المسجد معلما حضاريا ينشر مقومات الشخصية الجزائرية في فترات السلم و بمثابة المتصدي و الحامي لتلك المقومات في فترات الغزو و الاحتلال .

---

1)- الباي عثمان ابن محمد الكبير تولى حكم بايلك الغرب عام (1799م) بعد وفاة أبيه، أنظر يحي بوعزيز ، المرجع السابق ، ص 69.
2)- مصطفى بن التهامي ، هو صهر الأمير عبد القادر ، و أحد المقاومين معه و من رفاقه في السلاح و في الفكر و الثقافة و أحد كتابه .

ج- بعض مكتبات مساجد الغرب الجزائري :

كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق ، فان مساجد الجزائر قبل 1830 كان لا يخلو الواحد منها من خزانة كتب أو مكتبة .

❖ **خزانة الجامع الأعظم التاريخية بتلمسان :** كان علماء تلمسان و طلبتها مشتغلين بجمع الكتب و دراستها ، و كان ملوك بني زيان مهتمين بتعمير و إثراء المكتبات و من الأمثلة الحية على ذلك أن أبا حمو موسى الثاني قد أسس خزانة خصصت للطلبة و الراغبين في العلم و كان ذلك عام 760 هـ (1359 م) و قد كانت هذه المكتبة على يمين المحراب من الجدار القبلي الذي أثبتت به الخشبية [1] التي لا تزال مثبتته به إلى يومنا هذا ، و لقد هدمت هذه المكتبة و فقد ما كان فيها من كتب حوالي سنة 1266هـ (1850م) و كانت المكتبة غنية بالكتب المختلفة .

❖ **مكتبة أبو زيان محمد الثاني عام 796 هـ :** كانت بالقسم الأمامي من الجامع الكبير ، و لا تزال منها بقية إلى يومنا هذا بمكتبة ثانوية الحكيم بن زرجب بتلمسان و كانت بها عدة مخطوطات منها مخطوطان نفيسان أولهما : " كتاب الدر و العيقان في بيان شرف بني زيان " للحافظ التنسي ، و ثانيهما : " كتاب عجائب الأسفار " للشيخ أبي راس الناصر [2]

---

1) – ملاحظة :عند زيارتنا للجامع الكبير لاحظنا هذه الخشبة ، و التي كتب عليها عبارة توضح عليها تأسيس خزانة الجامع الكبير أنظر الملحق رقم (14).

2) - أبي راس الناصري ولد غربي بلدية وادي التاغية على بعد 8 كلم من قرية هونت احدى قرى دائرة سيدي بويكر الواقعة على بعد 50 كلم من مدينة سعيدة .عن هذا العالم الكبير أنظر: الأسفار و لطائف الأخبار لمحمد بن أحمد بن أبي راس الناصر ، تقدبم و تحقيق المخطوط ، د. محمد غالم ، منشورات crasc ،2005 .

❖ **مكتبة الجامع العتيق بندرومة :** هناك لوحة [1] من الخشب الأزرق كانت جزء من منبر جامع ندرومة وهي على لوحة على هيئة عقد نصف دائري ارتفاعها 01 متر و عرضها 0.72 متر ، و تتألف من اثني عشرة سطرا[2] ، و يؤكد الكثير من المؤرخين أن المؤسس الأول للجامع هو يوسف بن تاشفين خوالي سنة 474 هـ (1081 م) و هي الفترة التي استولى فيها على المغرب الأوسط ، و يقع المسجد بالحي الشعبي المسمى التربيعة .

و من أهم العناوين التي كانت بمكتبة ذلك المسجد نذكر : " العقد الفريد " لابن عبد ربه و " ترتيب الحوالك في مذهب الإمام مالك ".

عموما كانت مكتبات مساجد تلمسان ، وهران ، معسكر و مازونة و ندرومة و غيرها ، كانت مراكز علمية ببايلك الغرب و كانت عديدة و متنوعة الكتب و المخطوطات باتفاق أغلبية المصادر التاريخية و سنتعرض لبعضها في مبحث المكتبات و محتوياتها .

---

1)- نقشت هذه اللوحة بالخط الكوفي ، حيث تمتاز برقة في الفن و دقة في التنفيذ ، كتاباتها تشبه الكتابات في منبر جامع الجزائر الكبير ، ولمزيد من التفاصيل أنظر ريشيدبور ويبة ، الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية ، ص 30

2)- . R. bourouiba ,l'art religieux musulman en Algérie , Alger 1973, p 52.

ثالثا : الزوايا كمراكز مخطوطات و كتب :

3 1 : تعريفها، أهميتها و أهم الطرق الصوفية بالغرب الجزائري :

أ ـ تعريفـــها

الزوايا جمع زاوية ، و هي مؤسسة شاملة حيث أنها مسجد للعبادة و مدرسة للتعليم ، و خزان للمخطوطات و الكتب و ملجأ للهاربين و مأوى للغرباء و مركز للفقراء ، و هي مراكز لشيوخ الطرق الصوفية[1] في المغرب الإسلامي عامة و المغرب الأوسط خاصة ، و هي في نفس الوقت مراكز للعلم و الثقافة و جمع المخطوطات و الكتب و المحافظة عليها و خاصة منها العربية و الإسلامية.

تعتبر الطرق الصوفية التي تتبعها الزوايا من الملامح الهامة في تاريخ المغرب الإسلامي ، و ثمة وثائق تدل على ازدهارها منذ القرن الحادي عشر الميلادي[2] ، و كثيرا ما كانت زوايا هذه الطرق الصوفية تستعمل كمدارس و مكتبات و ملاجئ و بيوتا لعمل الخير [3].

المعروف أن الأصل في الزوايا هو الرباطات ، و هي الثغور التي يرابط فيها المجاهدون لحراسة حدود الدولة الإسلامية ضد الأعداء و الغزاة ، و من ناحية أخرى العمل على نشر الإسلام في مختلف جهات المعمورة ثم كانت أيام السلم تقوم بنشاط تربوي تعليمي تمثل خاصة في جمع و حفظ المخطوطات و الكتب .

لقد تميزت الجزائر العثمانية بكثرة طرقها الصوفية في المدن و الأرياف .

ب ـ أهميتها في المحافظة على العربية و الإسلام :

عن تلك الأهمية تكفي الإشارة فقط إلى ما كتبه الشيخ توفيق المدني: " لبعض الطرق الصوفية بقطرنا هذا (الجزائر) مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر ، هي أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل و الظلمات و عمل رجالها الكاملون الأولون على تأسيس الزوايا ، يرجعون فيها الضالين إلى سواء السبيل ، و يقومون بتعليم الناشئين ، و بث العلم في صدور الرجال ، و لولا تلك الجهود العظيمة .....لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثرا للعربية و لا لعلوم الدين ...."[4]

---

1)– محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1971، ص 244.
2)- روم لاندو (Rome lando)، تاريخ المغرب في القرن العشرين ، ترجمة ، نيقولا زيادة ، دار الثقافة ، بيروت 1963، ص 137
3)- روم لاندو (Rome lando)،نفس المرجع ، ص 138.
4) - أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، الطرق و الزوايا ، دار الكتاب الجزائري ، ط2، دار المعارف 1963، ص 350-351 .

ج - أهم الزوايا و الطرق الصوفية بالغرب الجزائري :

لقد اشتهرت الجزائر بكثرة زواياها و أضرحة أوليائها الصالحين ، فمثلا في الجزائر العاصمة بها زاوية و ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي ، أما في قسنطينة و نواحيها فتشير الإحصائيات إلى أن هناك ستة عشرة زاوية ، و منها زاوية سيدي الكتاني و زاوية سيدي راشد كما أن منطقة زواوة و بجاية اعتبرت من أغنى مناطق الجزائر من حيث الزوايا إذ يمكن أن تصل إلى خمسين زاوية أما في الغرب الجزائري فاشتهرت تلمسان و نواحيها بكثرة الزوايا ، منها :

- زاوية سيدي الذيب
- زاوية سيدي بومدين
- زاوية محمد السنوسي
- زاوية أحمد الغماري
- ضريح سيدي الحلوي الأندلسي و زاوية عين الحوت .

يبدو أن عدد الزوايا في الغرب كان أكثر منه في الشرق الجزائري ، و ربما يعود ذلك إلى استمرار الجهاد في الغرب دون الشرق وإلى كثرة الزوايا و المرابطين في المغرب الأقصى ، ثم أن حجاج و رحالة المغرب كانوا يعبرون الجزائر و يغذون فكرة المرابطية فيها و ينشرون مبادئ زواياهم وشيوخهم ، كما كانوا يعودون بمثل ذلك من المشرق في طريقهم إلى المغرب[1] .

هناك زوايا تطور اهتمامها بالعلم والعلماء و الكتب و تخزينها إلى درجة أن تحولت تدريجيا إلى مدارس عليا أو معاهد مثل زاوية مازونة وزاوية عين الحوت بتلمسان .لقد كانت بعض زوايا الغرب الجزائري غنية بفضل أوقافها مثل زاوية القيطنة بمعسكر[2] حيث كانت تطعم أعدادا كبيرة من الزائرين، و تؤويهم و تعلمهم مختلف العلوم خاصة ما تعلق بعلوم الدين الإسلامي و عموما كان دورها يهدف إلى خدمة الجهاد و في نفس الوقت أداء مهمة العلم[3] .

---

1) سعد الله ، أبو القاسم ، المرجع السبق ، ص 268.
2) سنتطرق إلى تلك الزوايا ونعرفها ، في المبحث الموالي عند الحديث عن مكتباتها .
3) أنظر ما كتبه ابن مرزوق في كتابه ، المسند الحسن ، فيما نشره ليفي بروفانسال (Levi provençal) في مجلة "هيسبريس"، 1925م ، انظر أيضا الفصل الأول من هذا الكتاب للمهدي البوعبدلي ، الأصالة ، العدد 13 ، سنة 1973 ، ص 19 .

لقد استمرت الرباطات أكثر في الجهة الغربية حيث ظل الإسبان في وهران و المرسى الكبير و عندها لعبت الرباطات دورا كبيرا في فتح وهران الأول 1119 هـ ، و الثاني 1205 هـ ، و لقد اشتهر من علماء الرباطات أيام الفتح الثاني ، محمد بوجلال و الطاهر بن حوا و محمد بن علي الشارف المازوني ، وكانوا يدرسون ويحاربون أيضا [1]، ويمكن إضافة زاوية الشيخ محمد بن علي المجاجي التي كانت زاوية و مدرسة و رباط في آن واحد [2] ، ولقد كانت هناك رباطات و زوايا تنشر التعاليم المضادة و المعارضة لنظام الحكم العثماني مثل زوايا و معاهد الطرق الآتية : الدرقاوية – التيجانية – القادرية – الرحمانية – الزيانية و غيرها .

يجب الإشارة الى أن معظم المرابطين الجزائريين قبل العهد العثماني كانوا من أتباع الطريقة الشاذلية ، و كان ذلك التأثير يأتي عن طريق طلب العلم في المغرب الأقصى و عن طريق الحج [3] .

و سنتطرق إلى بعض مكتبات الزوايا في الفصل الموالي الخاص بها و موقف الاستعمار الفرنسي منها .

---

1) – جاء في ياقوتة النسب الوهاجة لأبي حامد المشرفي أن هذه الزاوية كانت مركزا "لإقراء الضيفان و لمن يجاهدون في سبيل الله"
2) – ابن سحنون ،" الثغر الجماني " ، مخطوط بباريس رقم 41
3) – عن عدد من الطرق الصوفية في الجزائر ، أنظر مقالة الشيخ المهدي البوعبدلي ، مجلة الأصالة ، يناير 1978، ص 30 .

رابعا : المكتبات بغرب الجزائر و محافظتها على تراث المساجد و الزوايا

تمهيـــــد:

لقد كانت الكتب في الجزائر العثمانية تنتج محليا عن طريق التأليف و النسخ، أو تجلب من الأندلس و مصر واسطنبول و الحجاز ولذلك كان هناك رصيد كبير من المكتبات قبل مجيء العثمانيين وخاصة في تلمسان التي كانت عاصمة علمية مزدهرة بلغت فيها صناعة الكتاب ، تأليفا ونسخا وجمعا، درجة جد متقدمة ونفس الشيء بالنسبة لقسنطينة و بجاية وكذا مدينة وهران خلال القرن التاسع هجري(15م) حيث وجدت مكتبة خاصة بزاوية إبراهيم التازي التي احتوت على الخزائن المملوءة بالكتب العلمية وآلات الجهاد"[(1)]، ولقد كتب التمغروطي في"النفحة المسكية" في أواخر القرن العاشر هجري (16م) بأن مدينة الجزائر كانت كثيرة الكتب وأنه لا يضاهيها بلد في ذلك من البلدان الإفريقية ، ولاسيما كتب الأندلس.

بعد احتلال قسنطينة مباشرة (1837م) كتب البارون ديسلان (Baron de salane)[(2)]

تقريرا عن المكتبات بقسنطينة اعترف فيها مندهشا من كثرة الكتب التي وجدوها و من تنوعها وجمالها والعناية بها ، ونفس الشيء عبر عنه المستشرق و المتخصص في علم المكتبات أدريان بيربروجير (Adrien berbrugger)[(3)] فيما يتعلق بمخطوطات وكتب مكتبات تلمسان ومعسكر خاصة و أنه رافق الحملة العسكرية على تلك المدن(1835م -1836م).

لقد دخلت إلى الجزائر كتب عديدة من المناطق الإسلامية المذكورة سابقا خاصة أواخر القرن الثاني عشر الهجري (18م) وخاصة الكتب العلمية وهذا ما يؤكد اهتمام وعناية الجزائريين بالكتب ، ولقد أكد الجبرتي "في عجائب الآثار" ذلك عندما ذكر بأن مثل هذه الكتب لا توجد حتى في خزائن الملوك لأنها كتب نادرة[(4)].

---

1) – ابن صعد ، النجم الثاقب ، مخطوط رقم 20، المكتبة الوطنية الجزائرية
2) – البارون دوسلان (Baron de salane) : (1801م-1878م)،هو من كبار مستشرقي فرنسا ،و هو مترجم ، وفيات الأعيان لإبن خلكان ، وكان يشتغل مترجما بوزارة الخارجية الفرنسية
3) – أدريان بيربروجير (Adrien berbrugger) :هو محافظ لمكتبة مدينة الجزائر سنة (1836م) و كان في نفس السنة رئيس تحرير جريدة المرشد الجزائري (moniteur algérien) ، كاتب و أمين سر المارشال كلوزيل (clauzel) الحاكم العام للجزائر ، و هو من مؤسسي الجمعية التاريخية الجزائرية و كذلك المجلة الإفريقية (la Revue Africain e).
4)- سعد الله (أبو القاسم) ، المرجع السابق ، ص 270.

لقد جلب الجزائريون المخطوطات و الكتب من تركيا خاصة كتب الفقه الحنفي ونسخ كثيرة من صحيح البخاري و مختصرات مثل مختصر ابن أبي جمرة وكتب الأدعية والأذكار الخاصة بالطرق الصوفية كالبكداشية و المولوية و القادرية، كما أن علماء الجزائر الذين درسوا بالمغرب الأقصى حملوا معهم من هناك عدد من الكتب، ثم ما جاء به علماء المغرب الذين زاروا الجزائر و أقاموا فيها[(1)]

4 $_1$: النسخ و التأليف :

أ - النسخ و الاستنساخ :

لقد عرفت الجزائر العثمانية كما تشير إلى ذلك معظم المصادر والمراجع ، عددا كبيرا من الحريصين على جمع الكتب و اختلفت عملية النسخ و الاستنساخ وهي حركة انتشرت في الجزائر فاختص فيها عدد كبير. و من شروطها ، جودة الخط ، حسن اختيار الورق،المهارة في التوثيق ،الدقة في العمل و إتقان صناعة الورق .

ذكر ابن خلدون بأن النسخ بالخط الأندلسي كان هو الغالب على الخطوط الأخرى في الغرب الإسلامي و هو المعروف اليوم بالخط المغربي، زيادة على الخط المعروف بالعثماني.

ومن أشهر الخطاطين **أبو عبد الله بن العطار** ، خاصة في قسنطينة، وكان يقصده العام و الخاص في الوثائق و العقود[(2)]، ثم **الشيخ إبراهيم الحركاتي ومحمد الزجاي** و **أحمد التليلي** الذي قال عنه **الورتلاني** الذي رافقه في حجته الأولى سنة 1153هـ ، أنه كان بديع الخط ، سريع اليد و كان من علماء الظاهر و الباطن، ثم حسين بن عبد الله الجزائري الذي كانت له مهارة في صناعة التوريق[(3)]

وتشير المصادر إلى أنه كان بالجزائر العثمانية، بعض المشتغلين بصناعة الكتب من وراقة وتجليد ونسخ وخط وغيرها من المهن التي لها علاقة بالكتاب المخطوط و المكتبات.

---

1) - سعد الله (أبو القاسم)، في موضوع "هجرة العلماء من و إلى الجزائر "، المرجع السابق ، ص 289.
2) – عبد الكريم الفكون الحفيد ترجم لجده كتاب :"منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم و الولاية "، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية – ملاحظة : عائلة الفكون عائلة من أشرف عائلات مدينة قسنطينة ، فعبد الكريم الفكون و أحفاده كلهم علماء ، أب عن جد .
3) – محمد خلبل المرادي ، سلك الدرر ، رقم 55/02 ، عن د. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500م-1830م، مرجع سابق ص 278.
ملاحظة:الخطاطون المسطر عليهم أعلاه ، هناك ترجمة لهم ، في "تعريف الخلف برجال السلف" للحفناوي .

وروى ابن حماد وش عن نفسه أنه كان يشتغل بالكتب بيعا وتجليدا ونسخا في مدينة الجزائر ، وأنه كان يملك دكانا لهذا الغرض قبالة الجامع الكبير،وكان بمدينة الجزائر سوق يسمى سوق الوراقين وربما هو سوق القيصرية الذي قصده حمدان خوجة في كتابه "المرآة" والذي قال عنه بأنه كان مخصصا لبيع الكتب وكثرة النساخين به .

- بالنسبة للغرب الجزائري اشتهر كثير من الذين شجعوا على حركة النسخ و الإستنتاخ ونذكر منهم **الباي محمد الكبير**[1] حيث كان يحث الطلبة والكتاب على اختصار الكتب المطولة ونسخ بعضها الآخر و كان يدفع أجورهم بسخاء، حيث أمر البعض بنسخ كتاب "الاكتفاء" لابن زرفة في كراسة، ثم جمع كتاب "روضة السلوان" لإبراهيم الفجيجي[2]،ثم أمر الباي بعض كتابه أيضا وخاصة محمد المصطفى بن زرفة بتسجيل و كتابة حوادث الجهاد التي جرت بين الجزائريين و الإسبان[3] .

لقد كان الشراء من أهم طرق الحصول على الكتاب، ولم يكن ذلك مقتصرا على الأغنياء بل حتى الفقراء وخاصة العلماء منهم ، حيث اقتنى **الشيخ ابن اسماعيل** معظم كتبه من اسطنبول، كما لاحظ ذلك **العياشي** وكذلك **ابن حماد وش** الذي اشترى بعض كتبه من المغرب الأقصى ثم نسخها بنفسه بعد أن استعارها من أصحابها ،و تذكر المصادر أن المفتي **سعيد قدورة** قد اشترى لمكتبة الجامع الكبير بمدينة الجزائر كتبا كثيرة من فائض الأوقاف، وذكر **البطيوي** صاحب "مطلب الفوز و الفلاح" أن شيخه ابن مريم صاحب "البستان" قد مات على أكثر من ستمائة (600) كتاب [4].

---

1) – عن الباي محمد الكبير و بعثه للحركة الثقافية ببايلك الغرب ، أنظر المصادر الآتية : *أبي راس الناصري : "عجائب الأسفار و لطائف الأخبار" ، هو مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1632 .

*** أحمد بن سحنون الراشدي : "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، تحقيق و تقديم المهدي البوعبدلي ، مطبعة البعث ، قشنطينة في مارس 1973م .**

***أحمد ابن هطال التلمساني: "رحلة محمد الكبير الى الجنوب الصحراوي الجزائري"، تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم ، عالم الكتب القاهرة 1969م .**

2)- عن هذا العالم أي ابراهيم الفجيجي أنظر كتاب : "تعريف الخلف برجال السلف "، للشيخ أبي القاسم الحفناوي ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1985م،ص 15.

3)- ابن سحنون / "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، نفس المرجع.

4) – سعد الله (أبو القاسم) ، المرجع السابق ص 293.

ملاحظة: عن أولائك العلماء المسطر عليهم أعلاه و ترجمتهم مع مؤلفاتهم ، أنظر أولا : "تاريخ الجزائر الثقافي 1500م-1830م"، لأبي القاسم سعد الله ، و ثانيا الى : " تعريف الخلف برجال السلف "للحفناوي – (المراجع السابقة).

ب- التأليـــــف :

لقد كان التأليف من الوسائل الهامة لنمو وشراء المكتبات حيث لا نجد عالما الا و له قائمة من المؤلفات في مختلف العلوم المتداولة، ومن أشهر المؤلفين نذكر كل من :

- **عبد الرحمن ألأخضري** – **أحمد المقري** – **عبد الكريم الفكون** – **ابن مريم** – **أحمد البوني**
- **أبي راس الناصر** [1] – **ابن حماد وش** – **سعيد قدورة**- **المشرفي** و غيرهم كثير.

وهناك علماء ألفوا كتبهم داخل الجزائر وآخرون ألفوها خارجها ،فمثلا نجد المقري ألف موسوعته عن تاريخ الأندلس " نفح الطيب" في مصر، كما ألف "أزهار الرياض" في المغرب الأقصى[2].

لقد كان الحج و الرحلة في طلب العلم وراء انتشار حركة التأليف واقتناء الكتب وخاصة العلماء الذين أتوا من المغرب الأقصى مثل: **محمد التواتي**- **علي الأنصاري** – **ابن زاكور** – **عيسى البوسعدي الهنتاتي** – **أحمد الورززي التطواني**، كلهم دخلوا الجزائر ومعهم كتبهم وورد على الجزائر عدد من علماء تونس[3] ومعهم تآليفهم و مكتباتهم: - **إبراهيم الغرياني** – **حمودة بن عبد العزيز** – **إبراهيم الرياحي**.

ولولا الرحلة في طلب العلم و الحج لما نشطت همم هؤلاء العلماء للتأليف وتغذية وشراء مكتبات المساجد و الزوايا و المدارس بإنتاجهم.

4 2 :المكتبات العامة و الخاصة :

أ - العامـــــة :

نقصد بالمكتبات العامة خلال العهد العثماني، تلك التي كانت ملحقة بالمساجد و الزوايا و المدارس ولم تكن بالمعنى الذي يعنيه مفهوم المكتبة اليوم و الذي يدخل في إطار ما يسمى بعلم المكتبات.

---

1) – أبي راس الناصري ، فتح الإلاه و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته ، مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط (المغرب)، رقم 2263 ، 2332، و هي الآن مطبوعة .

2) – عن العلماء الذين هاجروا من المغرب نحو الجزائر أو العكس ، أنظر ما جاء عنهم في كتاب :"تاريخ الجزائر الثقافي 1500م-1830م" لأبي القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص 423- 444

3)- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي 1500م-1830م ، المرجع السابق ، ص 436.

لقد كانت المساجد و الجوامع و الزوايا تحتوي على خزائن الكتب الموقوفة على الطلبة العلماء وكانت كتب هذه الخزائن تختلف من حيث قلتها أو كثرتها حسب أهمية الوقف الذي كانت تتغذى منه و حسب أهمية الجامع و أمانة وكيل الوقف وتبعا كذلك لعدد السكان ، ومن أشهر هذه المكتبات العامة نذكر على سبيل المثال:

- مكتبة الجامع الكبير بالجزائر – مكتبة المدرسة الكتانية التي أسسها صالح باي بقسنطينة – مكتبة المدرسة المحمدية[1] التي أسسها الباي محمد الكبير في معسكر – مكتبة زاوية الشيخ التازي بوهران رغم أنها كانت قبل مجيء العثمانيين، كما أن صاحب كتاب "القول البسيط في أخبار تمنطيط" تحدث عن وجود كتب كثيرة في الزاوية البكرية[2]، كما كانت زاوية القيطنة بمعسكر تحتوي على كتب كثيرة وهي الكتب التي تثقف منها الأمير عبد القادر، ثم لابد من ذكر مكتبة مدرسة مازونة[3].

ب - الخاصـــــة:

نقصد تلك المكتبات الفردية أو الشخصية أو العائلية و كان عددها كثير جدا في فترة الجزائر العثمانية ومن الصعوبة حصرها ، ورغم ذلك هناك من هذه المكتبات التي اشتهرت كثيرا مثل:

- مكتبة عائلة الفكون بقسنطينة حيث كانت مكتبة ضخمة حتى أصبحت مضرب الأمثال خاصة خلال الاحتلال الفرنسي، وهي المكتبة المعروفة باسم حمودة الفكون[4].

---

1)- المدرسة المحمدية ، أسسها محمد ابن عثمان الكبير الى جانب المسجد الأعظم على شاكلة "المدرسة البوعنانية بفاس "لتكون قاعدة لنشر التعليم في المنطقة أي بايلك الغرب و جهزها بجميع الوسائل التعليمية من مكتبة و قاعات للمطالعة الخ...، و عمل على أن تكون لكل مدرسة و جامع و زاوية مكتبتها الخاصة بها .
حول هذه المدرسة و الحركة الثقافية في عهد محمد الكبير ، أنظر مقالة للأستاذ صالح فركوس ، مجلة الثقافة ، العدد 71، سبتمبر – أكتوبر 1982م ص 16.

2) – فرج محمود فرج ، مخطوطات إقليم توات ، أطروحة ، كلية ألآداب جامعة الجزائر 1980م ، تحت إشراف د. أبو القاسم سعد الله .

3)- عن مدرسة مازنة و خزانة كتبها و أهميتها العلمية و الدينية ، أنظر الفصل الأول من هذا البحث .

4)- عن محتوى مكتبة الشيخ حمودة الفكون في قسنطينة وضع البارون دي سلان (Baron de salane) ، قائمة لبعض كتبها و مخطوطاتها ، خاصة بعد الحملة العسكرية على قسنطينة 1837م ما حملته معها من مخطوطات و كتب جمعها بير برجر (A.Berbrugger) الذي صاحب الحملة ،و مما جمعه نذكر : *المعلقات السبع للتبريزي * مقامات الحريري *المستملح من التكملة عن حياة مشاهير الأندلسيين.

- مكتبة أبي راس الناصر التي حبسها عليه أحد بايات وهران وسماها : بيت المذاهب الأربعة[1].
- مكتبة الزجاي، التي قيل عنها بأنها: "إحدى الخزائن الكبار التي تحتوي على أحمال من المجلدات و الأسفار"[2].

وهناك مكتبات شخصية و عائلية أخرى، المعروفة منها أقل بكثير من غير المعروفة خاصة و أن هناك عائلات تقدس مكتباتها إلى درجة إخفائها و التستر عليها.

4 3 : بعض محتويات المكتبات و مصيرها :

أ - محتويـاتـــها :

كانت معظم مخطوطات وكتب تلك المكتبات بنوعيها في العهد العثماني لا تخرج عن نطاق العلوم الدينية الإسلامية، حيث كانت مواضيعها حول التفاسير و الأحاديث النبوية الشريفة وشروحها وكتب الفقه و الأصول ثم التوحيد، وهذا لا يمنع من وجود كتب حول العلوم اللغوية و العقلية مثل كتب التاريخ و الجغرافيا و الفلسفة و المنطق و الحساب و الفلك و الطب ، لكن ذيوعها أقل .

إن تأليف ابن حماد وش العلمية، وتقارير العلماء الفرنسيين مباشرة بعد (1830م) عن مكتبات الجزائر ، بينت بأنها كانت غنية بمختلف أنواع المعارف مع وفرة الكتب الدينية ، كما سنرى ذلك في الفصل الأول لاحقا .كما أشرنا الى ذلك سابقا فعدد من الكتب جاءت عن طريق الوقف [3]، فالواقف عادة ينص على أن الكتاب موقف في سبيل الله على طلبة الجامع أو الزاوية أو المدرسة التي يوجد فيها، لقد ذكرت المصادر عدد من الأوقاف المتعلقة بالمخطوطات و الكتب بتلمسان، نذكر منها:

1) – عجائب الأسفار و لطائف الأخبار ،أبي راس الناصري ، الجزء الأول ، تقديم و تحقيق المحطوط لمحمد غانم ، منشورات كراسك (CRASC) ، وهران 2005م، ص 37- 39.
2)- سعد (أبو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500م-1830م ، المرجع السابق ، ص 285.
3)- نص في وقفية جامع الباي محمد الكبير بعدم إخراج الكتب من مسجد ، أنظر لكليرك(Lequlerc) ، المجلة الإفريقية (R.A) ، 1859 ، ص 43.

- وقفية مسجد محمد بن يوسف السنوسي، الكتب التالية[1]:



1 - نسختان من صحيح البخاري
2 - شرح الشبرخيتي على مختصر خليل ، في أربعة أجزاء .
3 - شرح الخرشي على مختصر خليل الجزء الأول منه.
4 - تنبيه الأنام في جزئين.
5 - نسخة من سيرة السنوسي الللالي وهو " المواهب القدسية في المناقب السنوسية".
6 - نسخة من الشيخ العروسي في سفرين.

- وجدت وقفية أوقفتها السيدة فاطمة بنت ابن جيور على مسجد الغريبة بتلمسان احتوت على :

1 - نسخة من تأليف الجوزي
2 - نسخة من تأليف السيوطي وكلاهما في أحوال الآخرة[2].

- وقفية الباي محمد الكبير على مدرسة مازونة سنة1212هـ و المتمثلة في نسخة من صحيح مسلم وغيرها من الكتب[3].

ب - مصير مكتبات المساجد و الزوايا :

عموما كان مصيرها غير آمن ، فقد ضاع أو أتلف العدد الكثير منها خاصة خلال الحروب و الثورات وما يرافقها من فوضى ونهب و تهريب و إهمال، حروب وقعت بين الجزائريين و الإسبان وثورات من حين لآخر يقوم بها الجزائريين ضد العثمانيين، وحروب قبلية بين القبائل و غيرها، مما أدى إلى بعثرة الكتب وسوء التصرف بالخزانات و المكتبات،مثلما وقع لمكتبة ابن الصخري[4] والتي أتلفت نتيجة حروب عائلية ضد الأتراك، ثم مكتبة الزجاي والتي تبعثرت بسبب ثورة درقاوة[5] .

---

1) – سعد الله(أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي 1500م- 1830م، المرجع السابق ، ص299.
2) – سعد الله (أبو القاسم)، نفس المرجع ، ص299.
3)- سعد الله (أبو القاسم)، نفس المرجع ، ص299.
4)- سعد الله (أبو القاسم)، نفس المرجع ، ص299.
5)- درقاوة ، نسبة إلى الطريقة الصوفية الدرقاوية و التي ثارت ضد الحكم العثماني في الغرب الجزائري سنة 1220هـ ، و كانت هذه الطريقة المغربية الأصل قد انتشرت في وقت ازداد الضعف السياسي للحكم العثماني في الجزائر الذي رد بالعنف على الدرقاويين (أهل الطريقة) الذين عملوا على إضعاف الحكم العثماني في إقليمي قسنطينة و وهران .
- ملاحظة1: تعاليم الدرقاوية متفرعة عن الطريقة الأم التي هي الطريقة الشاذلية
- ملاحظة 2 : عن الثورات الجزائرية ضد الحكم العثماني ، أنظر الفصل الثاني من : تاريخ الجزائر الثقافي 1500م-1830م لسعد الله ، المرجع السابق ، ص 209.

لقد تحدث ابن المفتي الذي وصف حياة العلماء خلال القرنين الحادي عشر و الثاني عشر (17م-18م) ، بأن وكيل و مفتي الجامع الكبير بالعاصمة الحاج أحمد قدورة كان مهملا لمكتبة الجامع مما سمح لبعض العلماء بأخذ الكتب إلى بيوتهم وبيع بعضها ، وهكذا مثلا تفرقت مكتبة الجامع الكبير نتيجة الإهمال وضعف الضمير.

لقد أخبر الورتلاني صاحب "الرحلة " أن خزانة كتب والده والتي كما قال كانت عظيمة وأن غيره لا يملك مثلها، قد ضاعت عند حدوث الوباء[1].

لقد حكى العياشي[2] في رحلته أن الشيخ محمد ابن إسماعيل[3] أوصى بأن تحمل مكتبته إلى الروضة النبوية مع جثمانه و أوصى كذلك بثلاثمائة دينار إلى من يحمل الجثمان، ولكن المكتبة عانت في الطريق قبل أن تصل إلى المدينة ،حيث ضاع منها الكثير، كما يقول العياشي فبعد أن كانت تحتوي على ألف و خمسمائة مجلد لم يصل منها إلى المدينة المنورة إلا حوالي مائة و سبعين كتابا ، وهو العدد الذي رآه العياشي بنفسه هناك.

هي مجموعة من الأمثلة التي تبين ما وقع للكتب و المكتبات العربية و الإسلامية العامة و الخاصة خلال الحروب و الثورات الإسبانية قبل 1830. إن أقسى محنة مرت بها مخطوطات و كتب المكتبات الجزائرية هي تلك التي عانت منها مع بداية الاحتلال الفرنسي سنة (1830م) وطيلة وجود ذلك الاستعمار و ما نتج عنه من حروب و تخريب و هجرة لكبار العلماء و الأغنياء إلى الخارج مع بعض كتبهم و مخطوطاتهم ووثائقهم، حيث روى الفرنسيون أنفسهم حكايات غريبة و مثيرة كما وقع

---

1) – سعد الله (أبو القاسم)، المرجع السابق ، ص301.

2)- أبي القاسم محمد الحفناوي ، "تعريف الخلف برجال السلف ، مؤسسة الرسالة ، المكتبة العتيقة ، الطبعة الثانية ،بيروت 1985م ، ص 60.

ملاحظة : يتحدث عن ترجمة أبي سالم العياشي و "رحلته "

3)- أبي القاسم محمد الحفناوي ، نفس المرجع ، ص 220.

لمكتبات قسنطينة و معسكر و تلمسان، فعند الإطلاع على تقارير عدد من المستشرقين مثل:

بير بروجر (Berbrugger)[1] و دوستلان (de salane)[2] و غيرهم يصاب الباحث بالدهشة و الصدمة و الأسف ،فتكفي الإشارة لما وقع لمكتبة الأمير عبد القادر أو مكتبة الشيخ حمودة الفكون و مكتبة بشتارزي في قسنطينة، و عدد من مكتبات تلمسان و مكتبات الزوايا بمختلف جهات الجزائر، وكذا ما حصل للمفتي ابن العنابي عندما نفي من مدينة الجزائر فحمل معه بعض كتبه إلى مصر ، وهي لا تزال لحد الآن هناك تحمل ختمه و خطه[3].

- ما موقف السلطات الاستعمارية من مكتبات المراكز الدينية و التربوية الجزائرية ؟،
- كيف كان مصير التراث الجزائري العربي الإسلامي خاصة في القطاع الوهراني مع بداية الاحتلال الفرنسي و إلى غاية سنة 1900م؟ ،
- ما هو الدور الذي لعبه المستشرقون الفرنسيون فيما يخص التراث الفكري الجزائري العربي الإسلامي ؟
- كيف كانت ردود فعل الجزائريين لمواجهة سياسة فرنسا فيما يتعلق بذلك التراث الفكري المخزن في خزانات مساجد و زوايا الجزائر ؟ .

---

1) – المستشرق و الباحث الفرنسي بير بروجر A. Berbrugger) نتعرض لأعماله و مغامراته في مبدان تتبع المخطوطات و الكتب في المكتبات الجزائرية مع بداية دخول الإستعمار الفرنسي .

2) – المستشرق دو سلان (Baron de salane)، نتعرض لأعماله حول مخطوطات و كتب المكتبات الجزائرية في الفصل الموالي .

3)- سعد الله (أبو القاسم) تاريخ الجزائر الثقافي 1830م- 1954م،الجزء الثالث ، دار البصائر ، الجزائر 2007م

الفصل الأول

مكتبات المساجد و الزوايا بالقطاع الوهراني خلال القرن (19م)

المكتبات العربية الإسلامية بالقطاع الوهراني

مكتبات المساجد (تلمسان و مازونة نموذجا)

مكتبات الزوايا (الزاوية العبد لية و زاوية القيطنة نموذجا)

هجرة العلماء نحو المغرب و انعكاساتها على مكتبات القطاع الوهراني

تمهيـــــد :

منذ البداية أنتهج الاستعمار الفرنسي سياسة واضحة للقضاء على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها الثقافية و الأخلاقية و السياسية و الحضارية المتمثلة خاصة في تراثه الفكري و اللغوي و الديني .

لقد وجد الشعب الجزائري نفسه فجأة يقاوم على عدة جبهات :

جبهة الاستعمار المتمثلة في الغزو العسكري ، جبهة التبشير و التنصير المتمثلة في الغزو الصليبي ، جبهة الاستيطان المتمثلة في مصادرة الأراضي ثم جبهة الإستشراق المتمثلة في الغزو الثقافي و الفكري.

- و لقد تمثل رد فعل الشعب الجزائري على هذا الاستعمار المتعدد الأوجه في المقاومة الشعبية المسلحة[1] و التي يمكن اعتبارها بداية تبلور و نضج الوعي الوطني لدى الجزائريين ، خاصة و أن تلك المقاومة الشعبية انطلقت في معظمها من المراكز التربوية و التعليمية الإسلامية و خاصة الطرق الصوفية و زواياها المتعددة و التي تزعم شيوخها و مريدوها معظم تلك المقاومات و في نفس الوقت اهتموا و حافظوا على التراث الفكري لمكتبات تلك المراكز من مساجد وزوايا .

هي إذن مقاومة اعتبرت بمثابة دفاع عن الثقافة الجزائرية و جعلها تصمد ضد الذوبان و سياسة التبشير و التنصير .

إن فرنسا هي صاحبة مشروع استعماري استيطاني ثقافي و تنصيري و لذلك أول عمل قامت به هو الاستيلاء على الأوقاف العربية و الإسلامية في الجزائر و خاصة المراكز التربوية و التعليمية مثل المساجد و الزوايا و الاستحواذ على تراثها الفكري من مخطوطات و مكتبات ثم متابعة العلماء الجزائريين و دفعهم إلى الهجرة خارج الجزائر.

---

1 - مقاومة الأمير عبد القادر(1832 – 1847)
مقاومة أحمد باي (1832- 1848)
مقاومة لالا فاطمة نسومر (1851- 1857)
مقاومة أولاد سيد الشيخ (1864 – 1880)
مقاومة المقراني و الشيخ الحداد (1871- 1872)
مقاومة الشيخ بوعمامة (1881- 1904)
و غيرها من المقاومات المتعددة .

لقد لعب المستشرقون الفرنسيون دورا بارزا لتحقيق ذلك المشروع الاستعماري ، فالمعركة بالنسبة لمنظري الحركة الاستعمارية الفرنسية هي معركة فكرية من حيث وسائلها و أدواتها وساحاتها و غاياتها ، و الخسران فيها ، حسبهم ، هو أشد وطأة و أقوى تأثيرا و أعظم فتكا من خسارة أي معركة عسكرية أيا كان حجمها [1] .

ولذلك سارع الفرنسيون بمجرد احتلالهم للجزائر إلى الاستحواذ على المخطوطات ، و البحث على الكتب و المؤلفات و بعبارة أوسع على خزانات و مكتبات الجزائر خاصة الموجودة بالجوامع و المساجد و الزوايا ، حيث تهافت الجيش الفرنسي و معه عدد من العلماء الفرنسيين على خزانات الكتب ، ففي سنة 1835 استحوذ الفرنسيون في مدينة معسكر مثلا على مخطوطات تخص مواضيع متنوعة من المعرفة [2] .

- ما هي أهم المراكز التربوية و التعليمية التي كانت موجودة بالقطاع الوهراني غداة الاحتلال الفرنسي ؟
- هل كان هناك اهتمام بخزانات و مكتبات المساجد و الزوايا بالقطاع الوهراني ؟ ما هي الكتب و المخطوطات التي كانت تحتوي عليها تلك المكتبات ؟ كيف تصرفت فرنسا مع ذلك التراث الفكري الجزائري المخزن بالمساجد و الزوايا ؟

متى أنشأت فرنسا ما سمته بالمكتبة" الوطنية" ، خاصة و أنها مكتبة تزودت بكثير من مخطوطات و كتب نهبها الضباط و المستشرقون الفرنسيون من خزانات مساجد و زوايا و عائلات القطاع الوهراني ؟

ما هي انعكاسات هجرة عدد من علماء الغرب الجزائري بخزاناتهم عل التراث الفكري بالمنطقة ؟

---

1)- الطيب إبراهيم ، الإستشراق الفرنسي ، دار المنابع ، الجزائر 2004 ، ص 178.

2)- Abdelhamid arab « bibliothèque national d'Algérie création et développement des origines a la veille de l'indépendance , B.N.A.2004.P16.

- ما هو الدور و العمل الذي قام به المستشرقون الفرنسيون من خلال اهتماماتهم بالمكتبات الجزائرية ؟ و ما هي الفهارس العلمية و القوائم الإسمية التي أنجزوها ؟

أولا : المكتبات العربية الإسلامية بالقطاع الوهراني :

1 1 : تأثر مكتبات القطاع الوهراني بالحضارة العربية الإسلامية :

لقد ظهرت مكتبة المسجد مع ظهور حفظ و ترتيل القرآن الكريم في المساجد ، حيث ورد في الموسوعة العربية حول الوثائق و المكتبات أن : " المساجد هي مكتبات عامة ، و المكتبات في الإسلام نشأت مع نشأة المساجد "[1].

لقد اتخذ المسلمون المسجد مكانا للدراسة ، و لذلك كانت أغلب المساجد تملك مكتبة خاصة بها حيث كان كبار العلماء يوقفون ما لديهم من الكتب في المساجد مما ساهم في توسيع و نشر و تغذية الحضارة العربية الإسلامية و في هذا الصدد يقول العلامة ابن خلدون : " فكثرت التآليف العلمية و الدواوين و حرس الناس على تناقلها في الآفاق و الأعصار ، فانتسخت و جلدت و جاءت صناعة الوراقين المعانين للإنتساخ و التصحيح و التجليد وسائر الأمور الكتبية و الدواوين .... ثم وقفت عناية أهل العلوم و همم أهل الدول على ضبط الدواوين العلمية و تصحيحها بالرواية المسندة إلى مؤلفيها وواضعيها ....بذلك تسند الأقوال إلى قائلها و الفتيا إلى الحاكم بها المجتهد في طريق استنباطها...."[2].

إذن من هنا يتضح مدى اهتمام سلف هذه الأمة بكل ماله علاقة بالمكتبات، بل أكثر .من ذلك ساهمت تلك الصناعة التي تحدث عنها ابن خلدون أي صناعة الكتب ، ساهمت في عملية العطاء الحضاري في وقت كانت فيه أوروبا تتميز بالجهل[3] .

---

1)- عبد التواب شرف الدين ، الموسوعة العربية في الوثائق و المكتبات ، ط1، دار الثقافة ، الدوحة ، 1986، ص 171.
2)- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من دوي السلطان الأكبر ، الجزء الأول ، دار الجيل بيروت ، 1993، ص 476
3)- شعبان عبد العزيز خليفة ، الكتب و المكتبات في العصور الوسطى ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1997 ، ص 344 .

- هناك عدة عوامل ساعدت على ظهور مكتبات المساجد نذكر منها :
* تشجيع الإسلام للعلم و العلماء من خلال ما جاء في القرآن الكريم من آيات : "يرفع الله الذين أمنوا منكم و الذين أوتوا العلم درجات "[1]

" اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ..."[2] .

* الاهتمام بالخط و الكتابة و الوراقة و النسخ و التجليد و التدوين ، و اعتبارها صناعة تدخل في عداد الصنائع الإنسانية و هنا يقول ابن خلدون : " و طما بحر العمران و الحضارة في الدول الإسلامية في كل قطر و عظم الملك و نفقت أسواق العلوم فانتسخت الكتب و أجيد كتبها و تجليدها و ملئت بها القصور و الخزائن (المكتبات) الملوكية بما لا كفاء له و تنافس أهل الأقطار في ذلك و تناغوا فيه ..."[3]

*تشجيع و دعم الملوك و الحكام والعلماء لحركة التأليف حتى أصبحت الجوامع من أكبر مراكز التعليم و الدراسة والبحث اعتمادا على خزانات كتبها ، فتخرج منها أكبر الفقهاء و العلماء ، و هنا يقول الجاحظ في كتابه الحيوان أن يحيى بن خالد البرمكي لم يكن في خزانة كتبه كتاب الا و له ثلاث نسخ منه[4].

ويقول المؤرخ المقريزي أنه كان في خزانة العزيز بالله ثلاثون نسخة من كتاب العين و مائة نسخة من الجمهرة ، و أنه كان في خزانة الفاطميين ألف و مائتا نسخة من كتاب الطبري [5] .

1)- سورة المجادلة ، الآية 11
2)- سورة العلق ، الآية 1،2،3،4،5
3) عبد الرحمان بن محمد بن خلدون ، المرجع السابق ، ص 466
4)- شعبان عبد العزيز خليفة ، المرجع السابق ، ص 340
5)- شعبان عبد العزيز خليفة ، المرجع السابق ، ص341

- ولقد عرفت الجزائر كغيرها من بلدان المغرب الإسلامي بكثرة مكتبات مساجدها و -جوامعها ، و خاصة في فترة الحكم الزياني (1236م-1557) و كذلك فترة العهد العثماني (1518-1830) ، حتى تحولت بعض المساجد إلى معاهد عليا و جامعات إسلامية للتعليم و التربية ومن ثمة كانت إحدى روافد أوربا في نهضتها الحديثة و خاصة بمدن بجاية ، تلمسان ،معسكر ، مازونة ، ندرومة ، وهران وغيرها[1] ،إلى هذه المساجد و مكتباتها و علمائها يعود الفضل كل الفضل في حماية عروبة الجزائر (اللغة) و إسلام شعبها خلال فترة الغزو الإسباني أو فترة الاستعمار الفرنسي ، حيث أن كل المراكز العلمية و التربوية و التعليمية بالجزائر إلا و ظهرت مع ظهور المسجد أي هو النواة الأولى لها خاصة الخزانات و المكتبات. عموما مكتبات المساجد في الجزائر و خاصة بغربها ساهمت مساهمة فعالة في المحافظة على التراث الفكري و العلمي و الديني ، وأن معظم المخطوطات و الكتب و المؤلفات التي وجدت كانت محفوظة بعناية وتقديس في المساجد حيث المكان آمن و مناسب.

1 $_2$: نماذج من مساجد القطاع الوهراني ومكتباتها :

و يمكن القول بأن معظم المساجد و الجوامع العتيقة بالغرب الجزائري الا و كانت تحتوي على مكتبة أو خزانة للكتب و المخطوطات تختلف كما و كيفا من مسجد لآخر [2] .

أ -أبرز مساجد القطاع الوهراني :

و من أبرز و أقدم تلك المساجد بالغرب الجزائري ما هو مبين في الجدول الآتي :

1) – د بوعزيز (يحيى)، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري ، دار البصائر ، الجزائر 2009 ، ص 5
2) - د بوعزيز (يحيى)، المرجع السابق ، ص 10

وهران	* مسجد وضريح سيدي الهوا ري : أقدم مساجد وهران ، أسس 8هـ (14 م) ، قاوم الاستعمارين الإسباني و الفرنسي ، من علمائه إبراهيم التازي . * مسجد البرانية و جامع بني عامر : أسسه مصطفى بوشلاغم (1708م) ، قاوم الاستعمارين الإسباني و الفرنسي ، أعيد بناؤه (1799م) ثم حول إلى كنيسة (1844م) . * مسجد الباي محمد عثمان الكبير : أسس سنة (1792م) ، و لقد حوله الاستعمار الفرنسي إلى مستشفى عسكري
تلمسان	*المسجد الكبير : أسس سنة 530هـ (1136م) ، بأمر من علي بن يوسف المرابطي ، كان عبارة عن جامعة إسلامية ، تخرج منه عدد من العلماء ، و كان قلعة من قلاع مقاومة فرنسا . *مسجد المشور : داخل قلعة المشور المرابطية ، أسس سنة 517هـ (1124 م) تميز بإشعاعه الفكري و الديني ، حولته فرنسا إلى كنيسة . *مسجد العباد : به قبر الولي الصالح الإشبيلي المولد سيدي أبومدين شعيب"المغيث"، دفن به سنة 596هـ(1197م) ، بجوار القبر بني المسجد بأمر من السلطان المريني أبي الحسن عام 739هـ (1339م) ، قام الأمير عبد القادر بتجديد منبره ، درس فيه العلامة عبد الرحمان ابن خلدون صاحب المقدمة .
ندرومة	*المسجد الكبير الجامع : أسسه المرابطون 6هـ (12 م) ، لعب دورا بارزا في استقبال المهاجرين من الأندلس الذين ساهموا في الحياة الفكرية و الدينية ، هو مسجد قاوم سياسة التنصير ، تخرج منه عدد كبير من العلماء منهم : العباس بن رحال الندرومي ، محمد بن عبد الله الندرومي، قاضي فاس .
معسكر	*الجامع الكبير أو جامع مصطفى بن التهامي : أسس سنة 1117هـ (1705م) ، كان من المدرسين به الحافظ أبي راس الناصر صاحب "عجائب الأسفار " ، هذا الجامع كان قلعة من قلاع محاربة التنصير و التمسيح و الإدماج . *مسجد سدي حسن أو المبايعة : أسسه الباي محمد بن عثمان الكبير حكم ما بين (1778م - 1799م) ، بهذا المسجد بويع الأمير عبد القادر سنة (1832م) ، أغلقته فرنسا منذ (1836م) فحولته إلى مربط للخيول ، درس به أبو راس الناصر ، (1910 م) أعيد (للأهالي) .

- استقينا معلومات الجدول أعلاه من كتاب : المساجد العتيقة في الغرب الجزائري ، للدكتور يحي بوعزيز ، المرجع السابق من ص5 إلى ص 10 .

- عدد من مكتبات مساجد القطاع الوهراني تعرضت مخطوطاتها و كتبها للنهب و الحجز و الإتلاف من قبل الإدارة الفرنسية :

ب - مكتبات مساجد تلمسان و مازونة :

هناك عدد من مكتبات مساجد القطاع الوهراني تعرضت مخطوطاتها و كتبها للنهب و الحجز و الإتلاف من قبل الإدارة الفرنسية ، منها :

❖ **خزانة الجامع الأعظم التاريخية بتلمسان :** تعرض جزء كبير من كتبها و مخطوطاتها للنصب و للحجز من قبل الإدارة الفرنسية أثناء حملتها العسكرية على تلمسان سنة 1835 ، و فقد الكثير مما كانت تحتوي عليه من كتب متنوعة ، و بالقسم الأمامي من الجامع الكبير كانت هناك مكتبة أنشأها السلطان أبو زيان محمد الثاني ، ولا تزال منها بقية إلى يومنا هذا بمكتبة ثانوية الحكيم بن زرجب [1]، و كانت بها عدة مخطوطات منها مخطوطان نفيسان هما: "كتاب الدر و العيقان في شرف بني زيان " للحافظ التنسي ، و الثاني هو " كتاب عجائب الأسفار " للحافظ الشيخ أبي راس الناصر [2] ، و ما تبقى من مخطوطات و كتب تلك الخزانة سلم إلى وزارة الشؤون الدينية بالعاصمة و جزء آخر أخذه المتخصص في علم المكتبات الفرنسي أدريان بيربروجر (Adrien berbrugger) و حوله إلى الجزائر العاصمة ليكون به محتويات المكتبة (الوطنية) حيث جمع من مكتبات تلمسان حوالي مأتي مخطوط متنوعة التخصصات [3] .

---

1)- لم أتمكن من الاضطلاع على بقية الكتب الموجودة بتلك الثانوية ، لكن هي فعلا موجودة هناك كما أكد لي ذلك أستاذ التاريخ السيد مدني حسين بنفس الثانوية سابقا .

2)- بن حامد عبد القادر ، مكتبات المساجد في حواضر شمال الغرب الجزائري و أثرها الثقافي ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفنون الشعبية ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان 2008، ص66 .

3)- Abdelhamid arabe, bibliothèque nationale d’Algérie création et développement des origines à la veille de l’indépendance (B.N.A) , ALGER , 2004,P 17

❖ **خزانة الجامع- المدرسة الفقهية بمازونة** : كان تأسيس هذه المدرسة - الجامع خلال القرن الحادي عشر الهجري 1029 هجري الموافق للقرن (16م) [1] على يد الشيخ محمد بن شارف وأسسها و أقامها من ماله الخاص و درس بها حوالي 64 سنة و قبره موجود بها عليه قبة تسمى باسمه [2] ، و هي مدرسة اكتسبت شهرة علمية منذ التأسيس و كانت من أهم المراكز العلمية في الغرب الجزائري و تخصصت في الفقه المالكي كما اهتمت بتدريس المذاهب الصوفية .

وقصدها الطلاب من مختلف جهات الغرب الجزائري ، و حتى من المغرب الأقصى ، و في هذا الصدد يقول أحد طلبة مدرسة مازونة ، محمد أبي راس الناصر مايلي : " لما ذكر لي الطلبة ، مازونة و كثرة مجالسها و نجابة طلبتها و قريحة أشياخها ....سافرت إليها ، فلقيت في المشي على صغري مشقة لكن ذلك شأن السفر للعلم " [3] .

- لمدرسة مازونة خزانة أو مكتبة رصيدها مكون أساسا من مجموعة المخطوطات [4] و التي وضعت في غرفة خلف قاعة الصلاة مباشرة من جهة القبلة ، و يفوق عمر هذه المخطوطات ثلاث قرون ، معظمها في مواضيع فقهية ، ومن أهم عناوين هذه المخطوطات[5] :

*"انتصار الفقير السالك لترجيح الإمام مالك " للمؤلف بن محمد اسماعيل الأندلسي ، وهو مخطوط في الفقه .

*"تحقيق المبادئ و تحرير المعاني على رسالة أبي زيد القيرواني "للمؤلف أبي الحسن علي المالكي و الناسخ هو : (أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن عبد الرحمان البراني)

*"كتاب الدرر في حل ألفاظ المختصر"للشيخ محمد بن إبراهيم بن خليل .

*"مصحف القرآن الكريم " ناسخه محمد بن الحاج بن طالب .

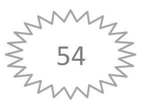
*"تفسير المصحف الشريف " ناسخه محمد بن الحاج بن طالب .

*"حياة الحيوان " وهو مخطوط في الأدبيات لمؤلف مجهول.

---

1)- لوحة التأسيس موجودة بالجهة اليمنى عند مدخل المسجد التابع للمدرسة .
2)- مخلوفي جمال ، التعليم العربي الحر في حوض الشلف خلال 1930- 1956، مذكرة رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، جامعة وهران 2008، ص 52 .

3)- فتح الاله و منته في التحدث بفضل ولي نعمته ، حياة أبي راس الذاتية و العلمية ، حققه محمد بن عبد الكريم ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1990 ، ص 20.
4)–بن حامد عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 78
5)- بن حامد عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 80



- و هناك عناوين أخرى في الفقه مثل "كتاب الإيجاز "و "شرح الرسالة" لأبي زيد القيرواني ، و"صحيح البخاري "و غيرها مما يدخل في اطار تخصص المدرسة المتعلق بعلوم الدين و علوم اللغة.

يقول بوسكي (g.h.bousquet)[1] عند دراسته للوضعية الفقهية بالمدرسة:"أنها قد احتوت على مكتبة هامة شملت مخطوطاتها رائعة منها ما هو موقوف وبعضها هبات من البايات أثناء العهد العثماني بالإضافة إلى بعض التآليف الخاصة بالمشايخ ".

ويذكر السيد هني بن علي [2] ، أن المدرسة تحتوي على مائة وسبعين كتاب في مختلف العلوم الدينية و اللغوية و معظمها هبات من بايات الأتراك[3] وبقي جزء لا بأس به من محتويات مدرسة مازونة رغم مراقبة الاستعمار للمدرسة و رغم أن الإدارة الفرنسية أنشأت تعليما فرنسيا موازيا لها بمازونة و رغم مراقبته لحلقات الدروس و منع بعضها .

1 3 : تناقص عدد مخطوطات و كتب مساجد الجزائر غداة الإستعمار الفرنسي :

ان عدد كتب مكتبات المساجد بالجزائر عموما تناقص بشكل كبير كما كان عليه قبل(1830م)، و ذلك ناتج لما تعرضت له المساجد و الجوامع في الجزائر من تخريب و غلق و نهب و إتلاف لمحتوياتها ، و تحويل عدد من المساجد إلى مخازن أو ثكنات ،فأصبحت المكتبات التي تتعدى محتوياتها المائة كتاب أو مخطوط ، قليلة جدا كما يبينه الجدول الآتي : [4]

Bousquet ,G.H,promenades sociologique une medersa dechu ,mazouna , revue africaine (1 ,bulletin trimestriel ,tome xcl, société historique algérienne 92 année 1er et 2éme trimestre , 1947, p 306.

2)- **السيد هني بن علي هو مدير مدرسة ابتدائية ، و هو من أبناء عائلة هني القائمة على مدرسة مازونة ، و حسبه فان تمويل المدرسة كان يقوم به الشيوخ القائمين عليها و هم في نفس الوقت من عائلة هني**

3)- مخلوفي جما ل، مرجع سابق ، ص 60.

4)- Abdelhamid arabe, manuscrits et bibliothèques musulmanes en Algérie 1830-1962, université d'Alger.

التخصص	مسجد لا بشري	مساجد قسنطينة	مساجد باتنة	المجموع
القرآن	18	05	03	26
الحديث	20	02	01	23
شريعة	85	07	54	146
معاجم	02	/	/	02
نجو	14	06	07	27
رياضيات	/	01	/	01
الأدب	06	/	/	06
الشعر	03	01	/	04
تاريخ	02	/	/	02
بيبليوغرافيا	03	01	/	04

*جدول حسب التخصصات لمجموعة كتب مكتبات بعض مساجد الجزائر غداة الاستقلال .

ان سياسة الإدارة الاستعمارية اتجاه المساجد بالجزائر أوقفت و حالت دون السير الطبيعي لتطور عدد كتب المساجد و تنوعها بل الأخطر من ذلك أدت تلك السياسة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة إلى عمليات التشتيت و الاختفاء و الإتلاف و الحجز و النهب و التهريب لأهم ما احتوت عليه تلك المكتبات قبل (1830م)، و لقد كانت تلك السياسة متوازية مع خلق مكتبات فرنسية احتلت الساحة تدريجيا لتعوض المكتبات العربية الإسلامية ، و هذه السياسة ما هي إلا شكل من أشكال الإستراتيجية الاستعمارية الشاملة الهادفة إلى القضاء على كل ماله علاقة بمقومات الشخصية الوطنية الجزائرية و تغييب التراث الفكري الجزائري التي كانت تحتفظ به مكتبات و خزانات الجزائر قبل (1830م).

1 4 :نماذج من مكتبات الزوايا بالقطاع الوهراني :

تمهيـــــــد:

التصوف منزع علمي و عملي نزعت إليه الحياة الروحية الإسلامية يخضع فيه الإنسان نفسه لألوان من الرياضة و المجاهدة ، و يعد فيها قلبه لمعرفة الحقائق عن طريق الكشف و المشاهدة ، و الصوفي هو من لبس الصوف على الصفا و أطعم الهوى ذوق الجفا و كانت الدنيا منه على القفا و سلك منهج المصطفى عليه السلام [(1)].

إن الطرق الصوفية تدخل في إطار ما يسمى بالفكر الصوفي الإسلامي و الذي من أبرز رواده في تاريخ الفكر الإسلامي نذكر على سبيل المثال كل من : يزيد البسطامي الفارسي 4هـ (10م) ، أبي القاسم الجنيد العراقي 3هـ (9م)، الحلاج 4هـ (10م) ، أبي حامد الغزالي 5هـ (11م) ،محي الدين ابن عربي الأندلسي 7هـ (13م).

إن تلك الطرق الصوفية لها أتباع و مريدون لهم رتب ودرجات بحسب تغلغلهم في الطريقة ومدى قربهم من شيخها ، فأتباعه هم مقاديم (مقدم) و تطلق عليهم تسمية الفقراء إشارة منهم إلى قوله تعالى:

" يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله و الله هو الغني الحميد"[(2)] .

إن أولائك الأتباع هم الذين بمرور الزمن أسسوا عدد من الزوايا التي تسمى باسم شيخ الطريقة

-فيما يتعلق بتعريف مصطلح الزاوية ، فهناك اختلاف بين من تناولوا موضوع التصوف و زواياه ، من باحث لآخر ، فمثلا نجد الأستاذ رابح تركي في كتابه "ابن باريس رائد الإصلاح " .يعرف الزاوية بأنها مركز مشايخ الطرق الصوفية ،من ناحية الاشتقاق اللغوي فهي مشتقة من الانزواء أي انزوى في زاوية ، فالإنسان ينزوي بعيدا لتصفو نفسه و ذهنه و أفكاره ليقترب من ملكوت الخالق العظيم[(3)] .

---

1) – محمد الصالح آية علجت ، صحف التصوف الجزائرية من 1920-1955 ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 2001، ص 31 .
2) سورة فاطر ، الآية 15.
3) – د. قدور إبراهيم عمار ، زاوية سيدى محمد بن عمر تاريخها و نشأتها ، ديوان المطبوعات الجامعية ، المطبعة الجهوية بوهران 1997، ص 32.

و يعرفها الدكتور يحيى بعزيز : "هي عبارة عن مجمعات من البيوت و المنازل مختلفة الأشكال و الأحجام ، تشتمل على بيوت للصلاة كمساجد ، و غرف لتحفيظ القرآن ، و أخرى لسكن الطلبة و طهي الطعام و تخزين المواد الغذائية و العلف و إيواء الحيوانات ثم لا تخلو من خزانة كبرت أو صغرت تحتوي على عدد من الكتب و المخطوطات ذات الطابع الديني"[(1)].

أ- أهم الطرق الصوفية بالجزائر: ومن المشرق الإسلامي انتقل التصوف و الزهد إلى بلاد المغرب الإسلامي و انتشر بها أواخر العصر الوسيط و بداية العصر الحديث ، و كثرت الزوايا و انتشرت بشكل واسع و مكثف في القرن (17م) [(2)] ، ثم بعده و خاصة خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر في القرنين (19م) و مطلع القرن العشرين ، و من ضمن الزوايا التي انتشرت بالجزائر نذكر : [(3)]

*الشاذلية 636هـ (1258م) ، *العساوية 639هـ (1524م)، *الكرزازية 1016هـ(1608م).

*الشيخية1026هـ (1615م ، * الطيبية 1089هـ (1679م) ،*الحنصالية 1114هـ (1702م).

*القادرية 1125هـ (1713م) ، * التيجانية 1208هـ (1794م) ،*الرحمانية 1208هـ (1794 م)

*السنوسية 1250هـ (1835م)

و كل زاوية من هذه الزوايا الا و لها فروع كثيرة بمناطق جزائرية متعددة تشمل كل جهات القطر، تحمل أسماء مختلفة حسب شيوخ و مقدمي الطريقة الصوفية ،لقد أورد الضابط لويس رين (louis rinn)في كتابه : " المرابطون و الإخوان " (marabous et khouan)

سنة (1884م)، الجداول الثلاث الآتية :

---

1)- – د. يحي بوعزيز ، مرجع سابق ، ص 15.
2)- د. يحي بوعزيز ، مرجع سابق ، ص 16.
3)- د. سعد الله أبو القاسم ، المرجع السابق ، ص 292، 293.

مكتبات المساجد و الزوايا بالقطاع الوهراني خلال الفرن (19م)

(1)

الطرق الصوفية في الجزائر	16 طريقة
الزوايا	355 زاوية هامة
الإخوان	169.000 إخواني
عدد السكان المسلمين الإجمالي	2.842.000

(2)

الرحمانية	96.915 إخواني	الكرزازية	2.986 اخواني
الطيبية	16.045 إخواني	الشيخية	2.819 //
القادرية	14.842 //	الزيانية	3.400 //
التيجانية	11.182 //	المدنية	1.601 //
الشاذلية / الدرقاوية	10.252 //	السنوسية	511 //
الحنصالية	3.648 //	اليوسفية الراشيدية	413 //
العساوية	3.116 //	الناصرية	1000 //

(3)

الطرق الصوفية	الجـــزائـــــــــــــــــــــــــر			وهـــــــــــــــــــــــــــــران		
	زاوية	لمرابط	إخوان	زاوية	لمرابط	إخوان
القادرية	07	31	2.228	07	185	6921
شاذلية-درقاوية	20	/	/	/	/	/
العيساوية	02	/	4136	/	71	3345
الكرزازية	/	11	/	/	/	/
الشيخية	/	/	/	05	23	/
الطيبية	/	/	750	11	/	1364
الحنصلية	/	/	/	/	62	/
الزيانية	03	03	/	/	/	/
التيجانية	/	62	1176	/	36	2924
الرحمانية	/	/	/	04	/	/
السنوسية	/	06	2851	10	/	1604

1)- الجدول الأول ، سعد الله أبو القاسم ، مرجع سابق ص 292.
2)- الجدول الثاني ، سعد الله أبو القاسم ، مرجع سابق ص 293.
3)- Abdelhamid Arab, OPCIT, p 91.

ب- مهام و أدوار الزوايا خلال القرن 19م: لقد ساهمت الزوايا بشكل كبير في نشر التعليم و خاصة ما كان مرتبطا باللغة العربية و الدين الإسلامية ، ولذا التف سكان منطقة الغرب الجزائري حول الزوايا خاصة بعد أن حرم الإنسان الجزائري من حقه في التعليم و القراءة من قبل السلطات الاستعمارية .

إن ما قامت به الزوايا فيما يتعلق بتخزين الكتب و المخطوطات و المحافظة عليها (تجليد ، نسخ ، حبر ، تأليف ....) ليعتبر عملا جبارا مثل حصنا منيعا في المحافظة على مقاومات الشخصية هم و هويتهم ، فهي كانت و لا زالت تمثل المرجعية الدينية لأغلبية السكان و كانت ملاذا آمنا بعد تزايد الحملات التبشيرية ضد الإسلام و مقدساته و تراثه الفكري و مراكزه التربوية و التعليمية .

إلى جانب دورها التربوي و التعليمي و الثقافي قامت الزوايا بعدة أدوار سياسية تمثلت خاصة في المقاومة الشعبية و التي اندلعت في كامل جهات الوطن منذ (1832م) حيث كان معظم زعماء تلك المقاومات من التابعين لطريقة من الطرق الصوفية أو تابعين لزاوية صوفية معينة مثل مقاومة الأمير عبد القادر التي اعتمدت على الطريقة القادرية أو ثورة الشيخ بوعمامة التابعة للطريقة الشيخية ،التي كانت ملاذا للمستضعفين و المشردين و كان أملهم كبيرا في هؤلاء المرابطين لاستعادة شرفهم المداس ورفع راية الحق[1].

لقد قاومت الزوايا كل مخططات الاستعمار الفرنسي في الجزائر من خلال تمسكها بالقرآن الكريم و الشريعة الإسلامية و تربية الجزائريين تربية روحية و حافظت على التراث الفكري للمجتمع الجزائري من خلال ما خزنته في خزاناتها و مكتباتها من مخطوطات و كتب ، و بذلك فشلت المحاولات لتي قام بها كل مسؤولي الكنيسة بالجزائر و خاصة ما فعله الكاردينال لافيجري

(Charles Lavigerie)[2] الذي عين أسقفا للجزائر سنة(1867م) و الذي كان غرضه

---

1)- د. خليفي عبد القادر ، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، 2004، ص 64.
2)- شارل لافيجيري (charles Lavigerie) ولد 31-10-1825م بمدينة هوير(huire) قرب مدينة بايون (bayonne)على سفوح جبال البيريني ، و هو من عائلة بورجوازية متدينة جدا ، أصبح أسقفا للجزائر بعد أن كان أسقفا لمدينة نانسي (nancy) و لعب دورا خطيرا في عملية تمسيح الجزائريين ، وله مؤلفات عديدة و عدة مقالات في دورية "المرشد الجزائري " (le moniteur algérien)

الأساسي تنصير الجزائريين ، حيث يقول سنة 1868 : " يتعين على فرنسا أن تفسح لنا المجال لنقدم له (للشعب الجزائري) الإنجيل أو يطرد هذا الشعب إلى الصحراء بعيدا عن العالم المتمدن "[1] .

لقد ساعدت السلطات العسكرية الفرنسية لافجري (Lavigerie) و أعطته كل التسهيلات الضرورية لتحطيم بنية المجتمع الجزائري عقائديا و يقول الأب فويو(Veuillot) في هذا المجال : "امسحوا القشرة السطحية للإسلام ، و سيظهر لكم جوهر الجزائر المسيحية "[2] .

لقد كان الرد واضحا من خلال مضمون ما جاء في الرسالة التي وجهها واحد وستين من أعيان الجزائر إلى نابليون الثالث (3 Napoleon) [3]:" إن ما يزيد في ألمنا و غضبنا ما نصت عليها رسالة الكاردين بتاريخ 16 أفريل 1868م المنشور في الصحف و التي يهاجم فيها عقيدتنا و يمس فيها بالقرآن الكريم الذي يشد أساس ديننا ...."[4] . لقد تأكدت السلطات الفرنسية من أن الإسلام و زواياه هو الموجه لكل الانتفاضات المقاومة للاحتلال ،لذلك كانوا يعملون على التضييق على الزوايا و العلماء و رجال دين و تشويه التاريخ العربي الإسلامي، فأغلقت المدارس و طاردت المعلمين و استولت على الكتب و المخطوطات .

لقد جاء في تقرير لجنة القروض الاستثنائية ما يلي : " لقد تركنا المدارس تسقط و شتتناها وأطفأت الأنوار حولنا ، أي أننا حولنا المجتمع المسلم فأصبح أكثر جهلا و بربرية مما كان عليه قبل معرفتنا " [5] ، إن الدور السياسي الذي قامت به الزوايا خلال القرن (19م) و المتمثل في مقاومة

---

1)- بوعمران الشيخ ، الأسقف لاقيجري و النشاط البشري (1867-1892) ، مقال بصحيفة الشروق الأسبوعي 26 ماي 1994، العدد:44

2)- خليفي عبد القادر ، مرجع سبق ، ص 35

3نابليون الثالث (3 napoléon) : هو رئيس فرنسا لويس نابليون (louis napoléon) الذي أصبح بعد شهور من 10سبتمبر 1852، إمبراطور لفرنسا تحت اسم نابليون 3 ، و الذي زار الأمير عبد القادرفي أسره بقصر أومبواز(amboise) جنوب غرب فرنسا ،كان قد وجه رسالة إلى الأمير قبل زيارته له و ما جاء فيها ...." لقد كنت عدو فرنسا ، و لكني مع ذلك مستعد لأن أقوم نحوك بالعدل الكامل إكبارا لشجاعتك و شخصيتك و صبرك على الشدة لذلك فاني أشعر بأن الشرف يلزمني أن أضع حدا لسجنك...." و فعلا تقرر بعد ذلك الإفراج عن الأمير .

4)- محمد نسيب ، زوايا العلم و القرأن بالجزائر ، دار الفكر ، الجزائر ، ص 55.

5)-Charles.R. Ageron . histoire de l'Algérie contemporaine ,presses universitaires de France Paris 1979 p 153 .

الاستعمار الفرنسي على واجهتين ، عسكرية و ثقافية ، وان لم يحقق نجاحا عسكريا ، فإنه حقق نجاحا أدبيا و وطنيا بترسيخ الروح الثورية في النفوس و صمود الفكر الرافض للاحتلال و للوجود الفرنسي بجميع أشكاله[1] .

المكتبة أو الخزانة هي جزء لا يتجزأ من الزاوية ، و أهميتها و رسالتها و عدد مجموعات مخطوطاتها و كتبها تختلف من زاوية لأخرى ، و كانت المكتبة أو خزانة الكتب دائما بمثابة الامتداد الطبيعي للنشاط التربوي و التعليمي للزاوية ، باعتبار أن التربية و التعليم لا يمكن مزاولتهما بدون الكتب ، و لذلك كانت كل زاوية إلا و تضم بين جناحيها مجموعات كتب دينية و غيرها تهم طلبة و مريدي الزاوية ،لقد تميزت المنطقة الغربية الجزائرية بتنوع و تعدد زواياها و تكون أكثر إذا أضفنا لها زوايا الجنوب الغربي مثل القنادسة ، أدرار و منطقة توات.

عموما سنكتفي بتسليط أضواء على بعض مكتبات الزوايا بالقطاع الوهراني و التي كانت عامرة بالكتب عشية الاحتلال الفرنسي (1830م) و التي تعرضت للهدم و الحرق نتيجة مقاومة شيوخها و مريديها للاستعمار و نفيهم و تهجيرهم،و بالتالي كانت الكتب و المخطوطات هي الضحية الأولى ، و من نماذج مكتبات زوايا القطاع الوهراني نذكر ما يلي :

ج- مكتبة الزاوية العبدلية : مؤسسها هو الشيخ بو عبد الله بن عبد القادر ، و الذي اتخذ من مدينة بطيوة مركزا لزاويته و هي قريبة جدا من مدينة وهران ،و لم تشتهر تلك المكتبة إلا بواسطة الشيخ المهدي البوعبدلي (1907-1992) ابن مؤسس الزاوية ،وسنحاول التعرف على هذه المكتبة من خلال ما ذكره الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي تقرب من شيخ هذه الزاوية و خاصة مكتبتها ، و ذلك عن طريق زيارته للمكتبة و كذا بواسطة مراسلات عديدة جرت بينهما جمعها الأستاذ أبو القاسم سعد الله في كتابه : "رسائل في التراث الثقافة" [2] ، إنها مكتبة غنية جدا ورث جزءا منها

---

1) خليفي عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 46.
2) سعد الله (أبو القاسم) ، مراسلات الشيخ المهدي البو عبدلي (1907-1992)،دراسة و تحقيق ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، كراسات المجلس الجزائر، أفريل 2007، ص 13.

عن والده الذي توفي في بطيوة عن عمر يناهز التسعين سنة ، وقالت عنه مجلة المنار أنه قضى عمره في خدمة العلم والدين [(1)]؛ ثم أضاف لها ابنه المهدي الكثير من الكتب و المخطوطات المتنوعة التي جمعها منذ الثلاثينات، هذه الخزانة يصفها المؤرخ سعد الله أبو القاسم الذي زارها ، قائلا : " رأيت عدة خزائن تمتد على حيطان غرفتين واسعتين في شكل قاعتين متصلتين ، و الخزائن عالية و مرتفعة و مليئة بالكتب المخطوطة و المطبوعة و تظهر من ضمنها مخطوطات غير موضوعة في أماكنها ، و مجاميع ، و جرائد ووثائق و سجلات ....."[(2)]و من كثرة كتب و مخطوطات مكتبة الزاوية البوعبدلية ، فإننا لا يمكن التعرف أكثر على عددها و موادها ، و أنواعها المعرفية و التعليمية و الدينية ، و هي تحتاج إلى بحوث خاصة بها .لابد من الإشارة إلى أن صاحب هذه المكتبة الشيخ البوعبدلي كان مهتما بالتراجم و التاريخ و المناقب و الشعر الفصيح و الزجل (الملحون) و التصوف و الفقه و الأنساب كما أنه من خريجي جامع الزيتونة بتونس ،و يقول عنه المؤرخ أبو القاسم سعد الله بأنه كان مترددا بين الوظيف الفرنسي و الحركة الإصلاحية ، ففاز به الوظيف عند الفرنسيين وقد خسره الإصلاح [(3)].

لقد تولى الشيخ البوعبدلي الفتوى في عدة أماكن منها بجاية و الأصنام فجمع و اشترى المخطوطات النادرة ،و يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله قائلا : " و لا شك أن (أي الشيخ المهدي البوعبدلي) مات بحسرته (1992م)، على ما فرط في جنب الكنوز التي جمعها ثم تركها من بعده يتيمة تبكي حظها و مصيرها "[(4)]، هو الذي كان يتمني و يرغب في أن يساعده الحظ في أن تصنف و تحقق وتطبع بعض مخزونات مكتبته العظيمة التي تحتوي على أنواع من التراث الفكري و التربوي العربي و الإسلامي ، فهو تراث أكيد يهم الباحثين المسلمين و غير المسلمين ، خاصة و أن الشيخ كانت له ثقافة عصرية متفتحة ، فهو يتقن الفرنسية و كثير الأسفار و من الشيوخ الذين جمعوا

---

1) - أنظر مجلة المنار ، عدد 11، السنة الثانية ، 14نوفمبر 1952 و عن سيرة والده ، أنظر كذلك مجلة المنار ، عدد13، السنة الثانية ، 12 ديسمبر 1952

2)- سعد الله (أبو القاسم) تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، ج5، دار البصائر الجزائر 2007، ص 372

3)- سعد الله (أبو القاسم مرجع سابق ، ص 372

4)- سعد الله (أبو القاسم) مراسلات الشيخ المهندي البوعبدلي (1907-1992) دراسة و تعليق ، منشورات المجلس الأسلامي الأعلى ، الجزائر 2007، ص 07

بين الأصالة و المعاصرة ، و يكفي أن يقول عنه أستاذنا أبو القاسم سعد الله: "هو بحر لا ساحل له ، فإذا أخذ الحديث عن مسألة علمية فانه لا يكاد يتوقف" [1] و هذا الوصف دليل قاطع على مدى تأثير محتوى مكتبة الزاوية العبدلية في شخصيته و مدى ضخامة خزانة و مكتبة الزاوية ، و عن ذلك يقول الشيخ البوعبدلي:"انني أقضي بعض المرات ، الشهور لأعثر على كتاب أو وثيقة بخزانتي المبعثرة .... جمعت كثيرا من المخطوطات فيها الغث و السمين ، و كنت آمل أن أرتبها و أحققها قبل نشرها إلا أن الظروف لم تساعد خصوصا و أن في كثير من الوثائق ما يلزم الباحثين إعادة النظر في تاريخ الجزائر ، خصوصا العهد العثماني ...."[2]

لا بد من الإشارة إلى أن أصل للشيخ المهدي البوعيدلي يرجع إلى حوض الشلف و المنطقة الونشريس بالجزائر ، ولقد ورث عن والده مكتبة (خزانة كتب) هامة استطاع أن ينميها بالشراء و الاستنساخ [3] وكان مولعا بجمع الوثائق و المخطوطات و عالما واسع الاطلاع و له ذاكرة قوية، درس على والده و شيوخ المنطقة ثم توجه إلى جامع الزيتونة بتونس حيث تخرج بشهادة التطويع في اللغة العربية و العلوم الإسلامية[4] و كان ينتمي إلى الطريقة الدرقاوية[5].

بعد الاستقلال كان يستدعى للمؤتمرات و الملتقيات منها ملتقيات الفكر الإسلامي السنوية و مؤتمرات دولية امتدت من الهند إلى برلين كلها تتعلق بالثقافة العربية الإسلامية ،،حقق عدة كتب منها :"الثغر الجماني " لأحمد بن سحنون و كذا "دليل الحيران "لمحمد بن يوسف الزياني و كلا هما

---

1)-سعد الله –أبو القاسم ، المرجع السابق ، ص50.

2)-سعد الله –أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954 ، مرجع سابق ، ص373.

3)-يقول الأستاذ أبو القاسم سعد الله :"بأن هناك من يتهمه بأنه استغل وظيفته عندما كان مفتيا في بجاية فجمع عددمن المخطوطات ، أما هو فيقول أنه اشتراها أو استنسخها ". انظر كراسات المجلس الإسلامي الأعلى : مراسلات الشيخ المهدي البوعبدلي -1907-1992 - ،دراسة و تعليق أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق، ص12.

4)-سعد الله –أبو القاسم ، المرجع السابق ، ص12

5)-نسبة إلى الشيخ محمد العربي الدرقاوي ، و هو من قبيلة مغربية و هي طريقة قادت ثورة على النظام العثماني عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر ، ولقد ساندت هده الطريقة مقاومة الأمير عبد القادر.

يتناولان تاريخ إقليم وهران [1]،من بين المخطوطات التي تحتوي عليها مكتبة الزاوية البوعبدلية نذكر :"كشف الركوز في بيان الأعشاب "للعلامة سيدي عبد الرزاق بن محمد بن محمد بن أحمادوش الجزائري و هو مخطوط بخط العالم الشيخ علي بن عبد الرحمان الجزائري الذي تولى الإفتاء بوهران و توفي بها سنة 1324هـ ،وهو ومخطوط حول الأدوية و شرح أسمائها ، و هذا المخطوط يحتوي على 199 صفحة و 17 سطرا و طول النص 24 سم و عرضها 18 سم .

د - مكتبة زاوية القيطنة بمعسكر (مكتبة الأمير عبد القادر)[2] (1808م-1883م) :

هي زاوية قريبة جدا من مدينة معسكر أي بقرية القيطنة و كان والده محيي الدين بن مصطفى (1195هـ -1249هـ) هو القيم على شؤون الزاوية ، و الذي كان صوفيا راسخ القدم في الطريقة القادرية ، إذ لبس الخرقة القادرية من نقيب الأشراف السيد محمود ببغداد و لقد ألف الشيخ محيي الدين كتابا جليلا في التصوف سماه "إرشاد المريدين"[3]،و لقد صحب محيي الدين معه ابنه عبد القادر في رحلته إلى الحج و زار معه بغداد و ضريح الصوفي الكبير الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني [4].

لقد تلقى الأمير عبد القادر تربية روحية خلال زياراته المتعددة مع والده ، أو من خلال زاوية والده بالقيطنة و أثرت في نفسه وفي كل حياته بعد ذلك ، ويبين الأمير كيف بدأت حياته الروحية الصوفية في صغره و أنه كان مغرما بقراءة كتب المتصوفة ، فقال : " كنت مغرما بمطالعة كتب

---

1)- يكتفي عادة بتقديم الكتاب و إضافة تعليقات طفيفة عليه في الهوامش ، دون التحقيق العلمي المعروف اليوم ، فهو لا يضع فهارس للمخطوط و لا يقابل النسخ ببعضها ، و لا يجزئ الفقرات.............

2)- ولد الأمير عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى شهر ماي(1808م)قرب مدينة معسكر في غرب الجزائر ، تعلم مبادئ العلوم في القيطنة ،واصل دراسته في مدينة أرزيو و وهران ، ونشأ على حب الفروسية و حمل السلاح بايعته، قبائل ناحية وهران و معسكر أميرا عليهم لقيادة الجهاد الشعبي ضد العدو الفرنسي ، و كان والده أول من بايعه سنة 1832، و توفي الأمير بمنفاه بمدينة دمشق يوم 24 ماي (1883م) و عمره 76 سنة .

3)- محمد بن القادر ، تحفة الزائر ، دار اليقظة العربية ، بيروت (1964م) ص 932.

4) - د. عمار طالبي ، الأمير عبد القادر و التصوف ، مجلة الثقافة العدد 75، ماي ، جوان (1983م) ، ص 255

القوم (المتصوفة) رضي الله عنهم منذ الصبا ....فكنت في أثناء المطالعة أعثر على كلمات تصدر من سادات القوم و أكابرهم ، يقف شعري و تنقبض منها نفسي مع إيماني بكلامهم على مرادهم ، لأنني على يقين من آدابهم الكاملة و أخلاقهم الفاضلة "[1].

و يمكن القول باختصار بأن الأمير ذهب مذهب محي الدين بن عربي [2]في التصوف في المرحلة الأخيرة من حياته و اشتغل بمطالعة كتبه و تفسيرها وألف كتابا ضخما سماه "المواقف"و هو عبارة عن لحظات روحية يأخذه الله فيها عن نفسه و عن العالم ويلهمه إشارة و يلقي في قلبه معرفة و يفهمه ويهب له علما [3] ، و قال عن كتابه هذا: "هو نفثات روحية و القاءات سبوحية بعلوم وهبية ، وأسرار غيبية من وراء طور العقول و ظواهر النقول خارجة عن أنواع الاكتساب و النظر في كتاب "[4] و يقول الأمير عبد القادر عن محي الدين ابن عربي هو آخر وارث محمدي و خاتمهم ووصفه بأنه إمام العالمين بالله تعالى و برسله ، حيث وصفه في كتابه الموافق بالأوصاف التالية : "إمام الكاشفين من الأولياء "[5] ،" إمام العارفين "[6] ،" إمام العلماء بالله "[7] ،"إمام المحققين " [8].

إن المطلع و المتمعن في كتاب " الموقف " للأمير عبد القادر يرى بأنه كان عبارة عن مكتبة متنقلة و السبب الرئيسي في ذلك هو أنه فتح عينيه منذ الطفولة على مكتبة زاوية القيطنة التي كانت تزخر بالكتب ، و التي أصبح القيم عليها هو أخوه محمد السعيد ، و لكن بعد واقعة الزمالة ضاعت

---

1) – الأمير عبد القادر ، الموافق ، دار اليقظة العربية ، بيروت 1386هـ/1966م ، ج1، ص 46.
2) -- محي الدين بن عربي ، هو محمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي المعروف بالشيخ الكبر و سلطان العارفين محي الدين أبو بكر ، ولد ليلة الاثنين السابع من شهر رمضان سنة 560هـ في مدينة مرسية الإسبانية ثم سافر إلى مدينة اشبيلية و عمره ثماني سنوات ، جمعه والده مع أبي الوليد بن رشد الفقيه الكبير ، قاضي قرطبة ، وظل يترقى حتى أصبح من أهل الكمال العارفين قام برحلات عديدة في الأندلس و المغرب و تونس و مصر و مكة المكرمة و المدينة ، و بغداد و الموصل ، و استقربه المقام في دمشق إلى وفاته ليلة الجمعة الثامن و العشرين من شهر ربيع الثاني سنة 638 هـ ، ألف ما يزيد عن 400 كتاب ورسالة ، وأشهر كتبه : الفصوص ، الفتوحات المكية ، مختصر رسالة القدس في محاسبة النفس ، و غيرها .
3) - د. عمار طالبي ، الأمير عبد القادر و التصوف ، مجلة الثقافة ، العدد 75، ماي ،جوان (1883م)، ص 256.
4) - الأمير عبد القادر ، المرجع السابق ، ج1ص 9.
5) - الأمير عبد القادر ، المرجع السابق ، ج2 ص 598
6) - الأمير عبد القادر ، المرجع السابق ، ج2 ص 595
7) - الأمير عبد القادر ، المرجع السابق ، ج2 ص 503
8) - الأمير عبد القادر ، المرجع السابق ، ج2 ص616 – 618

المكتبة و تفرقت كتبها في أيدي الفرنسيين، عرف عن الأمير (ابن مكتبة زاوية القيطنة) أنه كان لا يتنقل إلا و مكتبته معه فهناك قافلة للبارود و أخرى للكتب ، حيث أسس الأمير المقاوم مكتبة على ظهر قوافل الخيل حيثما حل إلا و حلت معه مكتبته [1].

ففي سنة 1843 حين هاجم الدوق دومال (duc daumale)[2] زمالة الأمير عبد القادر بتآمر من أحد الخونة الجزائريين الذي كان يعرف موقع الزمالة عند نبع طاقين ، لكن إذا كان الهجوم المباغث لم يخلف ضحايا كثر ، فان دومال (daumale) و جنوده استولوا على مكتبة الأمير عبد القادر بتقدامت التي كانت متكونة من مخطوطات ثمينة فخمة التجليد وقدر المؤرخون قيمتها ب 5000 جنيه إسترليني[3].

إن المتعمق في هذه الحادثة يتأكد من مدى تقديس الأمير للكتاب و المكتبات ، وتبين بأنه كان في حروبه مثقفا لا يفارق الكتاب ممارساته و هو ما ينفي عنه " الفكر الفروسي " في اتخاذ المواقف السياسية .

حين جاء الأمير عبد القادر مدينة المدية استقر بما يسمى اليوم بدار الأمير و هي تحفة معمارية أندلسية تركية و اتخذ منها مقرا لسلطته السياسية و العسكرية من 1837م إلى 1840م، و لكن الذي لم يتوقف عنده المؤرخون هو أن هذه الإقامة بمدينة المدية شكلت بالفعل النواة الأولى للمكتبة الوطنية الجزائرية [4] ، فإذن هو بذلك كان يؤمن بأن الدولة الوطنية لا تقوم القيام السليم إلا إذا كانت لها

" دار الحكمة " الخاصة بها و التي من خلالها يتم تقييم الإنتاج الفكري و الأدبي و الديني ، الذي ينتجه علماؤها وفقهاؤها ، ومن هنا عمد الأمير إلى جمع الكثير من المخطوطات التي كان يقتنيها من محترفي مهنة الوراقة .

---

1) - د. أمين الزاوي ، مقال بجريدة الشروق اليومي ، الجمعة 3-12-2010م ص 13.
2) - في يوم16 ماي 1843م ، الدوك دومال (duc daumale) ابن الملك لويس فليب (louis Philippe) ملك فرنسا أعطى الأوامر لمهاجمة زمالة الأمير عبد القادر .
3) - د. أمين الزاوي ، المدير السابق للمكتبة الوطنية بالعاصمة ، المرجع السابق ص 13.
4) -د. أمين الزاوي ، مرجع سابق ، ص 13 .

ويقول الأمير عبد القادر : " كانت أمنيتي هي إنشاء مكتبة واسعة بتقدامت ، لكن الله لم يمنحني الوقت ، فالكتب التي كنت سأبدأ بها إنشاء تلك المكتبة بقيت في الزمالة و أخذها (duc daumale) ابن الملك ، و هذا ألم أضيف إلى آلامي ، حيث هي كتب و مخطوطات عانيت الكثير من اجل جمعها "[1].

و حسب شارل هنري شرشل (Charles henri churchill) في كتابه :" حياة الأمير عبد القادر"[2]: " إن غنيمة ذلك الهجوم على الزمالة ، كانت ضخمة جدا و خاصة مكتبة الأمير التي قدرت مخطوطاتها العربية النادرة بخمسة آلاف مخطوط مجلدة تجليدا فاخرا " .و دائما فيما يتعلق بمكتبة الأمير عبد القادر يقول الشيخ المهدي البوعبدلي : " ...الكارثة العظمى التي أصابت الجزائر عندما فقدت خزانة الأمير عبد القادر بواقعة الزمالة في طاقين ، إذ أن الأمير علاوة على مركزه السياسي ، كان شغوفا بالكتب حتى أن أول فرنسي زاره في معسكر بعد معاهدة دي ميشال demichelles) سنة (1835م)، ذكر أنه وجده جالسا في مكتبه الخاص الذي هو عبارة عن بيت صغير له نافذة و عندما دخل عليه وجده واضعا على يمينه و يساره نحو أربعين مخطوطة كلها مجلدة " [3] و هنا لا بد من الإشارة إلى أن مكتبة الزاوية العبدلية تحتوي في جانب منها بعض نوادر المخطوطات التي استنسخها أو اشتراها أو أهديت له أو تلك التي حملها معه الأمير من مكتبة زاوية القيطنة بعد بداية معاركه ضد فرنسا .

و يقول الدكتور أمين الزاوي المدير السابق للمكتبة الوطنية متأسفا : " كان من المفروض عندما استعادت الجزائر رفات الأمير عبد القادر سنة (1966م) و تمت إعادة دفنها بمقبرة العالية، كان يوما رمزيا فعلا ، لكن لم يكتمل لأننا لم نستقدم مكتبته كاملة و التي كانت من أهم مكتبات دمشق "[4]

---

(1) – abdelhamid arab ; manuscrits et bibliothèques musulmanes en Algérie 1830-1962 (B.N.A) , alger 2003 ; p 135.

2) - شارك هنري تشرشل(Charles henri churchill) ، حياة الأمير عبد القادر ، ترجمة الدكتور أبو القاسم سعد الله ، الدار التونسية للنشر ، تونس 1974م، ص 155.

3) - الشيخ المهدي البوعبدلي ، مقالة بمجلة الأصالة ، العدد 11، نوفمبر ديسمبر 1972م

4)- د. أمين الزاوي ، جريدة الشروق ، مرجع سابق ، ص 13.

و لا يمكن لنا في الأخير الا نتأسف على ما وقع لمكتبة زاوية القيطنة العامرة ، و كذلك لمكتبة الأمير المتنقلة و التي هي امتداد لمكتبة تلك الزاوية ،حيث تشتت و تفرقت و تبعثرت و نهبت أجزاء كبيرة مما كانت تحتويه تلك المكتبة و هو نفس ما وقع لغيرها من مخطوطات و كتب خزانات و مكتبات زوايا القطاع الوهراني ، و هي مخطوطات و كتب جزء كبير منها موجود اليوم موزع و متفرق في بلدان مختلفة من العالم[1].

لقد عاش الأمير بين الكتب و المخطوطات و لم ينقطع عنها و هو مجاهد و رجل دولة و سجين و منفي و كان الكتاب رفيقه الدائم ، و من عجائب الصدف و جد نفسه بمقبرة العالية إلى جوار كاتب كبير آخر هو كاتب ياسين (توفي عام 1989م) ، و هو نفس الكاتب الذي بدأ حياته الثقافية ووعيه الوطني بإلقاء محاضرة عن الأمير و كان عمره لا يتجاوز 17 سنة بباريس سنة (1974م) و التي استهلها بقول الأمير الذي ورد في كتابه " ذكرى العاقل و تنبيه الغافل " جاء فيه " إننا بالحقيقة نتعلم معرفة الرجال ، و ليس تتم معرفتنا للحقيقة عن طريق الرجال " [2] .

1)- في المكتبة الوطنية الفرنسية بقسم المخطواطات الشرقية ، يوجد على سبيل المثال ، مخطوط كان ملكا للأمير مرتب تحت رقم 5794 و يتعلق الأمر بمجموعة مجلدات تضم ثلاث مؤلفات منها المؤلف الثالث تحت عنوان :ديوان الشعراء الإسبانيين في القرن الثامن الهجري للوزير أبو عبد الله محمد ابن الخطيب السلماني ، هذا الكتاب كتب بالخط النقشي المغربي الرفيع ، و هو عبارة عن 105 ورقة بحجم 15.5 على 10.5سم ، و هو كتاب أعطي لليون روش(leon roches) من قبل الأمير نفسه يوم 14 أوت 1844.
2)- الأمير عبد القادر و استقلال الجزائر ، محاضرة ألقاها كاتب ياسين ببارس سنة 1947 باللغة الفرنسية ، ترجمت من طرف محمد هناد الى اللغة العربية ، مجلة الثقافة ، عدد خاص 75 ، ماي ، جوان 1983 ، ص 175 .

هـ - جدول بأسماء مكتبات زوايا و شخصيات علمية بالقطاع الوهراني و عدد المخطوطات الموجودة بها(1)

أسماء المكتبات	مكان وجودها	عدد المخطوطات الموجودة بها
زاوية إبراهيم التازي	وهران	400 مخطوط
مكتبة محمد الزجاي	تلمسان	300 مخطوط
الزاوية القيطانية	معسكر	400 مخطوط
مكتبة أبي راس الناصر	معسكر	700 مخطوط
مكتبة ابن الصخري	معسكر	1000 مخطوط
مكتبة ابن مريم	تلمسان	700 مخطوط
مكتبة زاوية أولاد سيدي الشيخ	البيض	60 مخطوط
مكتبة الزاوية العبدلية	بطيوة	200 مخطوط
مكتبة مدرسة تلمسان	تلمسان	100 مخطوط

1 4 : هجرة العلماء نحو المغرب و انعكاساتها على مكتبات القطاع الوهراني:

إن حركة أو هجرة العلماء الجزائريين نحو المغرب ، قد تختلف عن تلك الهجرة المتوجهة نحو تونس ، خاصة من الناحية الزمنية ، حيث أن أولى الهجرات نحو تونس كانت في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي أي الثالث الهجري ، بينما لا يكاد الباحث في الموضوع يعثر على أثر تلك الهجرة نحو المغرب إلا في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي أي الخامس الهجري (2)

---

1) – الشيخ بشير بن أبي بكر بن البشير بن عمر الجزائري "فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم و الحديث و واقع التراث الجزائري الأصيل بين المعلوم و المجهول" ، ج1 ، منشورات ثالثة ، الجزائر 2002م، ص 107،108و 109 .

2) – د. عمار هلال ، العلماء الجزائريون في البلدان العربية ، الإسلامية فيما بين القرنين (9م 20م)/ 3هـ و 14هـ ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1010م، ص 103 .

فإذن حركة العلماء الجزائريين نحو تونس كانت أسبق زمنيا عن تلك المتجهة نحو المغرب ، و هذا راجع لأسباب عديدة أهمها العلمية ، و المتمثلة في أن القيروان[1] في تونس كمركز علمي و عاصمة سياسية أقدم من مدينة فاس المغربية [2] بما يزيد على ثلاث قرون .

يمكن تحديد مراحل حركة العلماء الجزائريين و هجرتهم نحو المغرب في الفترة الممتدة ما بين القرنين(10م و 20م) ، بثمان مراحل [3] ، ما يهمنا منها إلا المرحلة السابعة و الثامنة المنحصرتين ما بين القرنين (19 م و 20 م) لأن لها علاقة بموضوع بحثنا .

إن تلك المرحلة هي خصبة بعدد العلماء الجزائريين المهاجرين نحو المغرب ، فهي مرحلة يميزها عن باقي المراحل كون الفرنسيين و ضعوا أيديهم على تراب الجزائر و عزلها لأكثر من قرن من الزمن عن باقي أجزاء العالم العربي الإسلامي .

إن سياسة الاضطهاد الفرنسي و الاعتداء على الدين الإسلامي و على الحرمات ، كهدم المساجد و مراقبة و تفتيش الزوايا و الإستيلاء على الأوقاف الإسلامية [4] و ضمها لممتلكات الإدارة الفرنسية و عدم تعويض الأملاك المصادرة، تطبيقا لمراسيم و قوانين و قرارات مختلفة [5] ، إضافة إلى انتهاج سياسة التفقير و التجهيل و بعثرة السكان بتهجيرهم و هجرتهم داخل البلد و خارجها و فرض الضرائب الثقيلة و الإستيلاء على مخطوطات و كتب و المكتبات مثل ما فعل الجنرالين كلوزيل (CLAUZEL) ، و بيجو (Bugeaud) من تهجير و نفي للعلماء مثل ما وقع لبعض قضاة تلمسان الذين هاجروا

---

1)- القيروان ، بناها عقبة بن نافع الفهري سنة 670م ، فصارت عاصمة افريقية ، و بلغت أوج عزها على أيام الملوك الأغالبة (800 م ، 909 م) .

2)- اشتهرت مدينة فاس كمركز ثقافي و فني ذو أهمية خلال القرن العاشر الميلادي ، و ازدادت أهميتها و أوج عزتها في عهد المرينيين خلال القرنين(13 م و 14 م)حيث شيدوا بها الجوامع و المدارس ، خاصة جامع القرويين .

3) - د. عمار هلال ، المرجع السابق ، ص 105 .

4)- المدني (أحمد تو فيق) ، كتاب الجزائر ، الطبعة العربية ،الجزائر 1300هـ ،ص 246.

5)- القوانين التي أصدرتها فرنسا متنوعة منها على سبيل المثال : *قانون سيناتوس- كونسلت (sinatus – consulte) 1863م - *وقانون ورنيي (wanier) عام 1873م - *مرسوم 27 سبتمبر 1907م ، القاضي بفصل الدين عن الدولة و رغم ذلك احتفظت الإدارة الفرنسية لنفسها بالأوقاف الإسلامية لأغراض مادية و ثقافية ، متنكرة للمرسوم الذي أصدرته .-* مرسوم 18-10-1892م الذي يقضيي بعدم فتح المدارس العربية إلا برخصة من الإدارة الفرنسية ، و غيرها من القوانين الجائرة التي جعلت عدد من علماء الغرب الجزائري يفكرون في الهجرة نحو المغرب .

نحو المغرب مثل محمد ابن سعيد الذي يقال أنه توفي بمدينة فاس ، بائسا سنة (1842م)، كما هاجر البعض من عائلة المشرفي [1] من معسكر نحو المغرب.

لقد نقل العلماء الجزائريون أثناء هجرتهم أيام الاحتلال الفرنسي إلى المغرب ما تحتفظ به مكتباتهم من مخطوطات خوفا من أن تطالها يد المستعمر و بقيت هناك في خزانات و مكتبات المغرب الأقصى إلى يومنا هذا ، و هي هجرة البحث فيها يسلط لنا أضواء كاشفة لعدد من العلماء الجزائريين خاصة بالقطاع الوهراني المهاجرين نحو المغرب و معهم مؤلفاتهم و خزانات كتبهم التي كان يمكن أن تغني و تثري المكتبات بالقطاع الوهراني خاصة القرن 13هـ (19م) ، و يمكن هنا أن نضرب مثلا بمؤلفات أبي حامد المشرفي الذي توجد كثيرمن مخطوطاته و كتبه بخزانات المملكة المغربية [2] ، و منها :

* **"ذخيرة الأواخر و الأول فيما ينتظم من أخبار الدول ":** موجود بمكتبة الخزانة العامة بالرباط ، يحتوي على 58 صفحة مكتوب بخط جميل على ورق كراس عادي ، موجود تحت رقم 2659 ، و لا يوجد منه سوى الجزء الثاني ، أما الأول فهو مفقود ، و في الجزء الثاني حديث عن الجزائر و المغرب: عن الجزائر يبدأ من أوله إلى ص 25 و يتحدث عن علماء و أخبار و أخلاق أهل الجزائر من الاحتلال كما يوجد فيه وصف لمدنها الأوروبية و الوطنية ، و في صفحة 54 عنوان " خاتمة " ، تتحدث عن أهمية علم التاريخ ثم التعريف بالعلماء ، ثم نبذة عن حياته في المغرب و حنينه إلى وطنه الجزائر و فراغ جيبه و ضيق حاله.

---

1)- أبو حامد العربي المشرفي من أغزر علماء الجزائر إنتاجا في القرن (19م) ولد في غريس بالقرب من مدينة معسكر و شب هناك ، و يكفي أن يكون الشيخ أبو راس الناصر هو أستاذه ، وهاجر إلى المغرب الأقصى بعدد دخول الإستعمار الفرنسي ، ويورد هو في بعض كتبه ، وخاصة كتابه : (طرس الأخبار) أخبارا توحي بأنه شارك في الأحداث ضد الفرنسيين قبل هجرته ، و انه في المغرب تقرب كثيرا من الأسرة العلوية و السلطان الحسن ألأول على الخصوص ، وقد خصه بديوان مدح. لقد زار الجزائر مرتين بعد هجرته منها ،الأولى سنة (1849 م) و الثانية سنة (1877م) أثناء حجه إلى بيت الله الحرام .ووجدنا تاريخين لوفاته (1893م) و الثاني (1895م) بمدينة فاس المغربية ، و من مؤلفاته نذكر : " ذخيرة الأواخر و الأول فيما ينتظم من أخبار الدول "

2)- سعد الله (أبو القاسم) ، مؤلفات المشرفي ، مجلة الثقافة، العدد 75، ماي –جوان 1983م، ص 78 .و في هذا المرجع أشار الأستاذ أبو القاسم سعد الله مشكورا ، الملاحظة الآتية : " نشر المشرفي آراءه في معاصريه و في أحداث وطنه ، والعالم الإسلامي و المغرب الأقصى و التي شارك فيها باندفاع و حماس ، و لا نريد لتراثه أن يضيع وسط تردد الباحثين الذين اعتبروا المشرفي لا وطن له، فالجزائريون قد يعتبرونه مغربيا بالهجرة و المغاربة يجهلونه و قد يعتبرونه جزائريا بالأصالة ، ويا ضياع علماء العرب و المسلمين في عصر الوطنيات الضيقة و الحدود السياسية الشائكة" !!!.

***" يا قوتة النسب الوهاجة و في ضمنهاا التعريف بسيدي محمد بن علي مجاجة":**

النسخة الأصلية توجد بخط المؤلف في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1534 ، و يقع الكتاب في مجلد وسط و رتبه على مقدمة و أربعة أقسام و خاتمة و هو في 88 ورقة ، وانتهى من تأليفه سنة 1300 هـ ، ولهذا الكتاب عنوان آخر وهو : " اليواقيت الثمينة الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مجاجة" [1] ، هو يعرف بالشيخ المجاجي (نسبة إلى مجاجة الواقعة بولاية الشلف في الجزائر) و هو من علماء و صلحاء الجزائر في أوائل القرن 11هـ (17م)، في الواقع أن محتوى الكتاب لا يقتصر على المجاجي و الأدارسة بل فيه أخبار هامة عن الغرب الجزائري و علمائه [2]. و لأبي حامد المشرفي مؤلفات أخرى ، و عموما كان هذا نموذجا لعالم من الغرب الجزائري و بالضبط من مدينة غريس المعسكرية (معسكر) اضطرته سياسة الاستعمار الفرنسي إلى الرحيل و الهجرة نحو المغرب و معه مخطوطاته و كتبه ، وغيره من علماء الغرب الجزائري المهاجرين نحو المغرب .

حسب تتبعنا لحركة هجرة العلماء من الغرب نحو المغرب استطعنا العثور على بحث قيم للأستاذ عمار هلال [3] حول حركة هؤلاء العلماء خلال النصف الأخير من القرن 19م حسب تاريخ وفاتهم و تخصصاتهم، و الجدول الآتي يبين ذلك :

---

1)- سعد الله (أبو القاسم) ، مجلة الثقافة المرجع السابق، ص.85
2)- فهرست المخطوطات العربية بالمكتبة الملكية بالرباط، القسم الثاني، رقم 2164.
3)- د. عمار هلال ، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية ، مرجع سابق، ص134.

مكتبات المساجد و الزوايا بالقطاع الوهراني خلال الفرن (19م)

	أديب	لغوي	فقيه	علوم	شاعر	مفسر	مدرس	قاضي	متصوف	باحث	نسابة	مؤرخ	متكلم
الأغريسي احمد (1836-1889م)			*		*			*					
الأغريسي محمد بن عبد القادر(19م)			*					*					
بن تكوك الشارف (1803-1890م)		*											
الجزائري محمد السعيد بن محي الدين (1861م)			*	*									
الحاج الداودي (1854م)			*	*				*					
الراشدي الطيب بن المختار (1868م)	*		*		*			*					
الشلقي العربي (19م)									*				
علي الحمامي (1902-1949م)	*							*					
ابن عليوة (1874-1934م)	*								*				
المجاجي عبد الرحمان (19م)			*	*						*			
المجاوي عبد القادر (1848-1913م)	*						*						
المشرفي أبو حامد (1895م)	*										*	*	
المشرفي أبو عبد الله (19م)								*	*				
مفدي زكريا (1912-1976م)	*				*								

من خلال هذه القائمة نلاحظ بعض الأسماء البارزة التي أدت دورا علميا أو سياسيا ، منها : عبد القادر المجاوي[1] وابن عليوة ، و أبو حامد المشرفي ومفدي زكرياء .

من أهم علماء الجزائر في المغرب ، نذكر : محمد سعيد بن محي الدين ابن مصطفى الحسني الجزائري المتوفى سنة (1861م) و هو الشقيق الأكبر للأمير عبد القادر ، فقيه ، صوفي ولد بقرية القيطنة نواحي معسكر ، رحل إلى المغرب حيث تولى مشيخة الطريقة القادرية ، و قد عرضت عليه الإمارة قبل أن تعرض على شقيقه عبد القادر فلم يقبلها و لكنه اشترك مع أخيه في كفاحه ضد الإستعمار الفرنسي . ان الدور العلمي لمحمد سعيد غير بارز في المغرب ، لكن دوره العلمي بارز في بلاد الشام [2].

- يجب الإشارة إلى أن هناك مخطوطات جزائرية في خزائن المملكة المغربية ، هي لعلماء وشيوخ جزائريين هاجروا في فترات تاريخية مختلفة من الغرب الجزائري نحو المغرب الأقصى و هي موجودة بالخزانات أو المكتبات المغربية الآتية : [3]

*الخزانة العلمية بالمسجد الأعظم بتازا - * مخطوطات الجامع الكبير بمكناس

*خزانة مسجد القرويين بفاس - * المكتبة العامة بمدينة تطوان

*خزانة مدينة بني ملال

- كيف كان موقف فرنسا من هذا التراث الفكري الجزائري المخزن في مكتبات المساجد و الزوايا ؟

1)- عبد القاجر المجاوي التلمساني المولد و القسنطيني ، الإقامة و الممات ، ولد سنة 1848م بتلمسان التي كان أبوه فيها قاضيا مدة 25 سنة ، و بعدها قاضيا بالغرب .هو أحد أساتذة الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، و توجد على مستوى وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف مخطوطات كتبها بخط يده :"المختصر في المنطق و المختصر في النحو " و له كتب طبعت بالجزائر و مصر وتونس أهمها : "ارشاد المتعلمين " صدر سنة (1877م) بالقاهرة ، و له : "المرصاد في مسائل الإقتصاد "و هو أول كتاب في الإقتصاد الإسلامي توفي بقسنطينة سنة (1914م).

2)- د. عمار هلال : مقالة حول العلماء الجزائريون في فاس ما بين القرنين 10و 20م ، مجلة الدراسات التاريخ جامعة الجزائر ، العدد التاسع ، 1995،ص40

3)- نظر التراث الجزائري المخطوط في الجزائر و الخارج ، تحقيق.د.مختار مساني الجزء 7، منشورات الحضارة ، الجزائرية 2009م.

ثانيا: موقف الاستعمار الفرنسي من مكتبات القطاع الوهراني:

تمهيـــــد :

من خلال ما سبق ، يتضح وضوحا ساطعا بأن الجزائر كانت قبل (1830م) غنية جدا بتراثها الفكري المخطوط منه و المطبوع ، و الذي كان مخزنا في خزانات و مكتبات المساجد و الزوايا و الكتاتيب القرآنية ، و في كل جهات التراب الوطني ، و هذا ما اعترف به الاحتلال الفرنسي نفسه ، إذ أكد العديد من علمائه و مبشريه و جنرالاته و ضباطه تلك الحقيقة .

إن الجزائر الغنية بتراثها الفكري و المتمسكة بانتمائها للحضارة العربية الإسلامية تمسكا عميقا متجذرا ، و جدت نفسها ابتداءا من 1830 أمام استعمار فرنسي عمل منذ البداية على تطبيق سياسة هدفها اختراق ذلك الموروث الثقافي و الحضاري ، الذي هو المكون للشخصية الوطنية و هو في جوهره تراث عربي إسلامي متداخل و متكامل مع تراث الأمة العربية [(1)] التي تضافرت جهود أقطارها في تكوين الحضارة العربية الإسلامية التي أثرت و أغنت العلم و خلفت آثارها في العقل البشري و في الحياة الإنسانية[(2)] . و نظرا لأهمية الموروث الثقافي و الفكري في تكوين الشخصية الوطنية باعتبار الشخصية نتاجا ثقافيا بالأساس ، حاول الاحتلال الفرنسي طوال أكثر من قرن تجريد الشعب من ثقافته القومية تمهيدا لتجريده من شخصيته الوطنية ، بان عمل على نسخه من حيث نمط حياته و من حيث آليات تفكيره ، عن طريق إحلال ثقافة أجنبية دخيلة محل ثقافته الأصيلة، و لقد شملت عملية المسخ هذه جميع المظاهر الثقافية و الاجتماعية في الجزائر "من أدناها الملابس والثياب ، إلى أعلاها الذوق الفني و القيم الأخلاقية "[(3)].

2 $_1$: سياسة الإستحواذ على المكتبات بالقطاع الوهراني:

لقد سارع الفرنسيون بمجرد احتلالهم للجزائر إلى الاستحواذ على مكتبات المساجد و الزوايا و غيرها من المراكز التربوية و التعليمية العربية الإسلامية و خاصة مخطوطاتها و ذلك لإفقار تلك المراكز من مادتها الأساسية ألا و هي المخطوطات و الكتب المتنوعة التي بفضلها أنشأت فرنسا مكتبة

1 - د. تركي رابح ، التعليم القومي و الشخصية الوطنية 1931-1956 (ش،و،ن،ت)، الجزائر 1975، ص 322
2 - اللجنة الوطنية لإصلاح التعليم : "مدخل للتقرير حول التوجيه العام "، جريدة الشعب ، 2ديسمبر سنة 1970 ، ص 5
3 - د. أحمد طالب الإبراهيمي ،"التجربة الجزائرية في الثورة الثقافية "، مجلة الثقافة، عدد 08، ماي، جوان 1972، ص 18

(وطنية) بمدينة الجزائر سنة (1835م) ملئت بتلك الكتب و المخطوطات العربية الإسلامية التي استحوذ عليها المستشرقون الفرنسيون و الضباط خلال حملاتهم العسكرية في مختلف جهات الجزائر ، و خاصة

مغامرات محافظ المكتبة سنة (1836م) ، و هو أدريان بيربروجر (Adrien berbruger)[1] ، مغامراته المتعلقة بجمع كتب و مخطوطات المساجد و الزوايا و أينما وجدها لقد كانت الأهداف الأساسية التي رسمها منظرو الحركة الاستعمارية الفرنسية أمثال جول فيري (Jules ferry) و لا فيجري (la vegerie) و المتمثلة في الفرنسة و التمسيح ، فركزت أولا على سياسة تعليمية استعمارية استغرابية (occidentalisation)[2] ابتداءا من (1830م) و على مراحل، حيث من جهة حاربت محاربة صارمة التعليم العربي الحر[3] و مراكزه وشيوخه، و من جهة ثانية عملت على خلق تعليم رسمي تشرف عليه الإدارة الفرنسية تمثل فيما يسمى " بالمدارس العربية الفرنسية "[4]، ومن جهة ثالثة شجعت المبشرين من رجال الدين المسيحي و المستشرقين للقيام بمجهودات تتعلق خاصة بالبحث و الدراسة للتراث الفكري الجزائري المخزن في مكتبات المساجد و الجوامع و الزوايا .

لقد اكتشفت الإدارة الفرنسية بعد احتلالها للجزائر (1830م)، تراثا ثقافيا هام جدا تراكم بهذه الأرض عبر قرون طويلة من الزمن تكون نتيجة حضارات مختلفة ، و بالتالي و جد العلماء الفرنسيون أنفسهم أمام ساحة بحث غنية و عذراء مهيأة للتقصي و التحقيق و للبحوث العلمية في مختلف ميادين المعرفة ، مما يمكن الإدارة الفرنسية من الدراسة المعمقة للجزائر مثلما ما قام به نابليون بونابارت (Napoleon bonaparte) في مصر (1798م).

---

1) – abdelhamid Arab, bibliotheque nationale d'Algérie éditions (b.n.a) Alger 2004, p15
***فيما يتعلق بالمستشرق أدريان بيربروجر (Adrian berbruger) ، أنظر نفس المرجع أعلاه ،ص 14**
2) – محمد العربي ولد خليفة ، المسألة الثقافية و قضايا اللسان و الهوية، مطبعة ثالثة ، الجزائر ، 2007م، ص 293 .
3) – التعليم العربي الحر أو التعليم العربي الإسلامي و أبرز أماكنه الكتاتيب القرآنية و دروس المساجد و الجوامع و هو تعليم عربي من حيث اللغة و الثقافة و تعليم إسلامي من حيث المحتوى و الروح ، و كان ينعت بالتعليم التقليدي باعتباره استمرارا للتعليم السائد خلال العهد العثماني و حقيقة لم يتطور الا عند ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر خلال القرن 20م ، رغم تأثر بعض مدارسه بالمدرسة الفرنسية الرسمية . يمكن وصفه بالتعليم الأصلي باعتباره تعليما يمثل المنهج التربوي الذي مارسته الأجيال الجزائرية سابقا و باعتباره حافظ على التراث القومي في وجه الغزو الحضاري الأجنبي، عموما كان تعليما موازيا للمدرسة الفرنسية .
4) – د. تركي رابح ـ المرجع السابق ، ص 104
***المدارس العربية الفرنسية هي مدارس ابتدائية فرنسية موجهة للجزائريين و كان عددها قليل جدا و هدفها هو تكوين جيل من الجزائريين نحو الفرنسية و قطعه عن جذوره ، و لم يصل عدد هذه المدارس سنة 1870 إلى الأربعين مدرسة في الجزائر كلها، لم تكن هذه المدارس مفتوحة لكل الجزائريين بل فقط أبناء الجزائريين الموظفين لدى الإدارة الفرنسية من قياد وباشاغاوات وقضاة الخ و هو تعليم أصبح إجباريا منذ سنة 1872 .**

*في الجهة الغربية من الجزائر أصيبت حركة التعليم و التأليف و الثقافة بصفة عامة بالشلل بسبب الحروب القاسية خلال المقاومة التي قادها الأمير عبد القادر (1832م-1847م)، حيث تعرضت العواصم العلمية و الدينية مثل تلمسان ،معسكر ، وهران ، مستغانم و مازونة ، تعرضت جميعها إلى خروج أهلها منها عدة مرات و منهم خاصة العلماء و تعرضت مكتبات المساجد و الزوايا و المدراس للنهب و الهدم و خاصة ما تعرضت له زاوية القيطنة التي توقفت عن أداء مهمتها العلمية و الدينية أثناء المقاومة سيما بعد (1836م) ، و هي ظروف عاشتها مختلف الزوايا في الغرب الجزائري مثل زاوية أولاد سيدي دحو بمعسكر ، و زاوية أولاد سيدي الشيخ بالأبيض (البيض) خاصة أثناء مقاومتهم (1864م-1883م)[1] .

عموما أصيب الغرب الجزائري بجدب علمي و ثقافي كبير نتيجة هجرة العلماء إلى المغرب و المشرق[2] .

إن السياسة الفرنسية المتمثلة في الإستحواذ على محتويات خزانات و مكتبات مساجد وزوايا الغرب الجزائري ، لا بمكن فصلها عن السياسة العامة التي انتهجتها فرنسا في ميدان التعليم و التي انطلقت أولا بما قامت به الإدارة الفرنسية الاستعمارية في مجال محاربة المراكز التربوية و التعليمية (مساجد ، جوامع ، زوايا، مدارس...) و ما تحتوي عليه من كنوز تتمثل في المخطوطات و الكتب ، و لذلك بالنسبة لنا لا يمكن الفصل بين سياسة التعليم المنتهجة من طرف فرنسا وسياستها المتمثلة في الاستحواذ على مكتبات المساجد و الزوايا ، فهي سياسة واحدة أو أن صح التعبير هما وجهان لعملة واحدة ، حيث لا تعليم و لا ثقافة بدون الكتاب و المكتبات . و عموما هي سياسة عملت على فرنسة التعليم و المحيط الاجتماعي و الإداري و نهب التراث الفكري العربي الإسلامي المخزن في المكتبات

1) – د. عبد القادر خليفي ، المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران 2004م، ص 47.
2) – عن الهجرة علماء الغرب الجزائري نحو المغرب ، أنظر المبحث الأول من هذا الفصل .

الجزائرية ، و محاولة تشويه التاريخ الجزائري ، حتى أصبح الجزائريون قرب نهاية القرن (19م) في شبه جهل تام بحركة الانبعاث الفكري و الثقافي التي دبت في العالم العربي ، إلا مع مطلع القرن (20م) حيث عمل جماعة من الرواد مثل عبد القادر المجاوي (1848م-1913م) ، و الشيخ أبو القاسم الحفناوي (1852م-1942م) و الشيخ مصطفى بن الخوجة (1865م-1915م) ، الشيخ عبد الحميد بن سماية (1866م-1933م) الدكتور محمد ابن أبي شنب (1869م-1929م) ، عملوا على كسر العزلة الفكرية و الثقافية التي ضربها الاحتلال الفرنسي على الجزائر[1] لقد كان التراث الفكري الجزائري قبل 1830 مخزن في مكتبات المساجد و الزوايا و الكتاتيب بغيرة و حرص شديدين ، إلى أن دخل الاحتلال الفرنسي سنة 1830 فوقع تبعثر كتب و مخطوطات تلك المكتبات و تشتتت و اتلفت و احتجزت بل و نهبت خاصة عن طريق الحملات العسكرية الفرنسية الوحشية ، مع تجاوزات تذكرنا أحيانا بأعمال الشباب الهتليري ضد كتب المثقفين الفرنسيين أنفسهم خلال "الحرب العالمية الثانية "(1939م-1945م)[2] .

* لقد اختفت العديد من مخطوطات و كتب مكتبات مساجد وزوايا الغرب الجزائري بشكل فاضح ، و بالتالي يحق لنا أن نتساءل : أين مخطوطات و كتب مكتبات مساجد تلمسان ، معسكر و مازونة ؟ أين العدد الكبير من الكتب التي حبسها محمد الكبير[3] على مدرسته في معسكر ؟ أين مكتبة الأمير عبد القادر و منها مكتبة القيطنة [4] التي عندما استولى الفرنسيون على زمالته انتقلت للإدارة الفرنسية ، ماذا فعلوا بها ، و ما كان مصيرها ؟؟

---

1) - د. تركي رابح ، التعليم القومي و الشخصية الوطنية ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر 1975م، ص 335.

2) – سعد الله (أبو القاسم) مرجع سابق ص 327.

3) – محمد الكبير هو محمد بن عثمان الكردى ، و كنيته : أبو عثمان ، أبو علي ، أبو أحمد ، أبو الفتوحات .الخ ..لقب بالكبير عندما فتح و هران وطرد منها الإسبان، أمه جارية ، اسمها زائدة ، أهداها لأبيه مولاي اسماعيل سلطان المغرب الأقصى ، لمودة كانت بينهما ، أما أخوه محمد الرقيق (بوكابوس) فأمه حرة من أشراف المدية .

كان يملك مكتبة ضخمة تحتوي على مختارات من شتى المخطوطات ، و كان لا يكتفي بالمخطوطة الواحدة في خزانته بل يأمر بنسخ عدد منها لتكون في متناول أيدي جميع المثقفين ، و كان يبذل الأموال الطائلة في المخطوطات النفيسة فيشتريها و يضعها في خزانة القصر أو يحبسها على طلبة المدارس و علماء المساجد و كان يبحث عن العلماء حينما كانوا و يتقصى آثار المثقفين ، و كان مولعا بالمطالعة و هو فقيه و أديب مطلع على تاريخ العرب و أيامهم ، و كانت معرفته بالطب واسعة ، كل هذا و غيره حسب صاحب الثغر الجماني .جدد بناء مدرستين بتلمسان و ارجع إليهما رونقهما .

ملاحظة : أنظر ، رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري ،لصاحبه ، أحمد بن هطال التلمساني ، تحقيق و تقديم ، محمد بن عبد الكريم ، عالم الكتب القاهرة 1969م، ص 26.

4) – أنظر المبحث الأول من هذا الفصل .

عندما أراد الدكتور ابن أبي شنب [1] مثلا أواخر القرن 19م و أوائل القرن 20م أن يصف و يرتب ما بقي في الجامع الكبير بالعاصمة لم يذكر منها سوى بضع عشرات . و حول هذا التدمير و الإتلاف للكتب و المخطوطات يوضح الباحث المتخصص في علم المكتبات، الفرنسي أدريان بيربروجر (Adrian berbrugger) الذي رافق الجيش الفرنسي في حملاته نحو معسكر ، قائلا : " حملاتنا العسكرية أتلفت أغلبية الكتب و دمرت أغلبية المدارس ، و بعض بقايا تلك الكتب الأدبية أنقذت من الإتلاف من قبل أصدقاء العلم ووضعت بمكتبة مدينة الجزائر .....[2].

و يقول بيربروجر(Berbrugger) أيضا أن الفرنسيين وجدوا عقود أملاك عائلة الأمير ، و حين أطلع بيربروجر(Berbrugger) الأمير على ذلك في مقابلة معه سنة (1837م) لم يكد الأمير يصدق القصة ، و أثناء البحث عن زمالة الأمير كان الفرنسيون يستدلون عليها بأوراق الكتب و الوثائق التي كانت تذروها الرياح و ترمي بها في الأشجار[3] .

---

1) – محمد ابن أبي شنب ولد بنواحي المدية سنة (1869 م) يتقن اللغتين العربية و الفرنسية ، ألحقه أستاذه سنة (1894م) ،روني باسي (René basset) بالمدرسة العليا للآداب كأستاذ مكلف بالمحاضرات في اللغة العربية .تخصص في الدراسات الإ سلامية و البحث و التنقيب عن ثراتها الفكري المخزن في مكتبات المساجد ، و كان متمرسا باللغات التركية و الفارسية و اللاتينية ، وكان ينهج في دراساته و بحوثه منهجا أوربيا ، توفي في 6 فبراير 1929م .

له عدة مقالات في المجلة الإفريقية لسنة 1897م ص 267 : * المغارسة في الفقه المالكي ↔ la plantation a frais communs en droit malékite

***المجلة الإفريقية لسنة 1900 ص 261:**

*** من تلمسان إلى مكة ↔ itinéraire de Tlemcen à la Mecque و هو نص عربي مع الترجمة الفرنسية لمرحلة الشيخ ابن مسايب من تلمسان إلى مكة .**

*** المجلة الإفريقية لسنة 1901م ص 101 إلى 110 :**

رسالة الغزالي حول تربية الأطفال ↔ lettre d'al-Ghazali sur l'éducation des enfants

***له عدة أبحاث منها : تقل صحيح البخاري إلى سكان مدينة الجزائر↔ la transmission du recueil des traditions de Bokhary aux habitants d'Alger**

*** ساهم في نشر بعض المخطوطات و ترجم بعضها إلى الفرنسية ، و هي مخطوطات بعض المكتبات منها : " البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان " لابن مريم – و كذلك : " عنوان الدراية في علماء بجاية " للغبريني –ثم : " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار " للورتلاني و ألف المؤلفات الثلاث مابين 1908م و 1910م .**

لقد ألف في مجال االبيبللوغرافيا و الفهارس بالتعون مع المستشرق ليقي بروقنسال (Lévi provençal) دراسة حول المطبوعات الفاسية حسب ترتيبها زمنيا (راجع المجلة الإفريقية" R.A" 1921' 158، 173،275،290).

2) – Arab abdelhamid , manuscrits et bibliotheque musulmanes en Algérie 1830-1962/ op,cit,p 13

3) – أنظر مقابلة الأمير في معسكره بالبويرة ، لبيربروجر (berbrugger)، شهر ديسمبر سنة 1837م، و لقد ترجم هذه المقابلة و نشرها ، د. أبو القاسم سعد الله ، ووضحها في موسوعته : تاريخ الجزائر الثقافي .

لقد أتلفت مكتبات الزوايا في الأرياف ، وهاجرت الكتب و المخطوطات بالغرب الجزائري أيام الاحتلال الفرنسي نحو المغرب ، تونس، سوريا و إلى فرنسا في أوقات مختلفة حيث استحوذ على عدد مهم منها، الضباط و المترجمين و المستشرقين و العلماء و اللصوص أيضا ، و لذلك فان من يبحث في التراث الفكري الجزائري في العهد الفرنسي سيجد مصادره مبعثرة في مكتبات العالم .

2 $_2$: دور مكتبات القطاع الوهراني في إثراء المكتبة الفرنسية بمدينة الجزائر "الوطنية" (1835م):

أ - المكتبة الوطنية (1835م) :

المكتبة (الوطنية) بمدينة الجزائر ، و التي أصبحت مكتبة وطنية جزائرية بعد(1962م)، هي ليست عميدة المكتبات الاستعمارية فقط ،بل هي كذلك أقدم مؤسسة ثقافية فرنسية أنشأت بإفريقيا و كذلك من أقدم المكتبات الوطنية في العالم العربي و الإسلامي ، فهي مثلا تأسست سنة (1835م) بينما لم تتأسس المكتبة الوطنية المصرية الا سنة(1840 م) ، في سوريا (1880م) ، في تونس (1883م) ، في المغرب سنة (1920م) و هي كذلك كبيرة من حيث محتوياتها من المجلدات إذ بلغت 750.000 مجلد و بذلك تأتي في المرتبة الثالثة بعد مكتبة مصر التي تبلغ مجلداتها : 1.100.000 مجلد ، ومكتبة سوريا : 1000.000 مجلد [(1)].

أقدميتها ، إنشاؤها و تطورها في ظروف استثنائية ، ثم دورها الثقافي و مهمتها السياسية ، كل هذا جعلها تحتل الصدارة كمؤسسة طبعت بقوة التاريخ الثقافي و السياسي لكل من الجزائر و فرنسا حيث أنشأت في فترة خاصة من تاريخ الجزائر و بدون رصيد يوم 13 أكتوبر (1835م) بموجب مرسوم من الوزارة الفرنسية للحرب أي خمس سنوات بعد الاستيلاء على مدينة الجزائر ، و كانت مسيرة من طرف المحافظ أدريان بيربروجر (Adrian berbrugger)[(2)]الذي عينه المارشال كلوزيل (Clauzel الحاكم العام للجزائر (1835م).

---

1)– Abdelhamid Arab, bibliothèque nationale d'Algérie éditions (b.n.a) Alger 2004, p129

2) – بيربروجر هو من التلاميذ القدامى لمدرسة ليشارت (école des Chartes) ، و شغل المناصب الآتية ستة 1836م :
محافظ مكتبة الجزائر ، رئيس تحرير جريدة (moniteur algérien) ، الكاتب الخاص للمارشال كلوزيل (Clauzel) ، و هومن مؤسسي الجمعية التاريخية (S.H.A) و كذلك المجلة الإفريقية (Revue Africaine).

استطاع بيربروجر (Adrian berbrugger) أن يكون الرصيد الحالي بفضل مجهوداته و مثابرا ته كما روته المصادر و المراجع الفرنسية و الجزائرية .

تغيرت أماكنها عدة مرات[1] : (1835م- 1838م-1848م)،بعدها ازداد رصيدها تدريجيا بفضل الهبات و مصادرة المخطوطات و الكتب من مختلف مكتبات و زوايا و مدارس القطر الجزائري و خاصة الجهة الغربية ثم إرساليات وزارة الحرب .

ما بين (1958م-1962م)، حولت إلى مبنى فرانز فانون(Frantz fanon) ،بعد الاستقلال حولت إلى مبنى الحامة .

ب – مكتبات القطاع الوهراني و إثرائها للمكتبة الفرنسية لمدينة الجزائر (الوطنية)

إن مكتبات القطاع الوهراني (مساجد ، زوايا ، مدارس و خاصة)،استحوذت الإدارة الفرنسية أثناء حملاتها العسكرية على أهم مخزوناتها من مخطوطات و كتب ووثائق عربية إسلامية ، فحولت جزءا كبيرا منها إلى المكتبة (الوطنية) بمدينة الجزائر ، و تلك الحملات العسكرية عاش محافظ المكتبة بيربروجر(Berbrugger) مراحلها حيث ذكر بأن الحظ كان معه في الحملة العسكرية على تلمسان إذ تمكن من جمع أكثر من مائتي مخطوط حولت كلها إلى مكتبة الجزائر[2] .

---

1) – انظر كل ما له علاقة بالمكتبة (الوطنية) ،إلى كتاب :
المرجع السابق Abdelhamid Arab <u>bibliotheque nationale d’Algérie</u> ,
2) - المجلة الإفريقية ((revue africaine) K 1927,vol.68,p107

لابد من الإشارة إلى أن أول إحصاء للمكتبة أجري سنة (1841م) أثبت أنها احتوت على حوالي ألف و ثمان مائة من الكتب المطبوعة معظمها بالفرنسية و اللاتينية، تدور مواضيعها حول الأدب و التاريخ ، الآثار ، الفلسفة ، الفيزياء و الرياضيات و منها مجموعة خاصة بالمغرب العربي (شمال إفريقيا)[1].

أما قسم المخطوطات فيها احتوى على ست مائة و سبعة و أربعين (647) مخطوطات منها حوالي أربع مائة (400) مخطوط كان قد جمعها بيربروجر (Berbrugger) أثناء الحملات العسكرية على قسنطينة و معسكر و تلمسان[2] و صنفت تلك المخطوطات كما يلي :

- قرأن - سنة	فقه مالكي فقه حنفي	لغة عربية و آدابها	دواوين شعرية	تاريخ و التراجم	طب فلك، فيزياء،تنجيم
450 كتاب	200 مخطوط	600 مخطوط	300 مخطوط	50 مخطوط	لم يذكر عددها

1)- سعد الله (أبو القاسم)، المرجع السابق ،ص 341.

2)- يلاحظ المؤرخ سعد الله أبو القاسم في المرجع السابق ص 341، بأن رقم (400) يختلف عما ذكره بيير روجر (Berbugger)في تقرير سابق ، ربما المئات من المخطوطات قد ضاعت أثناء النقل أو أرسلت الى المكتبة الملكية بفرنسا .

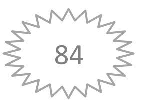
و سنتحدث في المبحث القادم من هذا الفصل عن مجهودات عدد من المستشرقين فيما يتعلق بفهرسة مخطوطات و كتب المكتبة (الوطنية) ، ثم عن مخطوطات جزائرية بالقطاع الوهراني لم يشمله الضبط الببيليوغرافي و لا الفهرسة التحليلية .

انه من حق الفرنسيين إنشاء مكتبة عمومية لهم في الجزائر و لكن ليس من حقهم إنشاء هذه المكتبة عن طريق النهب و السلب من أصحابها الجزائريين ليكونوا بها مكتبة لا تخدم إلا مصلحة الاستعمار و أهدافه المتمثلة في تغييب و محو التراث الفكري الجزائري و فرنسة الجزائريين و تمسيحهم ، ففرنسا الاستعمارية اعتبرت الكتب و الخزانات التي كانت بالمساجد و الزوايا و المكتبات العائلية أو الخاصة ، اعتبرتها غنيمة حرب [1] ، و بالتالي حرموا المدارس و العلماء و الطلبة الجزائريين من مصادر حياتهم العلمية و الفكرية التي خزنوها بمعاناة و تعب قبل الاحتلال بقرون ثم نقلت فرنسا الكثير منها إلى المكتبة الفرنسية بباريس .

صحيح أن المكتبة تطورت منذ نشأتها تطورا ملحوظا من حيث محتواها و من حيث بنائها أيام الاحتلال و صحيح كذلك أن بعض مستشر قيها بذلوا جهدا في فهرسة بعضها و هم مشكورين على ذلك (رب ضارة نافعة) ، لكن في حقيقة الأمر أن المكتبة (الوطنية) هي من أهم الأجهزة و المؤسسات التي وضعت لخدمة أهداف الاستعمار مثلها مثل الثكنة العسكرية الفرنسية أو الإدارة الفرنسية أو المدرسة الفرنسية والكنيسة الفرنسية أو الجامعة الفرنسية فكلها ترمز لغزو استعماري استيطاني ثقافي قائم على التمييز ما بين المستوطنين (و الأهالي) السكان أصحاب الأرض الأصليين.

---

1)- سعد الله (ابو القاسم) ، المرجع السابق ، ص 341.



2-3 مكتبات القطاع الوهراني من خلال أعمال بعض المستشرقين :

قبل التطرق لأعمال بعض المستشرقين و جهودهم في ميدان جمع كتب و مخطوطات المكتبات الجزائرية ، لابد من تعريف موجز لمصطلح ومفهوم المستشرق و الإستشراق .

أ - مفهوم الإستشراق : هو مصطلح مرتبط بماضينا أكثر من ارتباطه بحاضرنا ، فنحن العرب المسلمين علاقتنا به أكثرمن علاقته بغيرنا .

المستشرقون جمع مستشرق ، و هو كل كاتب أو باحث أو عالم غربي يكتب عن الشرق و تراثه ، و عن الفكر الإسلامي و الحضارة العربية الإسلامية و هناك اختلاف ما بين الذين حاولوا إعطاء تعريف دقيق للإستشراق . عموما فالشرق بالنسبة للمستشرق ليس هو فقط الموقع الجغرافي بل هو الهوية العربية الإسلامية [1] و هذا ما انطبق على المستشرقين الذين سنتحدث عن مجهوداتهم في بحثنا هذا .
لقد كان للمستشرقين دوافع و أهداف و أغراض تختلف من مستشرق لآخر كما تختلف من عصر لآخر و من دولة لأخرى ، فهناك من كان غرضه علمي معرفي وآخرون غرضهم خدمة الاستعمار و أجهزة استخباراته و خدمة التعصب الديني و العرقي و الحضاري و مهاجمة الشرق و الأخذ من ثقافته و قيمه وسكانه وحضارته .

1) – الطيب إبراهيم ، الإستشراق الفرنسي و تعدد مهامه خاصة في الجزائر ، دار المنابع ، الجزائر 2004م، ص 17

لقد اكتسب المستشرقون من الشرق المعرفة الواسعة به و المعرفة بالنسبة لهم هي سلاح و السلاح قوة و الذي لا يملك سلاحا لا يملك قوة، إن المزيد من المعرفة معناه المزيد من القوة و السلاح و لذلك اهتم المستشرقون من بين ما اهتموا به، بتراثنا الفكري و تهافتوا عليه و جمعوه و صنفوه و قاموا بفهرسته و ترجموه[1].

فادا نظرنا إلى وظائف المستشرقين من الناحية الشكلية و النظرية ، نراهم رجال علم و فكر و ثقافة و كتابة و تأليف و بحث علمي و تدريس ، و لكن من جهة ميدانية نجدهم متورطين و متآمرين سياسيا و عسكريا و تبشيريا كخبراء و مستشارين و قناصلة و سفراء و وزراء و ضباط و رجال دين

ب- حركة و نشاط الإستشراق : مع بداية القرن 19م أصبح الإستشراق جهازا ضخما في هيكله و حركته و نشاطه [2] و اتسعت دائرة تخصصه ، فأصبح أحد أوجه قوة الاستعمار الذي استفاد منه ، فكانت قوة الإستشراق تسير موازية إلى جنب قوة الاستعمار، فالاستشراق كان هو البوصلة التي تتحكم في حركة و اتجاه و توجه الاستعمار و خاصة عقب حملة نابليون على مصر سنة(1798م) التي لم تكن حملة عسكرية توسعية فقط بل كانت كذلك حملة استكشافية علمية حيث ازداد عدد هواة و طالبي الدراسات الاستشراقية فأصبح إنتاجهم غزير جدا ومتنوع من حيث تخصصاتهم مما تطلب خاصة في فرنسا خلق مجلات و دوريات استشراقية تهتم بالمجتمعات الشرقية التي من بينها المجتمع الجزائري ، فتعرفت على تراثه الفكري و ثقافته و كانت فرنسا صاحبة الريادة في ذلك حتى بلغ عدد عناوين المجلات و الدوريات أكثر من أربعين عنوانا متخصصا [3] و من بين تلك المجلات و الدوريات التي اهتمت بالتراث الثقافي و الفكري الجزائري نذكر:

---

1) – ادوارد سعيد ، الاستشراف ، الطبعة الثالثة مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، 1991م، ص 69.
2)- نجيب العقيقي، المستشرقين ، ج1، ط4 ، دار المعارف ، القاهرة 1980م ص 138.
3)- الطيب إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 13 .

*المجلة الأسيوية بفرنسا 1822م - * المجلة الإفريقية بالجزائر 1851م

* المجلة التاريخية بفرنسا 1876م - * مجلة تاريخ الأديان بفرنسا 1880م

*حوليات الجغرافيا بباريس 1891م - * المجلة التونسية سنة 1894م

* المحفوظات المغربية سنة 1904م - * محفوظات البربر 1915م

*حوليات معهد الدراسات الشرقية بجامعة الجزائر 1934م[1]

هي مجلات و دوريات اهتمت بكل ما هو تراث فكري من مخطوطات و كتب مخزنة في خزانات و مكتبات مساجد و زوايا و مدارس الجزائر. بالإضافة إلى هذا النشاط انعقدت عدة مؤتمرات استشراقية و كانت فرنسا هي السباقة في هذا المجال حيث انعقد أول مؤتمر بفرنسا سنة 1873 بباريس و بعده ثلاث مؤتمرات أخرى سنة (1897م) ، سنة (1948م) ، سنة (1973م) حيث أحيت به فرنسا الذكرى المائوية الأولى لانعقاد أول مؤتمر للمستشرقين بها.

أما المؤتمر الرابع عشر فانعقد بالجزائر سنة 1905 م و هي المستعمرة الفرنسية الوحيدة التي انعقد بها مؤتمر المستشرقين من بين ثلاثين مؤتمرا [2]

ج – المستشرقين والمكتبات العربية الإسلامية :

لقد تمثلت أعمال هؤلاء المستشرقين في الجزائر منذ (1837 م) و التي لها علاقة بالمكتبات و المخطوطات العربية الإسلامية، في " الدراسات و الفهارس و القوائم " ، و عدد الأعمال التي أنجزوها هي خمسة عشر عملا ، منها ثلاث فهارس متداولة في المكتبة الوطنية و هي من انجاز كل من :

---

1) – الطبيب إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 139
2) - الطبيب إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 136.

- بيربروجر (Berbrugger) اهتم بمخطوطات تلمسان و معسكر .
- البارون دوسلان (Baron de salane)، مترجم وفيات الأعيان لابن خلكان
- ليفي بروفانسال (Levi provençal) له كتاب تاريخ اسبانيا الإسلامية
- روني باسي (René basset) الأغاني الإنكشارية و التركية في الجزائر .
- موتيلانسكي Motylinski)، اهتم بتاريخ الإباضيين .
- أجيست كور (Auguste cour)، أستاذ اللغة العربية بقسنطينة.
- بل ألفريد (Bel alfred)، شغل مدير المدرسة بتلمسان .
- ادمون فانيان (Edmond fagnan)[1].

إن أجود هذه الفهارس هو فهرس ادمون فانيان (Edmond fagnan)المنجز سنة (1893م) و هو بعنوان :" الفهرس العام لمخطوطات المكتبة الوطنية "[2] إذ أنه رغم مرور أكثر من قرن على صدوره فهو المفتاح الذي يستعمله الباحثون في الحصول على مخطوطات و كتب المكتبات التي وصفها فانيان (fagnan) ،أنجز الفهرس المشار اليه باللغة الفرنسية و طبع في باريس سنة (1893م) و يعد هذا الفهرس في نظر الدولة الفرنسية من فهارس مخطوطات المكتبات العمومية الفرنسية لأنهم كانوا يعتبرون الجزائر مقاطعة فرنسية [3].

فهرس فانيان (fagnan) يقع في 680 صفحة ، من الحجم الصغير و يشتمل على (1987م) ألف و تسع مائة و سبعة و ثمانين مخطوطة كثير منها مجاميع ، منهجه توصيفي معتدل ، يقوم على ذكر الرقم التسلسلي ، ثم ذكر عنوان المخطوط بالعربية و شرح موجز لموضوع المخطوط و اسم المؤلف وتاريخ وفاته بالهجري و أماكن وجود المخطوطات أي(مسجد أو زاوية أو عائلية) بجهات مختلفة

---

1)- ادمون فانيان (Edmond fagnan) هو مستشرق فرنسي ولد في بلجيكا من أبوين فرنسيين سنة (1846م) ، و توفي في الجزائر سنة (1931م) كلف بالدراسات الشرقية في كلية الآداب بجامعة الجزائر ثم عين أستاذ للغة العربية و الفرنسية فيها .
2) – عبد الكريم عوفي ، مقالة حول جهود الجزائر في فهرسة المخطوطات ، من محاضرة ألقيت في ملتقى المخطوطات في أدرار يوم 14-05- 1998 ، مجلة الثقافة ، عدد خاص بالمخطوطات ، العدد 117،118، (1999م) ص 40 .
3) – عبد الكريم عوفي ، المرجع السابق ، ص 40.

من الجزائر و نوع الخط ، و تاريخ النسخ ، حالة المخطوط ، اسم الناسخ ، عدد الأوراق و السطور و القياس و الوقف و التجليد و نوعه [1] ، أما الموضوعات التي اشتمل عليها الفهرس فقد بلغت أربع و عشرين موضوعا رئيسيا و سبعة و عشرين موضوعا فرعيا [2].

يمكن تحديد مرحلتين مرت بهما الفهرسة في الجزائر بالنسبة لموضوع بحثنا المحدد بسنة (1954م) و هي :

1- **المرحلة الأولى (1837-1909):** عمل فيها المستشرقون على تأسيس النواة الأولى للمكتبة الوطنية ، و يضاف إليهم عمل محمد ابن أبي شنب .

2- **المرحلة الثانية (1909م- 1953م) :** هي امتداد للسابقة ، لكنها اتسمت بالجمود ن و لم تظهر فيها فهارس و دراسات حول المخطوطات .

د- فهرسة مخطوطات بعض مكتبات القطاع الوهراني :

بالنسبة لمخطوطات مكتبات القطاع الوهراني و ضبطها الببيليوغرافي و فهرستها التحليلية ، هناك صنفين :

صنف من المخطوطات شملته الفهرسة، و آخر لم تشمله [3].

---

1)- عبد الكريم عوفي ، محاضرة ، مجلة الثقافة عدد 117، 1999، ص 41.
2) - مقدمة من مدير المكتبة الوطنية الجزائرية " بو عياد" لفهرس ايدمون فانيان (Edmond fagnan)، في طبعته الجديدة .
3) - نوار جدواني ، مخطوطات المكتبة الوطنية ، مقالة بمجلة الثقافة العدد 117-118، الجزائر (1999م) ،ص 67.

- **التي شملتها الفهرسة :** مخطوطات مدرسة تلمسان التي قام المستشرق أوغست كور(Auguste cour بفهرسة مخطوطاتها ، فهو كان أستاذا فيها ، فعددها مائة و عشرة مخطوطا(110) و فهرستها بدون ترتيب و لا نظام ، و يعترف بأن تلمسان كانت تتوفر على كثير من المخطوطات النادرة [1]
- **التي لم تشملها الفهرسة:**

- مكتبة الشيخ بن ددوش : قاضي مدينة معسكر قبل الاستقلال،لقد بلغ عدد مخطوطاتها حوالي مائتين و خمسة و ثلاثين (235) مخطوط .

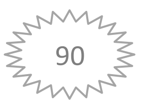
- مجموعة الأمير عبد القادر[2] : و هي بعض ما اقتنى إبان إقامته بدمشق و عددها واحد و عشرين مخطوطا(21) ، إضافة إلى أربع مجلدات كتبها الأمير أو شارك في كتابتها و هي السيرة الذاتية للأمير (مجلد واحد) ، ثم المواقف في ثلاث مجلدات ، بالإضافة إلى أربع حافظات (classeurs) تضم مائتين و ثلاثة و عشرين رسالة(223) بها أختام و تواريخ و أسماء و هي رسائل متبادلة بين الأمير وبعض الشخصيات الفرنسية ، و فيها الكثير من المعلومات حول العمليات العسكرية الفرنسية إبان الغزو .

- مجموعة ابن رحال الندرومي : كانت تمتلكها أسرته و تضم سنة و ثلاثين مخطوطا (36) ، إضافة إلى تسعة كتب (09) أخرى مطبوعة طبعا حجريا تمتاز بحالتها الجيدة و تنوع موضوعاتها .

- مجموعة الحاج أحمد معزوز : و هو من مدينة سيدي بلعباس و تشتمل على ثمانية **عشرة** مخطوطا(18).

---

1)- سعد الله (أبو القاسم) ، المرجع السابق ، ص 358
2)- سعد الله (أبو القاسم) ، المرجع السابق ، ص 357.



و ختاما لهذا الفصل تقول بأنه من الإنصاف ا لاعتراف بتلك الجهود الجبارة التي قام بها المستشرقون

في مجال البحث و التنقيب و التصنيف و التحقيق و التأليف و الترجمة و الفهرسة حيث أن الثقافة العربية الإسلامية مدينة لبعض أعمال المستشرقين حيث نفضوا الغبار على تراثنا(1) ، و اكتشفوا مئات الكتب و المخطوطات في مساجد و زوايا و أرياف الجزائر ، فتم الاهتمام بها و جمعها و طبعها فخدموا تراثنا الفكري بشكل أو بآخر حيث أن أعمالهم تعكس ما كانوا يتحلون به من صبر و قدرة تحمل و لهم إحاطة تامة بالعديد من اللغات القديمة و الحديثة و منهج علمي دقيق ، و هذا لابد من الاعتراف به ، إذ للمجتهد أجر حق اجتهاده ، هذا من جهة ، أما من جهة أخرى فان موقفهم واضح فيما يتعلق بتهافتهم على كتب و مخطوطات خزانات و مكتبات، مساجد و زوايا الجزائر، ، ذلك الموقف يجعلنا نكتشف الوجه الآخر و الخطير للمستشرقين ، حيث أن فرنسا لم تكن أثناء احتلالها للجزائر تراهن فقط على جيوشها بل راهنت على مستشر قيها ودورهم حيث كانوا في طليعة الحملات العسكرية في كل جهة من جهات الجزائر .

و حتى لا نتوسع في هذا الصدد ما نذكر في هذا الصدد ما وضحه جاك بيرك (Jacques berque) (2) من حيث أن الإستشراق في نظره هو الجناح الفكري للتوسع السياسي ، فغياب أحدهما عن الآخر هو بداية تصدع في جدارهما،و من هنا نختم بالسؤال التالي :

- هل علمية المستشرقين الغزيرة ، و كفاءتهم العالية مبرر لعدم ولائهم لأوطانهم و حكوماتهم في خدمة مصالحها السياسية و الدينية و الثقافية و الاقتصادية و المصيرية ، على حساب الشرق؟!

---

1) – الطبيب إبراهيم ، الإستشراق الفرنسي ، المرجع السابق ص 183.

2) - جاك بيرك Jacques berque) مستشرق من مواليد مدينة فرندة بولاية تيارت (تيهرت) ، معروف بمواقفه المناصرة لكل القضايا العادلة في العالم ، المتعاطفة إلى حد بعيد مع الحقوق المشروعة لبلدان المنطقة العربية و خاصة مع الشعب الجزائري قبل التحرير و بعده.
رحلة علمية. شاقة تجاوزت النصف قرن قام بترجمة كاملة للقرآن الكريم إلى الفرنسية 1990م و قضى في ذلك ستة عشر عاما و هو معتكف في قرية سان جوليان (saint julien) جنوب غرب فرنسا.
توفي جوان 1995م عن عمر يناهز 85 سنة، للمزيد من المعرفة بهذا العالم المستشرق الجزائري المولد و الفرنسي الجنسية ، أنظر .د. محمد العربي ولد خليفة، بيرك، المفكر و الإنسان من فرندة إلى سان جوليان ، مقالة بمجلة الثقافة ، العدد110-111، سبتمبر –ديسمبر 1995م ص35-49 .

الفصل الثاني

مكتبات القطاع الوهراني من خلال واقع المطالعة العمومية وجهود الجزائريين في الطبع و النشر ،(1900م-1954م).

أنواع المكتبات التي أنشأها الاستعمار الفرنسي
وضعية المكتبات و المطالعة العمومية من خلال بعثات التفتيش الفرنسية
جهود الجزائريين في طبع و نشر التراث الفكري الجزائري

تمهيـــــــد :

من خلال ما أشارت إليه المصادر و المراجع التي ذكرناها في الفصلين السابقين، تأكد بأن الجزائر قبل دخول الاستعمار الفرنسي سنة (1830م)، عرفت مثل باقي الأقطار الإسلامية الأخرى ، حيوية و نشاط كبيرين في مجال المخطوطات و الكتب و المكتبات ، و هذا بشهادة ضباط الاحتلال الفرنسي أنفسهم ، حيث أنهم ذهلوا أمام العدد الكبير للمخطوطات و المكتبات المتناثرة في أرجاء الجزائر و ذلك رغم اتسام الحكم العثماني بالبرودة اتجاه العلم و العلماء ، إذ لم يساهموا مساهمة فعالة في تنشيط الحياة الفكرية بالجزائر ، بل إن ما أنتج من كتب و مخطوطات و تخزينها في المكتبات يرجع الفضل فيه للجزائريين أنفسهم، حيث كانت هناك وفرة للكتب و المكتبات بكل من تلمسان و وهران و على طول الساحل الشمالي ، قبل مجيء العثمانيين [1]، وهذا ما ذكره بن صعد في "النجم الثاقب " عن زاوية إبراهيم التازي بوهران في القرن الخامس عشر (15م) ، وكذا ما ذكره الثمغروطي في "النفحة المسكية "أن مدينة الجزائر كانت كثيرة الكتب أواخر القرن 16م و خاصة كتب الأندلس التي هاجرت مع أهلها [2].

إذن لقد وجدت الإدارة الفرنسية الاستعمارية في الجزائر تراثا فكريا مخزنا في الخزانات و المكتبات المتناثرة هنا و هناك عبر التراث الوطني ، و هو تراث فكري تراكم عبر قرون من الزمن أنجزته مختلف الحضارات التي تعاقبت على الجزائر و خاصة الحضارة العربية الإسلامية ، و هكذا كان تفكير الاستعمار أولا و قبل كل شيء في هذا التراث الفكري المخزن في مكتبات المساجد و الزوايا و المدارس الخاصة أو العائلية ، التفكير فيه من حيث كيفية جمعه و المحافظة عليه و توجيهه وفق ما يخدم مصالح فرنسا الاستعمارية.

1_JACQUES BERQUE ; LES ARABES ; SINDBAD 1979 P 54

2- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافيI1500-I1830، مرجع سابق ، ص286 .

و من هنا أتت فكرة إنشاء المكتبات الفرنسية الأولى بمدينة الجزائر [1]، بواسطة المدير المدني جونتي دبوسي (GENTY DE BUSSY) [2]، حيث كتبت جريدة المرشد الجزائري (le moniteur algérien)"[3] سنة 1832 في عددها رقم 41 في الصفحة الثالثة ما يلي :" ستكون لنا عما قريب ، مكتبة عمومية بمدينة الجزائر ، حيث أن السيد وزير الأشغال العمومية اتفق مع السيد وزير الحربية على الإسراع في تحقيق رغبة السيد جونتي دبوسي(GENTY DE BUSSY) المتمثلة في إرسال الكتب الضرورية لإنشاء تلك المؤسسة "[4]، ومن هنا كانت الانطلاقة لتكوين مجموعة الكتب و المخطوطات الأولى التي كونت رصيد مكتبة مدينة الجزائر خاصة و أن السيد بيربروجر أدريان(Berbrugger Adrien)المتخصص في علم المكتبات وجد نفسه بدون كتب و بدون قراء، فانطلق في مغامرة تمثلت في تتبع الحملات العسكرية خاصة نحو معسكر (1835م) و تلمسان سنة (1836م) هدفها جمع و تجميع المخطوطات و الكتب العربية و الإسلامية ، فجمع مجموعة هامة من المخطوطات العربية ، كما أشرنا الى ذلك في الفصلين السابقين ، و بنفس الطريقة التي اتبعها بيرجروجر (Berbrugger) سار الذين خلفوه من المستشرقين المهتمين بتتبع خزانات و مكتبات المساجد و الزوايا و المدارس ، وكذا المكتبات العائلية والخاصة [5] ، فأرسلت عدة بعثات تفتيشية [6] مهمتها تأسيس مكتبات عمومية بالجزائر ، و مراقبتها من حيث طريقة تسييرها و عدد قرائها و محتوياتها .

---

1) – Berbrugger Adrien, bibliothèque –mussée d’Alger : livret explicatif des collections diverses de ces deux établissements ; imprimerie bastide ,Alger 1861 p.6
2) Abdelhamid arab ; bibliothèque d’Algérie création et développement des origines à la veille de l’indépendance ;(B.N.A) ALGER 2004 P .13
3) – هي جريدة تأسست من قبل الإدارة الفرنسية بمدينة الجزائر سنة (1832م) .
4) Abdelhamid arab ;ibid.p.13
5) ذكرنا بعضها في الفصلين السابقين ، التمهيدي و الأول و ممكن اصافة مكتبات شخصية أخرى في القطاع الوهراني مثل : " مكتبة محمد الطاهر المحفوظي المعسكري" : تولى القضاء في غريس و وهران و تلمسان .
*" مكتبة أبي حامد المشرفي ": يقول عنه الشيخ البوعبدلي أنه حمل معه خزانته و أسرته عندما هاجر إلى المغرب .
*مكتبة شعيب بن علي : و هو قاضي تلمسان لمدة 40 سنة،و كان والد الشيخ البوعبدلي من تلاميذ القاصي شعيب .و كان القاصي شعيب يستشهد ببيتي ابن القنفد حول اعارة الكتب كي يحث الذي يعيره كتابا على العناية به:
بالله يا مستعير الكتب دعني .. فان إعارة الكتب عار.
فمحبوبي من الدنيا كتابي .. و هل أبصرت محبوبا يعار .
6) – أهم تلك البعثات التفتيشية حول المكتبات و المطالعة العمومية في الجزائر :
*بعثة كابرييل اسيكير (gabriel esquer) سنة (1908م)
*بعثة بيير شيفرو(pierre chevreux) سنة (1911م).
*بعثة بيير لوليافر (pierre lelievre) سنة (1946م)
-و سنتطرق لهذه البعثات في المبحث الموالي .

*ما هي أنواع المكتبات التي نشأت في العهد الاستعماري ؟

*كيف كانت سياسة فرنسا فيما يتعلق بالمكتبات و بالمطالعة العمومية بالجزائر عموما و بالقطاع الوهراني خصوصا ؟

*كيف تعاملت فرنسا مع المكتبات الإسلامية من جهة و المكتبات الفرنسية من جهة أخرى ؟

*ما مدى تأثير السياسية الفرنسية في ميدان المطالعة العمومية على مكتبات القطاع الوهراني ؟

*هل تمكنت فرنسا من خلق قطيعة بين المجتمع الجزائري وتراثه الفكري؟؟.

أولا : أنواع المكتبات التي أنشأها الاستعمار الفرنسي :

إلى جانب المكتبة الوطنية بمدينة الجزائر ، أنشأت الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر أنواع أخرى من المكتبات لم تكن معروفة في الجزائر من قبل ، أولها مكتبة جامعة الجزائر ،ثم المكتبات التابعة للكليات و المعاهد ،ثم مكتبات بلدية و مدرسية .

1 1 : مكتبة جامعة مدينة الجزائر(1880م):

يرجع إنشاؤها إلى سنة (1880م) عندما تأسست أربع مدارس عليا في الجزائر (الآداب ، الحقوق، العلوم ، الطب) و هي الكليات التي انبنت عليها جامعة الجزائر سنة (1909م)[1] ولقد كانت للمكتبة الجامعية بمدينة الجزائر ميزانيتها الخاصة في قانون إنشاء الكليات سنة(1909م) ، و ظهرت تلك المكتبة صغيرة فبدأت تنمو تدريجيا ، و تعاقب على إدارتها مديرون فرنسيون أهمهم لويس باولي (louis paoli)[2] الذي طال عهده بإدارتها من (1884م إلى 1925م).

لقد تطور عدد موظفيها من اثنين : مكتبي و عامل قاعة سنة (1906م) ، إلى مكتبي و ثلاث عمال قاعة ما بين (1909 و 1921م) و ابتداءا من سنة (1958م) بلغ عدد موظفيها ثمانية و عشرين موظفا.

كانت المكتبة الجامعية بمدينة الجزائر تشكو من ضيق المكان بالنسبة للكتب و القراء المطالعين ، حيث بنيت في البداية لاستقبال عدد ضئيل من القراء ،حوالي مائة وعشرين مطالعا ، ثم انتقلت إلى استقبال أكثر من ذلك العدد سنة (1923م) .

---

1) – سعدالله (ابو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830م، 1954م) ، المرجع السابق ، ص 351

2) ولد لويس باولي (louis paoli)سنة (1856م) ، مارس المحاماة في مدينة مونبوليه(Montpelier)، و عمل في مكتبة هذه المدينة خاصة مكتبة الحقوق ، ثم شارك في مسابقة المكتبات الجامعية و فاز بالعمل في مكتبة الجزائر الناشئة منذ (1884م) و بقي فيها إلى تقاعده سنة (1925م)و توفي يوم 19 فبراير (1936م) ، ونشر بحوثا في عدة مجلات متخصصة في التشريع .

أما من حيث محتوياتها من المجلدات و الكتب و المجلات فالجدول الآتي [1] يبين ذلك :

السنوات	المجلدات	الكتب و المجلدات	الأطروحات و الأبحاث الأكاديمية
1888	23.100	17.900	22.410
1910-1909	179.000	54.877	124.803
1939 – 1938	352.307	/	/
1958 – 1957	486.661	630 مجلة ودورية أجنبية	243.591

لقد كان لمكتبة الجامعة نظام خاص من حيث قرائها و من حيث نظام الإعارة الداخلية و الخارجية للكتب و كان ذلك في تزايد مستمر و الجدول الآتي[2] يوضح ذلك :

السنوات	عدد القراء
1909	11.265 قارئ
1929	18.088 قارئ
1958	72.803 قارئ

1)- اعتمدنا على معلومات و أرقام الجدول على كتاب الأستاذ أبو القاسم سعد الله "تاريخ الجزائر الثقافي " المرجع السابق ، ص 352، و الأستاذ نفسه اعتمد في الحصول على تلك الأرقام من كتاب الذكرى الخمسينية "اليوبل الذهبي" لجامعة الجزائر 1909- 1959م، ص 222،213
2)- ابو القاسم سعد الله ، نفس المرجع ص 353 .

مع العلم أنه في سنة (1958م) كان عدد طلاب جامعة الجزائر لا يزيد عن خمسة آلاف (5000) طالب أغلبهم من أبناء المعمرين ، و كانت مكتبة الجامعة تفتح أبوابها للقراء من الساعة الثامنة و النصف صباحا إلى الساعة السادسة مساءا دون توقف ، وهذا ابتدءا من سنة (1943م).

لقد تضررت محتويات المكتبة كثيرا بفعل الحريق الذي تعرضت له سنة (1962م) ، حين عمدت(منظمة الجيش السري) الإرهابية و التي كانت تختصر اسمها باسم (OAS)، إلى إضرام النيران في المكتبة بهدف منع الجزائر من الوصول إلى الاستقلال ،ولا يعرف بالتدقيق عدد الكتب و الوثائق و المجلات و الدوريات التي أتلفت كليا أو جزئيا [1]

1 2 : المكتبات البلدية بالقطاع الوهراني

المكتبات البلدية في الجزائر هي نوع جديد من المكتبات التي أنشأتها الإدارة الفرنسية الاستعمارية.

لقد نشأت البلديات بالتدرج و توسع عددها خاصة في المدن الساحلية و التلية ثم في الهضاب العليا ، ثم في الأطلس الصحراوي ، ولذلك فان توسع المكتبات البلدية لم يكن على درجة واحدة . ومن بين البلديات التي حظيت بمكتبات بلدية في القطاع الوهراني نذكر بلديات تلمسان وهران و مستغانم ، وكانت لهذه البلديات ميزانية خاصة لشراء الكتب و لكنها ميزانية ضعيفة.

---

1)- يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله ، في نفس المرجع السابق ما يلي :"في سنة (1962م)،أي بعد استقلال الجزائر مباشرة ، قامت عدة جامعات عالمية بتعويض المكتبة الجامعية جزئيا عما فقدته و من بينها جامعة مانيسوتا (manissota) الأمريكية ، و التي كنت الطالب الجزائري الوحيد فيها ، حيث قام رئيسها عندئذ مرديت ويلسن (m.wilson) بتسليمي بيانا بهدية الكتب إلى جامعة الجزائر ، وسط أضواء و احتفال بهيج حضره عمداء الكليات وشخصيات علمية وإدارية أخرى ."

فحسب السيد ايسكيركابريال(Esquer gabriel)[1]،فان تلك الميزانية كانت قليلة جدا إذا ما قورنت بتلك المخصصة للمكتبات البلدية في انجلترا أو البلدان الإسكندناقية أو.و.م.أ و يبين ذلك في الجدولين الآتيين[2]يبينان ذلك :

المدينة	عدد السكان	المداخيل بالفرنك	القروض الممنوحة للمكتبة البلدية بالفرنك	%
الجزائر	172.000	7.226.302	7000	0.09
وهران	123.000	27.214	4100	0.15
قسنطينة	65173	/	2800	/

القروض الممنوحة لمكتبات البلديات بالنسبة لعدد السكان و المداخيل الشاملة للبلديات سنة (1912م)

المصدر :- Esquer Gabriel , bibliothèques publiques en Algérie in : annales universitaires de l’ Algérie , année 1912,p 32

1) – اسكيركابرييل (Esquer Gabriel) هو أستاذ متخصص في علم التوثيق و المكتبات ، كلف رسميا بموجب قرار مؤرخ يوم 16 فبراير 1919م، من قبل الحاكم ، بمهمة تفتيشية عادية للمكتبات العمومية بالجزائر .

2) - Abdelhamid Arab , la lecture publique en Algérie durant la période coloniale 1830-1962 ,o.p.u ; Alger 2004,p 19

عدد الكتب لكل ساكن	1.75	1.13	1.05	-	0.44	0.90	0.09	0.08	0.06
حجم مجموعة كتب المكتبات	700.000	340.000	110.307	-	190.000	95.000	17.000	10.000	2.700
القروض الممنوحة للمكتبة بالفرنك	26000	136.164	645.434	90.000	78.712	180.000	7000	4.100	800
عدد السكان	400.000	300.000	105.000	70.000	430.000	105.000	172.000	123.000	40.000
المدينة	كوبنهاجن	ستوكهولم	لوس انجلس	هارتفورد	ليدز	سالفورد	الجزائر	وهران	تلمسان
البلد	البلدان الإنكندنافية		**و.م.أ**		**أنجلترا**		**الجزائر**		

جدول يبين مقارنة بين المكتبات البلدية الجزائرية و مثيلاتها في العالم ، سنة (1912م)

المصدر : Esquer, gabriel,op.cit

- و تشير الآنسة لوبيل جرمان[1] (lebel germaine) في كتابها : " المكتبة الوطنية و المطالعة العمومية في الجزائر " ص 55، (la bibliothèque national et la lecture publique en Algérie)

إلى تطور عدد المكتبات و بالأرقام حسب الجدول التالي:

1) – الآنسة لوبيل جرمان (lebel germaine) : كانت محافظة للمكتبة (الوطنية) بمدينة الجزائر سنة (1961م) و هي متخصصة في علم مكتبات المخطوطات الشرقية و لها مؤلفات عديدة منها : "المكتبة الوطنية بمدينة الجزائر "(1954م)"
"المكتبة الوطنية و القراءة العمومية في الجزائر (1957م).
" المكتبة الوطنية الجديدة بمدينة الجزائر (1958م)"

السنة	عدد المكتبات
1949	20
1950	80
1951	170
1952	186
1953	216
1954	238
1955	318
1956	327

تطور عدد المكتبات ما بين سنتي(1949م- 1956م)

المصدر :

Lebel germaine- bibliothèque nationale et lecture publique en Algérie

In : (bulletin del' académie d'Alger)n1.1957 , p.55.

إن تلك الأرقام التي قدمها السيد اسيكيرقابريال (Esquer gabriel) ، هي بيانات عن بعض المكتبات البلدية ، فمثلا نشأت مكتبة بلدية وهران سنة (1860م) وكان عدد سكانها في سنة 1912 حوالي 123.000 ساكن منهم 104.000 فرنسي ، و كانت المكتبة تحتوي على عشرة آلاف مجلد و اثنا عشر مجلة و لها أوقات عمل غير منتظمة ، و يمكن إضافة مكتبة الجمعية الجغرافية و الآثار بوهران [1]، أما بلدية تلمسان فمكتبتها أنشأت سنة (1852م) وكان عدد سكانها سنة (1912م) 40.000 ساكن منهم 13.500ساكن فرنسي ، و احتوت مكتبتها على 2.700 مجلد و كان دخل البلدية 519.500 فرنك فرنسي [2].

1) - يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابة " تاريخ الجزائر الثقافي " (1830م- 1954م) بصفحة 356 ما يلي: " عن خزانة مكتبة الجمعية الجغرافية و الآثار بوهران "أن الشيخ المهدي البوعبدلي له دراسة حول "إحياء معالم مدينة الجزائر "، وهي عندي بخطه ، وأن تلك المكتبة لها مجلة معروفة (B.S.G.O)و تحتوي تلك الخزانة على حوالي عشرة آلاف مجلد ، إضافة إلى المجاميع من المجلات ".

2) –أنظر أرقام و بيانات الجدولين السابقين و اللذين كان مصدرهما ، تلك الدراسة التي قام بها اسيكيرقابريال (esquer gabriel)، الذي كان مهتما بكتب و مجلدات المكتبات البلدية و نسبة الميزانية المخصصة لتلك المكتبات و كذا عدد السكان الفرنسيين .

ويرى المفتش العام للمكتبات بيار شيفرو (Pierre chevreux) الذي كلف مع نهاية سنة (1911م)بمهمة تفتيش للمكتبات بالجزائر ، يرى بأنه عند زيارته لمكتبات بلدية تلمسان ،وهران وسيدي بلعباس ، بأنها قليلة جدا ولا تقدم الخدمات المنتظرة منها [(1)]، وسنتطرق في المبحث القادم لتلك المهمة التفتيشية التي قام بها لمراقبة المكتبات العمومية التي أنشأتها فرنسا بالجزائر .

1 3 : المكتبات المدرسية بالقطاع الوهراني

نقصد بالمكتبات المدرسية ، مكتبات الثانويات و بعض المتوسطات ، و من البداية نقول بان هذا النوع من المكتبات غير جديد في الجزائر ، و أشرنا إلى ذلك في الفصلين السابقين ، حيث عرفت المراكز التربوية و التعليمية مثل المساجد و الزوايا و الكتاتيب القرآنية ،مكتباتها الغنية ، إنما الفرنسيون هم الذين حرموا منها أصحابها باستيلائهم على تلك المكتبات [(2)] و رغم ذلك بقيت بعض الزوايا مثل مدرسة زاوية مازونة و مدرسة الزاوية العلوية بمستغانم ، و التي تجددت رغم مضايقات الاستعمار فكانت لها مكتبات مدرسية جديدة ، و نفس العمل قامت به مدارس الحركة الإصلاحية خاصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتلمسان و مدرستها تحت إدارة و إشراف الشيخ البشير الإبراهيمي [(3)] ، خاصة بعد سنة (1931م)،حيث كلفته الجمعية بالإشراف على حركة التعليم و التربية و التثقيف بالقطاع الوهراني[(4)].لكن الذي يهمنا هنا هو المكتبات المدرسية الجديدة التي أنشأتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية.

---

1) – arab Abdelhamid , la lecture publique en Algérie 1830-1962 IBID .P.13

2) سعد الله (ابو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830م- 1954م) المرجع السابق ، ص 357.

3) الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ولد يوم الخميس 13 شوال 1306هـ / 14جوان 1889 م ، أحد كبار علماء ج.ع.م.ج و النائب الثاني لتلك الجمعية بعد الشيخ عبد الحميد ابن باديس ، و أصبح رئيسا لها بعد وفاة رئيس الجمعية سنة (1940م) ، وهو مؤسس مدرسة دار الحديث بتلمسان سنة(1937م) و التي كانت بها مكتبة ضخمة .

4) أنظر مختلف النشاطات و الأعمال الجليلة التي قام بها الشيخ البشير الإبراهيمي و خاصة بالقطاع الوهراني و أهمية دوره في المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية و منها اهتمامه البالغ بالتراث الفكري الجزائري المنتمي للحضارة العربية الإسلامية و تخزينه في مكتبة دار الحديث ، أنظر كتاب : "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931 م-1956م) و رؤسائها الثلاث " للأستاذ الدكتور تركي رابح عمامرة،م.و.ف.م الجزائر 2004م.

من أقدم المدارس التي أنشأها الاستعمار الفرنسي ما يسمى بالمدارس العربية الفرنسية و التي كان يطلق عليها أحيانا اسم المدارس الشرعية و أحيانا الرسمية وقبل الحديث عن هذه المدارس نشير إلى أن الدراسات الإحصائية لسنة (1833م) [1] ، لعدد المدارس بالجزائر أثناء الإحتلال الفرنسي، بينت الأرقام الآتية:

- بمدينة الجزائر حوالي 100 مدرسة بين ابتدائية و غيرها .

- بمدينة قسنطينة 90 مدرسة ابتدائية و 07 مدارس ثانوية .

- بمدبنة تلمسان 50 مدرسة ابتدائية و 03 مدارس للتعليم الثانوي .

بالقطاع الوهراني عموما تفوق المدارس ذلك العدد المذكور بالنسبة لتلمسان [2]

عموما نعني بالمدارس الرسمية تلك التي أنشأتها الإدارة الفرنسية الاستعمارية نتيجة لسياستها المتعاقبة في ميدان التعليم فشرعت عدة تشريعات تعليمية [3] تغيرت حسب تغير الحكومات الفرنسية بباريس من جمهورية فرنسية ثانية إلى إمبراطورية ثانية ثم جمهورية ثالثة...الخ.

عين جول فيري(Julesferry)[4] وزيرا للتعليم سنة (1879م) فأرسل في (1880م) لجنة من الموظفين

Turin yvonne, affrontements culturels dans l’Algérie coloniale : écoles, médecines, religions – (1
(1830-1880)édition houma ,Alger p 131.

2) – مثلا المدن الآتية كانت بها مدارس مثل مدن : ندرومة ، معسكر ، مازونة، مستغانم ، وهران ، ولقد ذكرنا عددا منها في الفصلين السابقين ، و كانت كل مدرسة من هذه المدارس لا تخلو من خزانة كتب قلت أو كثرت .

3) مرسوم 14-07-1850، أصدرتi الجمهورية الفرنسية الثانية (1848-1875م) و نص على إنشاء 06 مدارس ابتدائية للذكور و 04 للإناث أطلق عليها اسم " المدارس العربية الفرنسية " كان نصيب القطاع الوهراني منها مدرستين في كل من وهران و مستغانم ، و التعليم فيها مجانا

- مرسوم 31-10-1863م نص على تأسيس منصب مجلس عام للمؤسسات التعليمية الخاصة بالجزائريين ،و كان ذلك في عهد الإمبراطورية الثانية(1852م-1870م) ، بعد زيادة نابليون الثالث للجزائر للسنة 1865م، زاد اهتمام الإدارة الاستعمارية بتعليم الجزائريين و بذلت جهدا لم يسبق له مثيل فتم إنشاء 12 مدرسة جديدة موزعة على العمالات الثلاث كان نصيب القطاع الوهراني منها مدرسة في كل من ندرومة و سعيدة .

- مرسوم رئاسي في 30-09-1850م يقضي بإنشاء 03مدارس إسلامية ذات مستوى عالي (المدية ،قسنطينة، تلمسان)

4) – جول فيري (jules ferry) هو أحد منظري الحركة الاستعمارية الفرنسية ،ولد سنة (1832م) و توفي (1893م) ، وهو سياسي فرنسي وطد أركان الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر و غيرها من المستعمرات خاصة في الهند الصينية ، وذلك عن طريق فرنسة مجتمعاتها خاصة لما تسلم وزارة التعليم الفرنسية سنة (1879م) .

السامين في وزارة التعليم الفرنسية لغرض التحقيق في قضايا التعليم بالجزائر و من بينهم : اميل ماسكوراي (E. masqueray)[1] . اعتبرت سنة 1880 انطلاقة للتعليم الأهلي نظرا للقوانين الصادرة عن تلك المهمة[2].

إن سياسة جول فيري(Jules ferry) التعليمية واجهتها عدة عراقيل خاصة و أنها أبدت اهتماما بتعليم الجزائريين [3] حيث تعرضت تلك السياسة لضغط المستوطنين مستعملين كل الوسائل للحد من طموحات جول فيري (Jules ferry)[4] و لذلك جاء مرسوم (13-02-1883م)[5] ، وهو مرسوم يعد بإصلاح الخطأ وتدارك ما فات و فتح المدارس أمام " الأهالي "و اعتبر ذلك المرسوم أول إجراء قانوني ينظم التعليم العمومي الإجباري في الجزائر بشكل عام ويضع اللبنة الأولى للبناء التعليمي لاحقا[6] ، ومهما يكن فان الأرقام و الإحصائيات الآتية، هي التي تبين لنا مدى نجاح أو فشل تلك السياسات التعليمية المتعاقبة، و مامدى مساهمتها أو عدم مساهمتها من حيث بناء المدارس و تعليم الجزائريين و تكوينهم:

---

1) – ايميل مسكوراي (e.masqueray) 1843م- 1894م : هو مستشرق فرنسي اشتغل مديرا لمدرسة الآداب العليا بالجزائر من آثاره، ترجمة بني ميزاب (1878م) التقاليد الشعبية (1879م) وله دراسات عن لهجات البربر و الطوارق .

2) – Achour ,christiane , idéologie coloniale et langue française en Algérie, édition (ENA), Alger (1985) ; p 163.

3) نعني هنا سياسة جول فيري كان هدفها البعيد هو فرنسة المجتمع الجزائري و إضفاء الطابع الفرنسي على الجزائر ، لغة وثقافة.

4) خاصة مصالح الولاية العامة ، المجالس العامة للعمالات و المجالس البلدية .

5) يتضمن المرسوم المذكور عدة مواد منها :
إلزام كل بلدية على إنشاء مدرسة ابتدائية أو أكثر تكون مفتوحة مجانا للأطفال الأوربيين و "الأهالي " (المادة 1-2-3-4)
*نفس التعليم و نفس المدارس المخصصة لأطفال "الأهالي" و الأوربيين في البلديات الكاملة الصلاحيات و البلديات المختلطة (مادة 38-41)
*في بلديات "الأهالي" ، التعليم يدرس باللغة العربية و الفرنسية في المدارس الخاصة (المادة 42الى43) ، و غيرها من المواد.

6)- سعد الله (ابو القاسم) تاريخ الجزائر الثقافي ،1830م-1954م الجزء الثالث ، المرجع السابق ص 349 .

المصاريف المخصصة للتعليم(1)

المصاريف المخصصة لتعليم المستوطنين	508100 ف	5732000 ف	8189000 ف	9923000 ف
المصاريف المخصصة لتعليم الجزائريين	138900ف	1229000 ف	138500 ف	1617000 ف
السنــــــــــــــوات	1902	1904	1906	1908

مراحل تطور التعليم في الجزائر خلال العهد الإستعماري الفرنسي(2)

السنـــوات	التلاميـــذ الجزاريــــــــــن			مجموع التلاميذ
	البنيـن	البنــات	المجمــوع	
1901م-1902م	22.763	1.409	24.172	114.899
1911م-1912م	36.585	3.084	39.669	152.274
1921م- 1922م	41.215	4.455	45.670	154.952
1931م-1932 م	61.996	7.260	69.256	184.870
1937م-1938م	87.462	17.286	104.748	233.830
1945م-1946م	100.025	29.276	129.301	240.128
1946م-1947م	114.300	35.848	150.148	262.692

كانت تلك نظرة على المدارس الرسمية التي أنشأتها فرنسا ، والتي كانت تعمل على أن تزودها بمكتبات، و بالتالي نلاحظ بأنه إذا كانت هناك نقائص كبيرة من حيث عدد المدارس و كذا عدد المتمدرسين ، فنفس الشئ نلاحظه فيما يتعلق بمكتبات المدارس العليا خاصة في القطاع الوهراني ، فالمصادر تشير أن أقدم المدارس التي أنشأتها فرنسا سنة (1850م) و هي ثلاثة مدارس ، وكل مدرسة إلا و كانت تحتوي على مكتبة للأساتذة و الطلبة (المدرسة الثعالبية بالعاصمة ، و المدرسة الكتانية بقسنطينة ، و مدرسة تلمسان)(3)

1) - إحصاء مصدره الدليل الإحصائي للجزائر سنة 1960 نقلا عن الكتاب المدرسي لمادة التاريخ ، التعليم الثانوي ، طبعة (2006-2007م) الجزائر ، ص 110.
2) - إحصاء الدليل الإحصائي للجزائر سنة 1960م ، نفس المرجع ، ص 111
3) - سعد الله (أبو القاسم) ، المرجع السابق ،ص 357.

أ- مكتبة" المدرسة الإسلامية العليا " بتلمسان (médersa de Tlemcen)

هي مدرسة نشأت في شهر جويلية (1848م) " بالعباد"قرب مسجد سيدي بومدين، ثم تأسست نهائيا بقرار رئاسي في 30 سبتمبر 1850م) و اختصت بالدراسات التعليمية الهادفة إلى تكوين و تخريج موظفين تحتاجهم الإدارة الاستعمارية كالمفتي و العدول و المترجمين و مدرسي اللغة العربية[1] و هي مدرسة ذات طابع فرنسي تدار تحت إدارة مسؤول فرنسي يتقن العربية ، و هي محاولة من فرنسا لإبعاد الجزائريين عن تأثيرات رجال الدين و الزوايا و المساجد و المدارس الحرة و من جهة أخرى منافسة التعليم الإسلامي خاصة في كل من جامع القرويين بفاس و الزيتونة بتونس ، و لقد أشرف على التدريس بهذه المدرسة عدد من الأساتذة الفرنسيين منهم:

وليام مارسي (wil. marcais) و ألفريد بيل (Alfred bel)[2] ، و هذا الأخير كان هو مدير مدرسة تلمسان ، و كان يرى بأن الهدف من هذه المدرسة و مكتبتها و تنظيمها هو "تكوين نخبة مثقفة من هؤلاء المتخرجين من المدارس الإسلامية الحكومية أي شريحة نخبوية و قيادية بعيدة عن كل تفكير أرستقراطي أو أية مسبقات شبه دينية حمقاء "[3]،و بالتالي فان الهدف الأساسي بالنسبة لفرنسا و إدارتها من وراء إنشاء هذه المدارس هو سيادة الأفكار الفرنسية و طرق و مناهج التعليم الفرنسي لينافس أو يقضي بمرور الزمن على التعليم العربي الإسلامي "و طرقه التقليدية " و بالأخص التعليم الديني. و في النهاية نخلص عن مدرسة تلمسان بأنها كانت إلى ما بعد (1900م) تقوم بمهمة جد هامة متمثلة في دورها العلمي و الديني، تمكنت فعلا من تخريج و تكوين دفعات من الطلبة ابتدءا من (1848م) مثقفين ثقافة عربية إسلامية و كذا ثقافة فرنسية إلا أن عددهم كان قليل و يتناقص بشكل

1) ــد.إبراهيم مهديد ، القطاع الوهراني مابين 1850م-1919م دراسة حول المجتمع الجزائري ، الثقافة و الهوية الوطنية ، منشورات الأديب ، وهران 2006، ص 89.
2) ألفريد بيل (alfred bel marie octavel) عين مؤقتا كمدرس بمرسة تلمسان لمادة الآداب سنة (1899م) ، ثم عين نهائيا مديرا للمدرسة في مكان وليام مارسي (w.marcais) بقرار من الحاكم العالم جونار(jonnart)بتاريخ 03-11-1904، (و عين مارسي w.marcais" "مديرالمدرسة الجزائر)و بقي ألفريد بيل مديرا للمدرسة إلى غاية (1936م)، و كان يشغل في نفس الوقت مهمة مفتش المدرسين في المساجد بالمقاطعة .
3) masse (H) « ,les études arabes en Algérie (1830 -1930) in revue africaine ,N°74,1933,– P 232

كبير و يتزايد بشكل يكاد يكون منعدما و ذلك راجع لأسباب عديدة أهمها أنه كان يشترط للالتحاق بها الإلمام باللغة الفرنسية رغم أنها أنشأت للدراسات العربية الإسلامية ، و كذا عدم السماح لكل الجزائريين التكوين بها إلا لأبناء العائلات الذين أظهروا ميلا لفرنسا[1] ، و الجدول الآتي يبين ذلك:

***معدل الطلبة المسجلين بالمدرسة الإسلامية بتلمسان[2]**

الفتــرة التاريخيـــــــــة	المعــــــــــــدل
1883م-1887م	44
1888م-1892م	26
1893م-1897م	38
1898م-1902م	33
1903م1907	47
1909م-1912م	56

ولعل ايجابية هذه المدرسة تكمن في أنها أمدت الجزائر بنخبة من المثقفين المزدوجي اللغة عربية و فرنسية ، مما مكن تلك النخبة من الإطلاع على الحالة السيئة التي كان يوجد عليها الجزائريون نتيجة السياسة الاستعمارية الاستيطانية الفرنسية منذ (1830م) وخاصة من الناحية الثقافية، و كانوا كذلك على دراية عميقة رفقة بعض "المثقفين التقليديين" مثل أبي بكر عبد السلام بن شعيب ومحمد بن رحال الندرومي ، كانوا على دراية بما كان يجري رسميا في الجزائر [3] ، في المسائل التي تخص المجتمع الجزائري [4].

1) – د.إبراهيم مهديد ، القطاع الوهراني ، المرجع السابق ص90 .
2)– د. إبراهيم مهديد ، القطاع الوهراني ، نفس المرجع ص 93 .
3) –– د.إبراهيم مهديد ، القطاع الوهراني ، نفس المرجع ص95 .
4) – نقصد أنهم كانوا يتابعون البعثات البرلمانية الفرنسية التي أرسلت من طرف حكومة باريس إلى الجزائر لتقصي حقيقة أوضاعها الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية ، مثل "بعثة الثلاثة و العشرين "لجول فيري (jules ferry) سنة (1892م)، و بعثة سنة (1900م) و غيرها بدعوى القيام بالإصلاحات اللازمة في الجزائر.

- بالنسبة لمكتبة مدرسة تلمسان ، تسجل المصادر و المراجع العمل الذي قام به المستشرق

أوغست كور[1] (August cour) سنة (1907م) و المتمثل في وضع فهرس لمخطوطات مدرسة تلمسان[2]، و لاحظ بأن المكتبة المذكورة كانت تحتوي على 110 مخطوطات ، و كانت مفهرسة بدون ترتيب ولا نظام ، و أن بعضها كان يرجع إلى الأوقاف ، و بعضها أهداه "الأهالي " ، و بعضها نهب أثناء الحملات العسكرية ، و يعترف كور(cour) بأن مكتبة مدرسة تلمسان كانت تتوفر على عدد من المخطوطات النادرة . لقد وضع المستشرق كور(A . cour) فهرسا للمخطوطات العربية باللغة الفرنسية ضم أسماء المؤلفين، أما عناوين المخطوطات فتركها باللغة العربية ، ومن خلال فهرس كور (A . cour) نلاحظ بأن مواضيع المخطوطات كانت متنوعة حول الطرق الصوفية ، و التاريخ و الأدب و غيرها .

يقول.د.أبو القاسم سعد الله:"كان المفتشون الفرنسيون في التعليم يلحون على وجود هذه المكتبات المدرسية بالعربية و الفرنسية و يعتبرون الشيخ الذي لم يوفق في إنشاء نواة لها فاشلا في مهمته التعليمية "[3].

لاحظ ألفريد بيل (Alfred bel)، بعد تفتيشه لمدرسة ندرومة نواحي تلمسان أن ما ينقص هذه المدينة هو المكتبة التي يجب أن تلحق بالجامع و تكون تحت مسؤولية المدرسة سيما أن هناك من يرغب في المطالعة و لا وجود لمكتبة بلدية ولا مدرسية في ندرومة ، و طالب بأن تكون المكتبات العربية مفتوحة للمدرسين و التلاميذ ، ولاحظ بأن مكتبة تلمسان هي الوحيدة العمومية المفتوحة لهم [4] .

---

1) – أوغست كور(A. cour)، هو من كبار مستشرقي الجزائر و شغل منصب كرسي العربية بقسنطينة و كذا أستاذ بمدرسة تلمسان ، ووضع فهرس لمخطوطات تلمسان و من آثاره كذلك:"الزجل السياسي على عهد الأمير عبد القادر "
2) سعد الله (أبو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م- 1954م،المرجع السابق ، ص 357.
3) سعد الله (أبو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي 1830م- 1954م،المرجع السابق ، ص 358.
4) ما ذكره ألفريد بيل (A.bel)من ملاحظات حول المطالعة العمومية في مدينة ندرومة ، جاء في تقرير قام به كمفتش للمدرسين في المساجد بمقاطعة تلمسان ، سنة (1905م).

1 4 : المكتبات العربية الإسلامية و سياسة فرنسا

إن نظام المكتبات و الخزانات بالجزائر عرف منذ القرون الوسطى ، حيث كانت مكتبات المساجد و الزوايا و المدارس و كذا المكتبات "العائلية"أو الخاصة ، و استمر هذا النظام أو هذا النموذج التقليدي[1] مع فترة الحكم العثماني ، لكن مع بداية (1830م)، اصطدم مع النموذج أو النظام الفرنسي للمكتبات و الذي استطاع فرض نفسه [2] و بالقوة و وفق سياسة تهدف إلى القضاء على هوية المجتمع الجزائري [3] ، و من هنا بدأت المواجهة بين النموذجين أو النظامين و التي ما هي في الحقيقة إلا امتداد لذلك النزاع و الصراع الناتج عن التنافر مابين ثقافتين بل و حضارتين أراد الاستعمار الفرنسي أن يكونا متعارضتين بل متصارعتين رغم معارضة الإسلام لهذا الصراع الثقافي و الحضاري في آيات قرآنية عديدة مثل قوله تعالى في كتابه العزيز:"يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"[4]، ويقول أيضا في كتابه العزيز : "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ..."[5] .

إذن من موقع القوة ثبت و تبين بأنه لا يمكن الانسجام بينهما ، ومن موقع القوة و العنف الذي فرضته الإدارة الاستعمارية الفرنسية لم تكتف فرنسا فقط بفرض نموذجها بل عملت على نقل عدد من المكتبات العربية الإسلامية إلى ملكيتها و ذلك بالاعتداء على المراكز الدينية الإسلامية انطلاقا من مبدأ أنها تشكل خطرا حقيقيا على مصالح فرنسا الاستعمارية بالجزائر[6].

---

1) – هو نظام تقليدي بالمقارنة مع نظام المكتبات الفرنسية المعتمد على علم المكتبات و كيفية تنظيمها من حيث مخطوطاتها و كتبها و الوسائل العصرية المستعملة لتطويرها من حيث الطبع و الفهرسة و التخصص.
2) فرض هذا النظام الجديد للمكتبات نفسه بالقوة على النظام التقليدي الذي كان سائدا ، اعتمادا على سياسة تعليمية استعمارية هدفها فرنسة و تمسيح الجزائريين ، ولذلك رفض ، بالتالي لم يرفض نظام المكتبات الجديدة كنظام تابع لعلم المكتبات و إنما طريقة فرضه و الأهداف من ذلك هي سبب الرفض .
3) د. تركي رابح عمامرة ، جمعية العلماء المسلمين التاريخية(1931م-1956م) و رؤسائها الثلاثة، ENAG الجزائر 2004م،ص 99.
4) سورة الحجرات ، الآية 13 من القرآن الكريم .
5) سورة الحجرات ، الآية 11 من القرآن الكريم..
6) Arab abdelhamid , la lecture publique en Algérie (1830-1962), opu. Alger 2004, p 56.

ولذلك يمكن القول انطلاقا من هذا الصراع و التعارض ما بين الثقافتين الإسلامية و الأوروبية فان الجزائر عرفت نموذجين من المكتبات أو بصفة عامة نوعين من المكتبات هما المكتبات الإسلامية و المكتبات الأوربية المختلفتين تماما من حيث طبيعة عملهما و محتوياتهما و جمهورهما ورسالتهما و طريقة تنظيمهما و رغم ذلك الاختلاف إلا أن ذلك الصراع لم يمنع من أن الجزائريين تأثروا بعدد من ايجابيات النظام المكتباتي الفرنسي خاصة من حيث طبع الكتب و التأليف و فهرسة المخطوطات و تصنيف المؤلفات و توثيقها ، ولاحظنا ذلك خاصة مع ظهور الأحزاب السياسية و الحركات الإصلاحية ما بين الحربين العالميتين حيث لعبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[1] دورا بارزا في مجال إنشاء مكتبات عصرية تشبه إلى حد بعيد المكتبات الفرنسية ، فركزت جهودها لتكون لكل مدرسة وناد مكتبته الخاصة و أدخلت تحسينات عصرية على بعض مكتبات المساجد ، و اشتغلت كذلك بطباعة التراث الفكري الجزائري الذي خزن بمكتبات المساجد و الزوايا ، و سنتطرق لمدى اهتمام الحركة الوطنية بميدان الطباعة و بالمكتبات العصرية في المبحث الأخير من هذا الفصل.

- عموما ، المكتبات العربية الإسلامية ،تميزت بتواضعها من حيث مجموعة كتبها و مخطوطاتها الموجهة أساسا نحو العلوم الدينية ،إن محدودية و قلة مخزونها خلال الفترة الاستعمارية راجع للأسباب الآتية [2]:

*غياب سياسة تتعلق باقتناء و اكتساب الكتب ، حيث أن تلك المكتبات كانت تمون أساسا عن طريق الوقف ، لكن بعد (1830م) أخضعته الإدارة الفرنسية للمراقبة قصد تقليص دوره و إيقاف تأثيره على تطور تلك المؤسسات (المساجد ، الزوايا ، المدارس و الكتاتيب ...) و ذلك يدخل في اطار سياسة استعمارية شاملة تقوم على مقاومة و محاصرة الإسلام باعتباره عامل انصهار و مقاومة ضد مصالح فرنسا الكولونيالية .

---

1) – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، هي جمعية لعبت دورا بالغ الأهمية في الحركة الوطنية الحديثة المعاصرة ، إلى جانب كل فصائل الحركة الوطنية الأخرى و المعروفة في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر (1920م-1954م).اذن هي جمعية إسلامية في سيرها و أعمالها ، جزائرية في مدارها و أوضاعها ، علمية في مبدئها و غايتها تأسست سنة (1931م) معتمدة على شعار :"الإسلام ديننا ، العربية لغتنا الجزائر وطننا " كانت تكتبه على غلاف البعض من كتبها المدرسية و كانت جريدة البصائر (1935م-1939م) ومن عام (1947م-1956م) هي اللسان المركزي للجمعية تحمل في صفحتها الأولى الشعار التالي : " العروبة و الإسلام "، هي جمعية حاربت كل من: التنصير ، الفرنسة ، التجنيس .

2) Arab abdelhamid , la lecture publique en Algérie (1830-1962), op.cit,p 57

*الشروط غير الملائمة للمحافظة على محتوى تلك المكتبات ، حيث أدى ذلك إلى تلفها و الإضرار بها و تدهور حالتها لأسباب طبيعية و بيوفزيائية و كيميائية فضاعت و تبددت و نقص عددها .
*طبيعة مخزون تلك المكتبات الإسلامية حيث اشتملت أساسا على المخطوطات و التي كانت تتناقص بسبب محدودية إعادة إنتاجها من جهة، واستحالة تجديد المخزون من جهة أخرى ، ومن جهة ثالثة الرغبة في الاحتكار و الاستئثار بالمخطوطات باعتبارها وثائق نادرة و ثمينة مما شجع على نهب وسلب المكتبات العربية الإسلامية.
*سياسة الإقصاء الثقافي[1] الذي انتهجته الإدارة الاستعمارية الفرنسية و التي تجسدت مثل ما ذكرنا سابقا، من خلال إجراءات التملك و الإتلاف التي شملت مجموعة المخطوطات[2] ، ثم محاصرة المراكز الدينية ، و تحويل عدد منها الى مخازن أو ثكنات مثل ما وقع لعدد من مساجد وجوامع الجزائر، باستثناء بعض المساجد التي كانت تابعة لسلطة الاستعمار و بالتالي تحصل على ميزانية محدودة [3] .

1) – عبد الكريم عوفي ، جهود الجزائر في فهرسة المخطوطات العربية ، مجلة الثقافة ، العدد 117-118،(1999م) ،ص 38.
2) د. محمد الطيب عقاب ، مخطوطاتنا و تهافت الفرنسيين مجلة الثقافة ، العدد 117-118،(1999م)، ص 90.
3) د. سعد الله (ابو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي ، (1830م-1954م)،المرجع السابق ص 359

ثانيا: وضعية المكتبات و المطالعة العمومية من خلال بعثات التفتيش الفرنسية:

نقصد هنا المكتبات العمومية التي أوجدتها وأنشأتها فرنسا و التي في الحقيقة ترتبط بسنة (1835م) سنة إنشاء المكتبة "الوطنية "أي مكتبة مدينة الجزائر ، و التي اعتبرت أقدم مؤسسة ثقافية و عميدة للمكتبات الاستعمارية في الجزائر .

إن إنشاء المكتبة " الوطنية " و التي تلتها بعد مدة أنواع من المكتبات ، كما أشرنا إلى ذلك سابقا(جامعية، بلدية شعبية ، إدارية،مدرسية،دينية،عسكرية...)تسجل البداية الأولى للمطالعة العمومية بمفهومها العصري [1] .

المكتبات العمومية هي تلك المخصصة للمطالعة و القراءة العمومية بمعناها العصري المرتبط بعلم المكتبات ، حيث أن مصطلح المطالعة العمومية هو مخصص للمكتبات التي من خلال سهولة شروط دخولها و مواقيت افتتاحها و تنوع مجموعات كتبها ،تستطيع أن تضع في متناول جمهور واسع مجموعات كتب و دوريات مناسبة و قادرة على الاستجابة لحاجيات و رغبات كل الفئات الاجتماعية التي ترغب في الولوج إلى هذا الفضاء و بدون أي تمييز ، "سواءا تعلق الأمر بالاحتياجات المدرسية، أو المهنية أو في الحياة اليومية "[2] .

إن المطالعة العمومية بمعناها العصري المرتبط بعلم المكتبات بدأت في الجزائر مع فترة الإستعمار الفرنسي ، لكن تطورها خلال تلك الفترة اعتبر أقل نشاطا و حركية و أقل نجاعة و فعالية و إفادة بالمقارنة مع النموذجين الأنجلو- ساكسوني (Anglo-saxons) و الإسكندناقي (pays Scandinaves)[3]حيث اعتبر هذان النموذجان، المكتبة بمثابة الاستمرارية الطبيعية لما قامت به المدرسة ، حيث هي وحدها القادرة على تتمة العمل الذي قام به المعلم ، و انطلاقا من أهمية المكتبات ، من واجبنا إذن التساؤل حول دور و طبيعة و حالة و وظيفة المكتبات الجزائرية خلال الفترة

1) - د. سعد الله (ابو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي ، (1830م-1954م)،المرجع السابق ص 350.
2) Léveille, laure, fascination étrangère et naissance de la lecture publique.in :histoire des bibliothèques françaises, vol 4,1992,p,176
3) أنظر جدول المبحث الأول و أرقامه.

الاستعمارية من أجل معرفة تأثيرها على السكان المسلمين و الأوروبيين ، و للإجابة عن هذه التساؤلات وغيرها رأينا أنه لا بد من الإشارة إلى مختلف البعثات التفتيشية المتعلقة بمكتبات الجزائر و التقارير التي خرج بها أولائك المفتشون ، لتكون لنا فكرة ولو جزئية على أوضاع المكتبات من خلال المطالعة العمومية خاصة فترات (1908م-1912م-1946م)[1] .

2 1 : بعثة تفتيش كابرييل ايسكير (Gabriel esquer) 1908م:

أثناء إنشاء مصلحة الأرشيف للحكومة العامة بالجزائر ، كان كابرييل ايسكير

(Gabriel esquer)متخصص في علم المكتبات و المحفوظات (Archiviste-bibliothécaire) و لذلك كلف سنة (1908م) بمهمة تفتيش و مراقبة سنوية تتمثل في المتابعة و السهر على حسن سير و كذا المحافظة و الترتيب لكل المحفوظات (الأرشيفات) الإدارية، وهي مهمة توسعت أكثر ابتداءا من سنة (1912م) بتوجيهات من بيييرشيفرو(Pierre chevreux)[2]، ودائما للإطلاع على أوضاع المكتبات العمومية بالجزائر.

بعد الحرب العالمية الأولى[3] كلف ايسكير(Esquer) رسميا بمهمة تفتيش و مراقبة للمكتبات العمومية بالجزائر[4] بقرار من الحاكم العام و المؤرخ يوم 16 فبراير1919م . و حتى قبل ذلك التاريخ

---

1) – هي بعثات تفتيشية كانت تحت إشراف و توجيه المفتيشية العامة للمكتبات و المحفوظات (دائرة الوثائق) و التي مقرها بباريس (فرنسا).

(inspection générale des bibliothèques et archives).

2) بيير بيييرشيفرو(pierre chevreux) هو المفتش العام للأرشيفات و المكتبات العمومية و الذي جاء إلى الجزائر في مهمة تفتيشية سنة (1911م).

3) –الحرب العالمية الأولى (1914م-1918م)، هي تسمية اوروبية غربية رسخها السياسيون و المؤرخون و الإعلاميون الغربيون لحاجة في نفس يعقوب ، لكن المصطلح و التسمية المنطقية في نظرنا هي : المواجهة العسكريةالأوروبية الأولى ، فهي اذن جريمة ارتكبتها أوروبا في حق البشرية نتيجة تكالبهم و تتنافسهم على المصالح المادية في هذا العالمو كعادتهم دائما و ابدا !!!؟

4) Arab abdelhamid , la lecture publique en Algérie (1830-1962), op.cit,p 11

ذكر كابرييل ايسكير(Gabriel esquer)بنقائص و فقر المكتبات العمومية في مقال [1] صدر بالحوليات الجامعية الجزائرية لسنة (1912م) ،انه ولغاية(1925م)، وهي السنة التي سجلت فيها ولأول مرة اللجان المالية الجزائرية في ميزانية(1924م) قرضا ارتفع في ميزانية (1938م)إلى 50.000 فرنك فرنسي خصص لاقتناء الكتب و المؤلفات للمكتبات العمومية بالجزائر [2] .

إن ارتفاع أسعار الكتب و تجليدها وطبعها منذ بداية الحرب العالمية الأولى (1914م-1918م) و أثناءها و بعدها ، أدى إلى عدم استقرار المكتبات الجزائرية ، إضافة إلى أن المساعدات المالية الزهيدة التي كانت تقدمها كل من المجالس البلدية و الحكومة العامة لتلك المكتبات لم تتطور ولم تتزايد حتى في أحسن الأحوال [3] ، ولقد وضح ذلك ايسكير(gabriel esquer)في جدول بالأرقام عند تناوله للقروض الممنوحة لمكتبات البلديات، في المبحث الأول.

2 $_2$:بعثة تفتيش بييرشيقرو(Pierre chevreux) 1911:

بيييرشيقرو(Pierre chevreux) هو المفتش العام للمكتبات الفرنسية و الذي كلف مع نهاية سنة (1911م) بعملية تفتيش و مراقبة لمحفوظات أرشيف (les archives) و مكتبات الجزائر [4] ، ولقد كتب بعد مراقبته للمكتبة "الوطنية" ما يلي : "مركز هام ، منظم تنظيما جيدا يحتاج إلى تطوير ، ولقد اقترحت دمج هذه المصلحة مع مصلحة محفوظات أرشيف الحكومة العامة الجزائرية" [5].

Esquer Gabriel- les bibliothèques publiques en Algérie .in : annales universitaires de l'Algérie, - (1 mars (1912,p1-12

2) المكتبات العمومية المعنية هي تلك المفتوحة لكل فئات القراء ، و التي لا تتوفر على مدا خيل كافية ، باستثناء المكتبات البلدية خاصة بلديات الجزائر ، وهران ، قسنطينة و التي استفادت من قروض مسجلة في ميزانية تلك المدن .

Arab abdelhamid , la lecture publique en Algérie (1830-1962), op.cit,p 12 (3

4) هذه المهمة التفتيشية اكتفت بزيارة المراكز التي اعتبرت هامة مثل المكتبة "الوطنية لمدينة الجزائر ، مكتبات المدارس (medersas)المكتبات البلدية و بعض المكتبات الأساسية الشعبية .

Chevreux ,p- bibliothèques publiques : note générale ,p2.in : archives nationales de France (5 (A.N.F).centre d'accueil et de recherche des archives nationales (paris)(CARAN),f17,N°17429, dossier :inspection générale bibliothèques (Arab abdelhamid ;OP.CIT,p 13).

فيما يتعلق بالمكتبات البلدية الخاضعة لسلطة البلدية يرى بييرشيقرو(Pierre chevreux) بأنها قليلة ولا تؤدي الخدمات المنتظرة منها ، ماعدا المكتبة البلدية بقسنطينة . لقد زار بييرشيقرو(Pierre chevreux) كذلك عدد من مكتبات القطاع الوهراني خاصة مكتبات وهران ،تلمسان،سيدي بلعباس ، ولاحظ بأن مكتبات المدارس (medersas) لم تكن ذات أهمية كبرى و لا تتطور إلا قليلا و خاصة مكتبة مدرسة تلمسان (medersa de Tlemcen)[(1)] .

كما لاحظ بأن المكتبات العمومية الإسلامية خاصة التي يقبل عليها المسلمين لا تتوفر على المداخيل اللازمة [(2)] . لقد أنهى شيفرو(Pierre chevreux) مهمته التفتيشية بتقرير وجه للحاكم العام بالجزائر ، حمل التوصيات الآتية :

*من مصلحة البلديات خلق و إنشاء ثم تطوير مكتباتها خاصة وأن عدد البلديات الهامة لا تتوفر على مراكز و مستودعات عمومية .

*تشجيع المكتبات الشعبية بواسطة دعم من الدولة و البلديات و كذا إرسال أعداد من الكتب .

*تطبيق إجراءات أساسية بهدف مضاعفة مستودعات المدرسات (medersa) و كذا المكتبات الإسلامية الصغيرة .

*لابد من تدخل الحاكم العام لدى البلديات من أجل حثها على مساندة و تشجيع القراءة و المطالعة العمومية

*إنشاء منصب شغل متخصص لمفتشي المكتبات الجزائرية.

و إضافة إلى هذه التوصيات التي تبين بوضوح عدم الاهتمام الجدي بالمكتبات البلدية وضعف ملاحظ فيما يتعلق بنسبة المطالعة العمومية إلى درجة أن شيفرو(Pierre chevreux) يعمم هذا الضعف على كامل مكتبات البلديات باستثناء بلديتين أو ثلاث .

---

1) – فيما يتعلق بهذه المدرسة أي " مدرسة تلمسان الإسلامية العليا " أنظر كتاب :"القطاع الوهراني ، دراسة حول المجتمع الجزائري ،الثقافة و الهوية الوطنية" للدكتور ابراهيم مهديد ، و الذي يرى بأنه لا بد من بروز أبحاث جامعية عن هذه المدرسة –المؤسسة بالنسبة للتاريخ الجزائري داخل الحقبة الكولونيالية.

2) هي مكتبات إسلامية تعتمد على مبادرات شخصية تشرف عليها إما جامعات شعبية، أو مجموعة عصبة التعليم ، مراكز ها عبارة عن حجرات صغيرة للقراءة من أهمها ، مكتبة سيدي بلعباس أو سوق أهراس .

2 3 : بعثة تفتيش بيارلوليافر (Pierre .Lelievre) 1946 م

بيارلوليافر (P.leliévre) هو المفتش العام للمكتبات ،كلف بمراقبة و تفتيش مكتبات الجزائر من 20نوفمبر إلى 19 ديسمبر 1946م و المهمة التي كلف بها لم تقتصر على تفتيش و مراقبة المكتبات الخاضعة لوزارة التربية و للسلطات المحلية فقط ، بل تعدتها إلى تحقيق شمل كل المظاهر التي لها علاقة بمشاكل المكتبات والمطالعة العمومية و الكتاب و الكتب بالجزائر [(1)].

في رسالة وجهها بيارلوليافر (P.leliévre) إلى الحاكم العام نييجلان (naegelen)، فيما يتعلق بمهمته التفتيشية بالجزائر ذكر ما يلي :"إن إقامتي بهذا البلد جعلتني أقتنع بأهمية نشر الكتاب الفرنسي بشكل واسع وخاصة الكتب المميزة وذات النوعية ، واقتنعت كذلك بأن سكان معظم المدن الداخلية حتى المثقفين منهم ، شبه منقطعين تماما عن الحياة الثقافية "[(2)] .

اعتبرت مهمة لوليافر(P.leliévre)المتعلقة بالمكتبات في الجزائر من أهم البعثات التفتيشية إذا نظرنا إليها من جانب امتدادها إلى عديد المدن الجزائرية و كذلك من جانب نوعية المعلومات التي توصلت إليها و كذا التحليل و الاستنتاجات و الإحصائيات و الأرقام التي جاءت في تقرير مفصل من 55 صفحة ركز فيه على خطورة وضعية مكتبات الجزائر مطالبا و بسرعة وضع مخطط شامل لإعادة تنظيم المكتبات الجزائرية و ذلك بتوفير موارد بشرية مخلصة و متفانية و متخصصة وكذا منح قروض ضرورية ، لأنه كما يرى بيارلوليافر (P.leliévre) لا يمكن نسيان أن مكانة ثقافتنا و حضارتنا [(3)] هي من أسس سيادتنا الروحية التي لا يمكن تحقيقها إلا بتصدير صورتها بعيدا عن البلد الأم (فرنسا)[(4)] .

1)- leliévre ,pierre,-bibliothèques de l'Algérie : mission d'inspection, p1.in :A.O.M (aix-en-provence),G.G.A ,naegelen,n°8. (1

2) – رسالة وجهت يوم 15 أبريل 1949 إلى الحاكم العام بالجزائر فيما يتعلق بوثائق و مستندات حول مكتبات الجزائر .
In : A.O.M.(aix-en provence),G.G.A ,cabinet neagelem, ,n°8

3) - يقصد بيييرشيفرو(pierre chevreux) بثقافتنا و حضارتنا،الثقافة و الحضارة الفرنسية التي هي جزء من الحضارة الغربية و بالتالي فهو يرى ضرورة تصدير مبادئ تلك الحضارة و لكن على حساب ثقافة و هوية و حضارة شعوب أخرى ، ففي نظره لا بد من تعميم النموذج الغربي عبر العالم .

-4)- Arab abdelhamid , la lecture publique en Algérie (1830-1962), op.cit,p 16

ولتسليط الضوء على فقر المكتبات الجزائرية بالقطاع الوهراني و لا مبالاة السلطات العمومية الفرنسية بها ، هذه بعض الأرقام في الجدول الآتي [1].

المدينة	عدد السكان	عدد الكتب	عدد الكتب بالنسبة لكل ساكن
معسكر	30.000 ن	4000	0.13
مستغانم	40.000 ن	2.500	0.06
سيدي بلعباس	70.000	/	/

بالنسبة لمدينة سيدي بلعباس ، ذكر بيارلوليافر (P.leliévre):"نجهل حتى عدد الكتب رغم قلة عددها.

"on ignore même le nombre des volumes ,si peu nombreux soient-ils "

هذه الأرقام تتناسب مع سنة 1946، و التي تعني بعبارة أخرى بأنه مثلا، سكان معسكر يتوفرون على كتاب واحد لكل ثمانية ساكن و أن سكان مستغانم يتقاسمون كتابا واحدا مابين ستة عشر ساكن. و أمام هذه الحالة من الفقر التي عاشتها مكتبات الجزائر ، فان بيارلوليافر (P.leliévre)اقترح في تقريره التفتيشي أنه يجب على المدن التي بلغ عدد سكانها أكثر من 20.000 ساكن ، إنشاء مكتبات بغرض الاستجابة لحاجيات كل من :الطلبة ، المتقاعدين ،الموظفين ، المتمدرسين و سكان المراكز القروية و الريفية المجاورة ، و لتحقيق ذلك قال بيارلوليافر (P.leliévre) :"لابد من تشجيعات جدية ، و مساندة معنوية و مادية من طرف إدارتنا "[2] .

(il y faudrait de sérieux encouragements et l’appui moral et financier de notre " administration).

1)- Lelievre ,pierre,-bibliothèques de l’Algérie : mission d’inspection, p1.in :A.O.M(aix-en provence),G.G.A ,naegelen,n°8.

2)- rapport de p. le lièvre, inspecteur général des bibliothèques, sur les bibliothèque de l’algerie :mission d’inspection du 20 novembre au 19 décembre 1946- 55pages , in : A.O.M ? (aix-en-provenceà.G.G.A ,cabinet naegelen , n° 8

ودائما حسب (بيارلوليافر (P.leliévre) فان البلديات الصغيرة جدا، الحل بالنسبة لها في ميدان المطالعة العمومية أي توفير المكتبات ، يتمثل في تشجيع المكتبات المتنقلة بواسطة (المكتبة الحافلة)

(Bibliobus)[(1)] خاصة و أن عدد القراء في هذه البلديات قليل جدا.

- إن تلك البعثات التفتيشية الثلاث بينت و أشارت إلى الوضعية غير الملائمة و غير المشجعة بل و المؤسفة التي كانت عليها المكتبات الجزائرية و التي يرثى لها سواء على صعيد الوسائل أو على صعيد تنظيمها و تسييرها ووظيفتها .

وللوقوف على خطورة وضعية المكتبات الجزائرية في تلك الفترة ، لا بد من الإشارة إلى ما كانت عليه المكتبات و المطالعة العمومية بانجلترا، فمثلا سنة (1850م) كانت لتلك الدولة الأوروبية الاستعمارية مكتبة عمومية واحدة بمدينة مانشستر (Manchester) لكن سنة 1910م كانت بها 670 [(2)] مكتبة عمومية منها 80مكتبة بلندن (Londres)[(3)]. هذا التطور الكبير و المشجع تحقق نتيجة تبني مشروع قانون صودق عليه سنة (1850م) و الذي قرر بأن : " إنشاء و تنظيم مكتبة هي من اختصاص البلديات مثل توزيع الماء الصالح للشرب "[(4)] .

- ان تقارير تلك البعثات أشارت إلى الواقع المأساوي الذي كانت عليه المكتبات و المطالعة العمومية بالجزائر ، مما دفع إلى عقد مؤتمر دولي حول الموضوع بالجزائر بتشجيع من جمعية "المكتبيين الفرنسيين"

---

1) – إن مبدأ المكتبات المتنقلة بفرنسا ، يعود إلى سنة 1922 عندما أنشأت " اللجنة الأمريكية للمناطق الفرنسية المدمرة " خمس مكتبات عمومية " public libraries "بينما برنامج المطالعة العمومية لم يقرر إلا في سنة 1945م مباشرة بعد ح ع 2، و لذلك فأول تجربة فيما يتعلق بالمكتبات المتنقلة تعود لسنة (1946م) عندما قرر رئيس دائرة باتنة تنظيم شبكة طرق المكتبات المتنقلة .

2) – وهذا بدون حساب المكتبات الملحقة و الفرعية

3) – مقارنة المكتبات البلدية الجزائرية مع مكتبات دول أخرى في العالم سنة 1912. نقلا عن : اسكير كابريال (G.esquer)، les bibliothèques publiques en Algérie in : A.O.M 5AIX-EN PROVENCE) G.G.A ,n°8

4) – انظر المبحث االسابق المتعلق بمكتبات البلديات لجزائرية حيث هناك جدول إحصائي وضعه اسكير كابريال (G.esquer .

2 4 : المؤتمر الدولي حول المطالعة العمومية 1931 م:

المؤتمر انعقد بمدينة الجزائر[1] أيام 14، 15و 16 أبريل 1931م و بحضور ماريو روستان(Mario roustan) وزير التعليم العمومي الفرنسي ، هو مؤتمر نظمته و دعت اليه جمعية "المكتبيين الفرنسيين" تحت الرعاية السامية لكل من : الحكومة العامة بالجزائر ، الإقامة العامة بالمغرب ثم الإقامة العامة بتونس .

المشاركون في المؤتمر كانوا يمثلون مختلف الدول و منها : ألمانيا ، انجلترا ،بلجيكا، و.م.أ ، فرنسا ، ايطاليا هولوندا وسويسرا ، أما بالنسبة لجدول أعمال المؤتمر فتمحور حول :

- المطالعة العمومية - المكتبة العمومية العصرية
- المكتبة في الحياة العصرية - تنظيم المطالعة العمومية في بلجيكا ، الدانمارك ، ايطاليا ، ليتوانيا و هولندا . - وكذا حول مستقبل المطالعة العمومية .

وحول لماذا اختيرت مدينة الجزائر لعقد مثل هذا المؤتمر الدولي ، يقول هنري لوميتر (henri Lemaître) بصفته أمينا عاما للمؤتمر ، ما يلي :"إن جمعية المكتبيين الفرنسيين (l’association des bibliothécaires français) رأت بأن الأرض الفرنسية التي لها الحظ الأوفر لنمو أفكارنا أولا و بسرعة هي هذه الجزائر الجميلة ، بلد المبادرات المقدامة و الشجاعة و الإنجازات السريعة و العاجلة (des promptes réalisations).....مكتبتها المركزية تضم خمس مكتبات للأطفال ، في وقت أن مدينة باريس ليس لها إلا مكتبة واحدة للأطفال "[2].

1) – انعقد بالضبط في قاعات جامعة مدينة الجزائر ، و كان هونري لومتر(Henri Lemaître الرئيس السابق لجمعية المكتبيين الفرنسيين و مدير مجلة المكتبات ، هو الذي عين أمينا عاما للمؤتمر و كابرييل اسكير (G.esquer)محافظ المكتبة الوطنية بالجزائر ، عين أمين عام لجنة الإستقبال

2) كلمة هنري لوميتر (h.lemaitre) الأمين العام لمؤتمر الجزائر .
In :la lecture publique :mémoires et vœux du congrés international d’Alger ,1931,pp9.17.

بالإضافة إلى المصادقة على الاقتراح المتعلق بتطبيق القانون الخاص بالمطالعة العمومية بالجزائر ، فان المؤتمر أصدر عدة مقترحات منها :

- اقتراح متعلق بالمكتبات العربية التي يجب أن يشرف عليها المدرس الرسمي بالمدينة التي توجد بها المكتبة العربية و مدير المدرسة ((medersa) هو الذي يتكلف بالمداخيل و المصاريف و مراقبة سيرها بموافقة عامل الإقليم ،ثم توزيع القروض بالتساوي على مكتبات مدرسات الأقاليم الثلاث (الجزائر ، قسنطينة و تلمسان)[(1)].
- اقتراح يتعلق بالمكتبات الخاصة حيث لا بد من القيام باستطلاع حولها حيث تتوفر أساسا على المخطوطات و هذا بالتشاور مع أصحاب هذه المكتبات [(2)] من أجل وضع جرد مفصل: العنوان ، الكاتب ، الشكل ، القياس عدد الأوراق ، تاريخ ...لكل مخطوط.
- تكملة التعليم الذي تعطيه المدارس و ذلك بواسطة إنشاء مكتبات مدرسية .
- تمكين المستوطنين من أصول غير فرنسية امتلاك معرفة جيدة بالأدب الفرنسي و لغته
- جعل الجزائر أرض تلتقي فيها الثقافتين الإسلامية و الفرنسية.

في سنة (1946م) كان إقليم وهران يحتوي على 75 مكتبة مابين بلدية و مدرسية ، " هذه المكتبات ، إن صح تسميتها بهذا الاسم ، هي لا صلة لها بحاجات و رغبات القراء ".[(3)]
ولقد خضعت بعض مكتبات الجزائر و خاصة بالقطاع الوهراني لتحقيق قامت به منظمة اليونسكو سنة (1959م) التابعة للأمم المتحدة ، فخرجت بالأرقام المبينة في الجدولين الآتيين:

---

1) - ذكرنا مكتبات المدرسات في المبحث الأول من هذا الفصل و خاصة مدرسة تلمسان .
2) - نقصد هنا ، العلماء المسلمين المشهورين أي شيوخ المساجد و الزوايا و المدرسات .
3)- Arab abdelhamid , la lecture publique en Algérie (1830-1962), op.cit,p 37

إحصائيات حول حالة مكتبات القطاع الوهراني سنة (1959م)

مكتبات متخصصة	عدد الكتب	عدد المجلات و الدوريات	مراجعة في عين المكان	اعارة خارجية	مطالعة في عين المكان	عدد الإعارات	مصاريف عادية بالفرنك
مكتبة المركز الصحي بوهران	610	174	58	29	58	29	1.123.164 فرنك
مكتبة بنك الجزائر بوهران	4100	05	/	/	/	150	2.500.000 فرنك
مكتبة الغرفة التجارية بمدينة الجزائر	9.700	580	/	/	2700	/	/
مكتبةالجمعية الجغرافية و علم الآثار للقطاع الوهراني	6000	55	500	5.500	500	400	75.000فرنك
المكتبة الملحقة بارشيفات القطاع الوهراني (مصلحة عمالة وهران)	4000	236	/	608	/	/	2.740.000 فرنك

المصدر : تحقيق قامت به اليونسكو سنة (1959م)
(enquête menée par l’Unesco en 1959) (in :archives de la B.N.A)

إحصائيات حول حالة المكتبات العمومية و الشعبية بالقطاع الوهراني (1959م)

مكتبات عمومية و شعبية	عدد الكتب	عدد الدوريات	مراجعة في عين المكان	اعارة خارجية	قراءة في عين مكان	عدد الإعارات	مصاريف عادية بالفرنك
مكتبة بلدية معسكر	5.726	32	5.758	3.590	1.700	259	/
مكتبة الحناية تلمسان	623	/	100	/	100	100	/
مكتبة بوسفر وهران	1000	02	/	/	/	25	/
مكتبة بلدية وهران	35.812	53	20329	15.483	35.726	833	2.850.000 فرنك
مكتبة سان كلو-(saint-claud) وهران	1.800	01	/	1.475	/	/	10.000 فرنك
مكتبة المرسالكبير	4000	08	/	5.226	/	498	270.106 فرنك
مكتبة بلدية تيارت	5000	/	/	900	/	192	82000
مكتبة بلدية مستغانم	5.229	/	/	25000	/	900	1.815.970

المصدر: تحقيق قامت به اليونسكو سنة (1959م)
(enquête menée par l’Unesco en 1959) (in :archives de la B.N.A)

إن المصالح الفرنسية المكلفة بالمطالعة العمومية والتي وصلت إلى أكثر من 300 مكتبة مابين مكتبات بلدية و مدرسية الخ، كانت تفكر في برنامج طموح و خاصة مع تلك الجهود التي بذلها بيارلوليافر(P.leliévre) و المتمثلة في مضاعفة عدد المكتبات العمومية ، لكن ذلك البرنامج لم يتحقق بسبب اندلاع ثورة التحرير الكبرى و التي لم تؤدي إلى إيقاف نشاط المكتبات و المطالعة العمومية فقط بل أدت على الصعيد السياسي إلى استقلال الجزائر سنة (1962م) ، و بالتالي انهزام المشروع الثقافي الاستعماري.

هل تمكنت فرنسا من خلق قطيعة بين المجتمع الجزائري و تراثه الفكري العربي الإسلامي المخزن في

- المراكز التربوية و التعليمية الجزائرية "المساجد ،الزوايا، الكتاتيب ، المدارس الخ...."؟

- هل تمكنت من إبعاد الجزائريين عن عدم الاهتمام بتراثهم و نفض الغبار عنه ؟

إن تلك السياسة الفرنسية المشار إليها في الفصول السابقة لم تزد النخبة المثقفة و خاصة تلك المنتمية للحركة الوطنية الجزائرية ، إلا إصرارا على التشبث بذلك التراث الفكري الجزائري ، حيث بذلت جهود جبارة لخلق مؤسسات طباعة و نشر .

ثالثا : جهود الجزائريين في طبع ونشر التراث الفكري الجزائري :

أ – جهود الحركة الإصلاحية :

لقد قامت مؤسسات الطباعة الجزائرية المستظلة بالحركة الإصلاحية ، خاصة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بجهود جبارة تمثلت في تنشيط حركة طباعة و نشر للتراث الفكري الجزائري العربي الإسلامي ، خاصة بعد أن أسست المطابع الحديثة و ما نتج عن ذلك من مكتبات و دور نشر في الكثير من المدن الجزائرية : كالجزائر بالوسط ، قسنطينة و عنابة بالشرق ، وهران و مستغانم و تلمسان بالغرب الجزائري .

إذا كان الإستدمار [1] الفرنسي قد عمل منذ دخوله سنة (1830م) و إلى غاية خروجه (1962م) على فرنسة الجزائر و نهب و إتلاف تراثها الفكري و تشويهه و تدمير مراكز

1)- مصطلح الإستدمار هو مصطلح استعمله كثيرا الدكتور بلقاسم نايت بلقاسم ، ليعوضه بمصطلح الاستعمار، و فعلا ففرنسا دمرت الجزائر و لم تعمرها

التربوية و التعليمية العربية الإسلامية ، فان ذلك لم يزد علماءها و نخبها الثقافية إلا إصرارا على التشبث بذلك التراث عن طريق الحركة الوطنية خاصة مابين الحربين العالميتين (1919م-1939م)، و التي استمرت إلى ما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية (1945م) .
ان تلك الحركة الوطنية عملت على استغلال كل الفرص المتاحة (وما اقلها في ليل الاستعمار)لتحقيق و طبع و نشر ما تيسر لها[1] ، إذ طبعت و نشرت كثير من ذلك التراث الفكري العربي الإسلامي سواءا الأصيل الذي ألفه الشيوخ و العلماء الجزائريون أو كنصوص أصلية مخطوطة اجتلبت من مواقع مختلفة عبر العالم خاصة من خزانات المشرق أو المغرب العربيين .

1)- يقول الأستاذ الدكتور عثمان بدري الذي قام بمراجعة و تقديم كتاب : "فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم و الحديث " ، الجزء الأول ، ص 42 ، ما يلي : " لقد قمت بوضع ببليوغرافيا عامة تبين بوضوح بواكير الطبع في الجزائر مابين (1830م-1962م)

ب – قائمة لبعض ما طبعته الحركة الإصلاحية[1] :

الرقم	عنوان الكتاب	اسم مؤلفه	مكان الطبع	تاريخه
01	بغية الرواد	يحي ابن خلدون	الجزائر	1903
02	تحفة اللبيب	أحمد بن عمار	//	1904
03	تعريف الخلف برجال السلف	الحفناوي	//	1906
04	البستان	ابن مريم	//	1908
05	رحلة	الورتيلاني	//	1908
06	الممتع في شرح المقنع	أبوسعيد السويسي (نشر محمد ابن أبي شنب)	//	1908
07	عنوان الدراية	الغبريني	//	1910
08	طبقات علماء افريقية	الخشني(نشرمحمد ابن أبي شنب)	//	1920
09	شرح ديوان عروة ابن الورد	ابن السكيت(تحقيق محمد ابن ابي شنب)	//	1926
10	الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية	ابن قنفذ	//	1928
11	فتح افريقية	ابن عبد الحكم	//	1942
12	تاريخ البلدان	اليعقوبي	//	1949
13	المسالك و الممالك	ابن حوقل	//	1950

1) – القائمة تبن الكتب المطبوعة ، نقلا من كتاب : "فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم و الحديث " ، تصنيف الشيخ بشير ضيف ابن أبي بكر ابن البشير ابن عمر الجزائري ، مراجعة و تقديم ، د .عثمان بدري ، منشورات ثالة ، الجزائر 2002م،ص 43.

في الواقع ما أوردناه في الجدول أو القائمة السابقة لا يمثل الحجم الكمي الحقيقي الذي تم طبعه أو نشره و إنما هي نماذج متنوعة لمجهودات وطنية قامت بها مؤسسات جزائرية للطباعة و النشر نافست بها المطابع الفرنسية [1] .

لكن أغلب ما طبع و نشر من تراث اطلعت به مطابع جزائرية منها :

-المطبعة الثعالبية بالجزائر [2] - المطبعة الإسلامية الجزائرية بقسنطينة [3]

- مطبعة ابن خلدون بتلمسان

ج - مطبعة ابن خلدون بتلمسان[4] : جاءت فكرة إنشائها في إطار المشروع الذي وضعته جمعية العلماء المسلمين بتلمسان لمواجهة المشروع التغريبي الفرنسي ، خاصة بعد الاحتفال المائوي لاحتلال الجزائر سنة (1930م) ، الفكرة اقترحها شاب تابع للحركة الإصلاحية اسمه الجيلالي شلبي و هو حفيد المفتي الكبير الحاج جلول شلبي المحرك الأساسي لعملية الهجرة السياسية الواسعة التي شهدتها تلمسان .

الجيلالي شلبي كان محترفا في ميدان الطباعة و أرشد الجمعية إلى المحلات التي تبيع آلات الطباعة في فرنسا و تطوع للعمل فيها و إصلاحها ، و كان الشيخ البشير الإبراهيمي يتولى عملية تصحيح الأخطاء في الطباعة بالعربية و الأستاذ محمد بخوشة بالفرنسية ، و عمل بها الجيلالي صاري (صاحب مكتبة صاري الآن) و بن عودة الشريف و محمد بريكسي و عبد الرحمان بابا أحمد .

---

1) – المطابع الفرنسية مثل : مطبعة فونتانا (Fontana) – مطبعة جول كاربونال (jules carponale) –مطبعة جور دان (Adolphe Jourdain).

2) المطبعة الثعالبية تأسست مع المكتبة التابعة لها بالجزائر العاصمة سنة 1314هـ (1895م) تحت ادارة : رودوسي قدور بن مراد التركي ، و لعل العنوان الذي تحمله واضح الدلالة على توجهها نحو التراث الجزائري الأصيل الذي كانت تحاول باستمرار تحقيقه و طبعه ، طبعت و نشرت عشرات الأعمال التراثية الجزائرية .

3) – المطبعة الإسلامية الجزائرية بقسنطيتة أنشأها الشيخ الإمام عبد الحميد ابن باديس خلال سنة (1927م) أو قبلها بقليل ، فطبعت و نشرت الكثير من الأعمال ذات العلاقة بالتراث الفكري الجزائري العربي الإسلامي حيث تجاوز ما طبعته الستين كتابا ، و كانت مطبعة دار البحث بقسنطينة مع بداية الستينات امتدادا لها .

4)- المعلومات دول هذه المطبعة أخذناها من مقال بجريدة المجاهد السبوعي ليوم 1992/01/11 ،تحت عنوان : الحاج مصطفى باغلي رجل ومكتبة ، بقلم عبد القادر جمعي ، اقتبسه من محاضرة للأستاذ محمد القورصو .

و لقد طبعت هذه المطبعة كتابا في الشعر الملحون لابن مسايب شيخ أغاني الحوزي بتلمسان .وطبع فيها كذلك مؤرخ المملكة المغربية الآن ، عبد الوهاب بن منصور ، مجلة علمية بالعربية عنوانها : "القنديل" .

بيعت المطبعة بعد ذلك للسيد علي بابا أحمد و سيد أحمد البجاوي .

عموما ، فان الحركة الإصلاحية الجزائرية المتمثلة خاصة في" جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" ، لعبت دورا بارزا ابتداءا من سنة (1931م) في ميدان طباعة و نشر التراث الفكري الجزائري العربي الإسلامي، فأخرجته من دائرة المجهول إلى دائرة المعلوم فهي بذلك قاومت سياسة فرنسا الهادفة إلى تغييب أو تهميش الدور الحضاري للجزائر في المحافظة على التراث العربي الإسلامي و في إثرائه و طبعه و نشره و توزيعه و تخزينه في خزانات و مكتبات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و كذلك في بعض المساجد و الزوايا و التي لا زالت لحد الآن تحتفظ بكنوز من المخطوطات و الكتب النفيسة لعلماء جزائريين و غير جزائريين و لا سيما في جنوبنا أي صحرائنا الشاسعة ، و هي تنتظر حملة واسعة للكشف عنها ، حتى تكون في متناول الباحثين ، لكن مع الأسف لم يكن هناك اعتناء بهذا الجانب المهم في حياتنا الفكرية و الثقافية بعد الإستقلال الا في السنوات الأخيرة[(1)].

---

1)- د. عبد الكريم عوفي من جامعة باتنة ،" جهود الجزائر في فهرسة المخطوطات العربية منذ منتصف القرن (17م) حتى نهاية القرن (20م) "، مقال بمجلة الثقافة ، العدد 117-118 ، 1999م ، ص 37.
ملاحظة : الدكتور عبد الكريم عوفي هو رئيس مشروع بحث :"احياء التراث" بمعهد اللغة العربية و آدابها – جامعة باتنة -.

الخاتمـــــة

الخاتمـــــة :

لقد كانت خزائن و مكتبات المخطوطات و الكتب منتشرة في الجزائر بشكل واسع قبل الاستعمار الفرنسي للجزائر (1830م)، فالجهة الغربية من الجزائر تميزت بحواضرها العلمية مثل تلمسان، معسكر،مازونة تيهرت ،مستغانم و وهران،فكانت كثيرة المكتبات خاصة مكتبات المساجد و الزوايا و المدارس الدينية سواءا في العهد الزياني (1236م-1557م) أو في العهد العثماني (1518م-1830م)، و احتوت تلك المكتبات على مختلف فنون المعرفة الإنسانية : فقه، أصول ، عقيدة ، توحيد ، تفسير ، تجويد ، حديث فلسفة ، طب، زراعة ،فقارات،فلك،منطق،كيمياء،جبر،جغرافية،تاريخ،رحلات،سير،تراجم،آداب،تصوف و وثائق متنوعة .هي علوم و فنون تجمعت في خزانات و مكتبات المراكز التربوية و التعليمية (مساجد،زوايا،مدارس،كتاتيب)نتيجة عمل عدد كبير من العلماء و تشجيع من بعض الحكام مثل الباي محمد الكبير باي الغرب الجزائري ما بين (1779م-1796م) و الذي لقب بالكبير لأنه تمكن من استرجاع مدينة وهران و المرسى الكبير من الاحتلال الإسباني عام (1792م) ، و هو كبير كذلك بفضل تمكنه من بعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب الجزائري و خاصة بعد إنشائه للمدرسة المحمدية بمعسكر و تشجيعه للمؤلفين ، و نفس العمل قام به في تلمسان ، فكثرت المؤلفات التي أثرت خزانات و مكتبات الجهة الغربية من الجزائر ، فكثر الإقبال على التعليم و النسخ و التأليف و كل ما يغني و يثري الخزانة و المكتبة العربية الإسلامية بغرب الجزائر.

لقد سارع الفرنسيون ، بمجرد احتلالهم للجزائر سنة (1830م) إلى الاستحواذ على مخطوطات و كتب و وثائق خزانات و مكتبات المساجد و الزوايا ، بل و حتى ذلك الرصيد من المخطوطات و الكتب الموجودة عند بعض العائلات العلمية في الغرب الجزائري مثلما وقع من نهب لمكتبة زاوية القيطنة بمعسكر و كذا المكتبة المتنقلة الخاصة بالأمير عبد القادر التي وقعت بين يدي العدو الفرنسي و اعتبرها كغنيمة حرب ، فلقد تأثر الأمير بذلك و حزن على مكتبته حزنا شديدا ، و مثلما وقع لمخطوطات مساجد ومدارس تلمسان عندما تم الاستيلاء عليها من قبل الجيش الفرنسي و نقلها إلى مدينة الجزائر لإثراء مكتبتها "الوطنية" التي أنشأها الاستعمار الفرنسي سنة (1835م) و ضاعت معظم مخطوطاتها في الطريق بفعل عدة عوامل أهمها الإهمال و العوامل الطبيعية .

لقد قام بعض المستشرقين الفرنسيين و الضباط المثقفين و هواة جمع المخطوطات ، بحملة واسعة تستهدف مكتبات المساجد و الزوايا و المدارس القرآنية ، فجمعوا ما تحتفظ به من مخطوطات و كتب ، واعتبرت محاولاتهم تلك بداية لنشأة المكتبة "الوطنية" (1835م) ثم تبعتها أنواع أخرى من المكتبات الفرنسية في القطاع الوهراني (مكتبات بلدية،جامعية ،مدرسية....)، وفي حقيقة الأمر لم يكن غرض فرنسا و مستشرقيها خدمة الثقافة العربية و الإسلامية بقدر ما كان هدفهم خدمة مصالحهم الاستعمارية و التبشيرية و عزل المجتمع الجزائري عن تراثه الفكري الذي يعتبر أحد الأوعية الفكرية التي تجمع عصارة فكر أمة ما و الذي هو المقياس الرئيسي أن لم نقل الوحيد لمعرفة مدى رقي أمة من الأمم، و هو كذلك مقوم أساسي من مقومات الشخصية الوطنية الجزائرية، لقد نهبت كتب ومخطوطات المكتبات الجزائرية، إذ نجد الآلاف منها تحتفظ بها مكتبات و متاحف الغرب في ايطاليا ، فرنسا ، هولندا ،اسبانيا،ألمانيا و تركيا، و بالتالي وقع إفقار للمساجد و الزوايا من مادتها الأساسية التي هي المخطوطات و الكتب .

كما أن الاحتلال كان سببا في هجرة عدد من علماء القطاع الوهراني ومعهم مكتباتهم و كتبهم خوفا من أن تقع بين يدي المستعمر وبقيت هناك حتى اليوم .

- من خلال هذا البحث المتواضع حول المكتبات بالقطاع الوهراني ، تمكنا من التوصل إلى جملة من النتائج و الحقائق و التي حتما لا يمكن أن تضع حدا لتطور البحث العلمي في هذا الميدان ، فما توصلنا إليه يعتبر نقطة في بحر، إذ هي حقائق نسبية إلى أبعد الحدود خاصة وأن الموضوع له ارتباط وثيق بعلم آخر هو علم المكتبات و فهرسة محتويات الخزانات و المكتبات، و بالتالي يمكن التوصل إلى نتائج و حقائق أخرى غير التي توصلنا إليها في هذا البحث :

* لا يمكن الفصل أبدا بين مكتبات و خزانات و مخطوطات الجزائر عن المساجد و الزوايا و الرباطات و الكتاتيب و المدارس فالتعليم العربي الإسلامي في القطاع الوهراني كان مرتبط أشد الارتباط بالكتب المخزنة في تلك المراكز الدينية .

*اعتبار فرنسا لتلك المراكز التربوية و التعليمية بالقطاع الوهراني كمراكز للمقاومة السياسية و العسكرية و الثقافية ، حيث شكلت خطرا حقيقيا بإمكانه تعطيل بل إبطال السياسة الاستعمارية في الجزائر، فاستعملت كل الوسائل لإيقاف و منع نشاط و تطور تلك المراكز ، وبالتالي تقليص دور و تأثير المكتبات داخل المساجد و الزوايا.

*كل الوسائل كانت مشروعة بالنسبة لفرنسا فيما يتعلق بمراقبة وحجز و إتلاف و نهب مجموعة كتب و مخطوطات مكتبات المراكز الدينية بالقطاع الوهراني .

*دور الإستشراق و المستشرقين الفرنسيين فيما يتعلق بمكتبات القطاع الوهراني ، حيث أنهم اطلعوا على التراث الفكري الموجود بتلك المكتبات و درسوه و صنفوه و فهرسوه و استفادوا منه و استعملوه سلاحا آخر لغزو الجزائر فكريا و ثقافيا .

*إذا كان العلم تراثا عالميا مشتركا ، فالثقافة ملك خاص بكل مجتمع ، فالاهتمام بالثقافة يبرز عنصر التميز عند الأمم و الشعوب ، بل و حتى القبائل تتميز عن بعضها البعض من حيث عاداتها و تقاليدها ولهجاتها و تراثها الشعبي ، و لكن ذلك التميز و الاختلاف ليس معناه المخالفة للغير أو لفرضه على الآخر و لكن معناه الإضافة للتراث الثقافي الإنساني ، أي القصد من هذا التنوع هو التعرف دون المس بالخصوصيات التي تميز ثقافة عن أخرى .

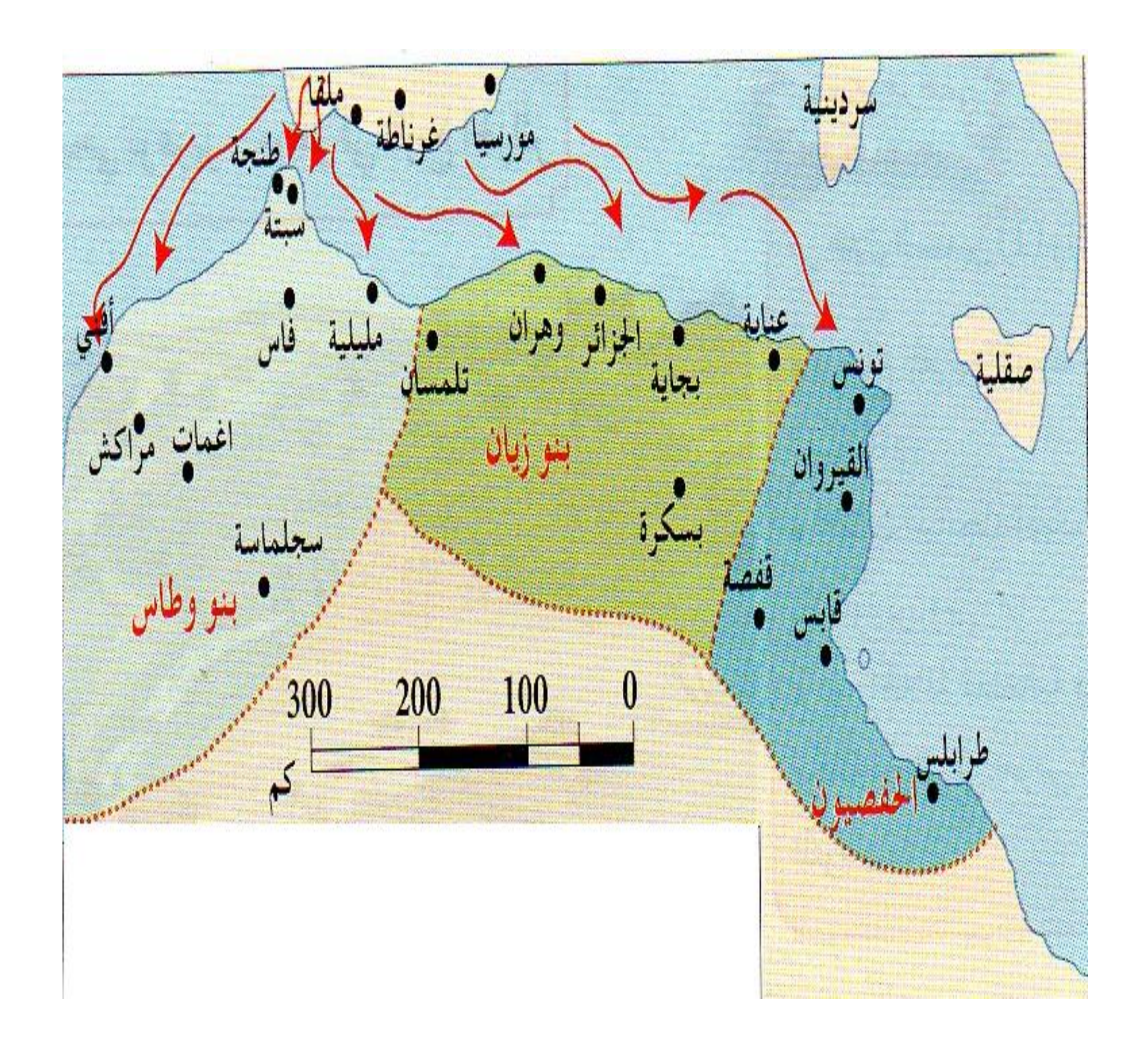
*عملت فرنسا على إنشاء المدارس الفرنسية لفرنسة "الأهالي" و محاربة جل المراكز التربوية و التعليمية و مكتباتها ، التي كونت رغم ذلك رجالا قاوموا الاستعمار الفرنسي خلال كل مراحل وجوده بالجزائر ، خلال المقاومة الشعبية على امتداد القرن التاسع عشر (19م) أو خلال المقاومة السياسية و الثقافية ما بين الحربين العالميتين (1919م-1939م) ثم خلال بروز الحركة الوطنية بمختلف أحزابها و جمعياتها و علمائها بعد الحرب العالمية الثانية (1945م-1954م) ، ثم خلال اندلاع الثورة التحريرية سنة (1954م) و إلى غاية الاستقلال سنة (1962م) .

* التراث الفكري الجزائري سبق وأن تعامل مع فكر و ثقافات ذات أصول غربية و شرقية و غيرها ، كلها كانت وافدة كما وفد علينا فكر أولائك المستشرقين ، فما كان صالحا من فكرهم و أبحاثهم حول تراثنا الفكري المخزن في مكتباتنا بقي و ما هو غير ذلك ذهب جفاءا ، مصداقا لقوله تعالى في سورة الرعد الآية 17 :" فأما الزبد فيذهب جفاء و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض " .

* لقد خلد التاريخ مزايا ذلك التكوين الشعبي التقليدي البسيط من حيث وسائله ، إذ يكفي مكتبات المساجد و الزوايا فخرا ، أنها أنجبت من بين ما أنجبت ، شخصية علمية ، سياسية و عسكرية تمثلت في شخصية الأمير عبد القادر ابن مكتبة زاوية القيطنة.

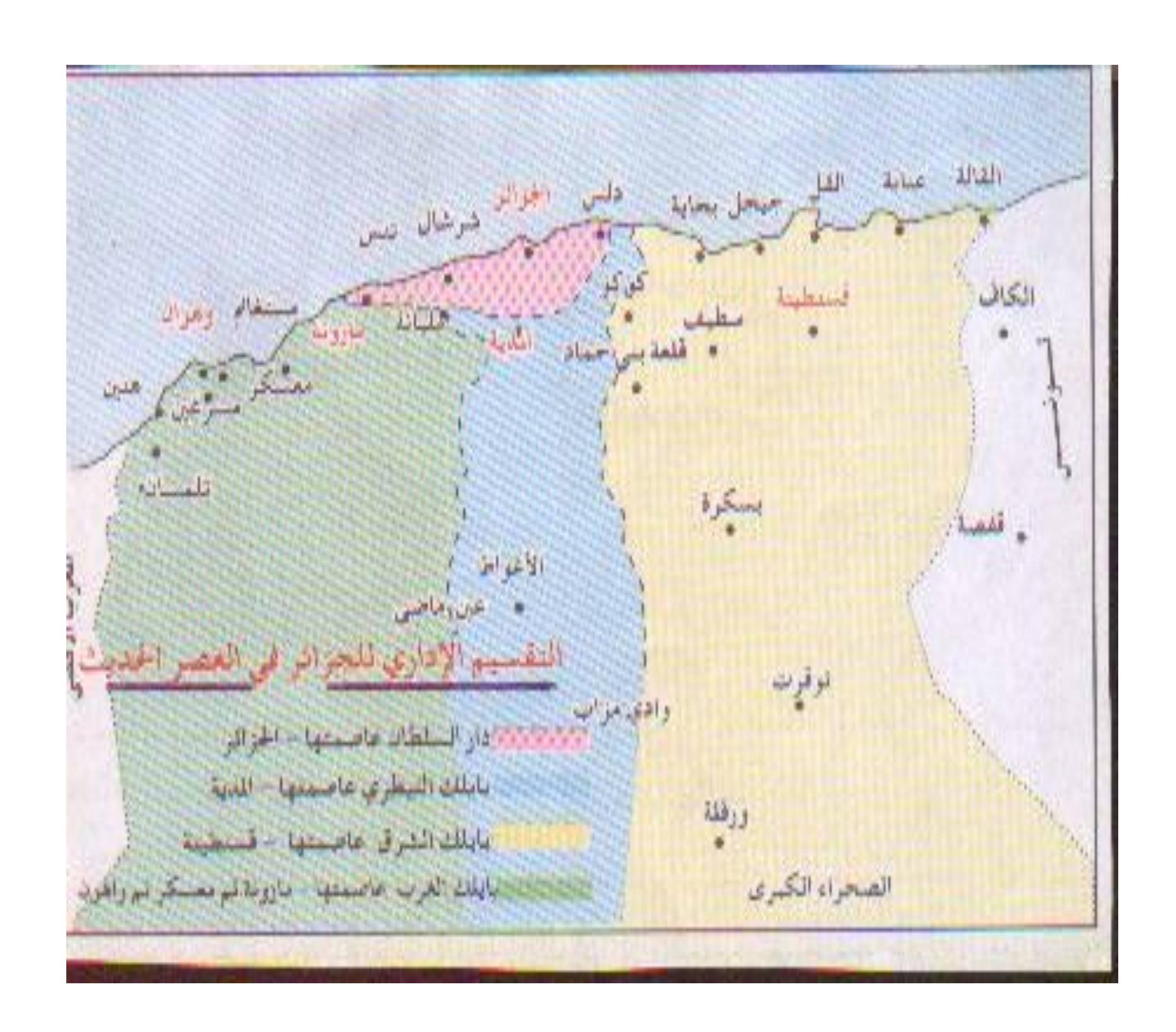
* و أخيرا نرى بان التراث الفكري العربي الإسلامي ملك لنا ، نتصرف فيه انتقاءا و استغلالا و نقدا و تجديدا و لا نعامله معاملة الجاهلين و العجزة المعقدين بعقدة المحافظة المطلقة ، لقد كان تراثنا الفكري في وقته إبداعا من مفكرينا و علمائنا و أدبائنا و حكمائنا ، اذ لابد من التمييز بين ، ما هو إنساني و شمولي و ما هو خاص بحضارة ما ، و بين ، ما هو أبدي و ما هو ظرفي.

الملاحق

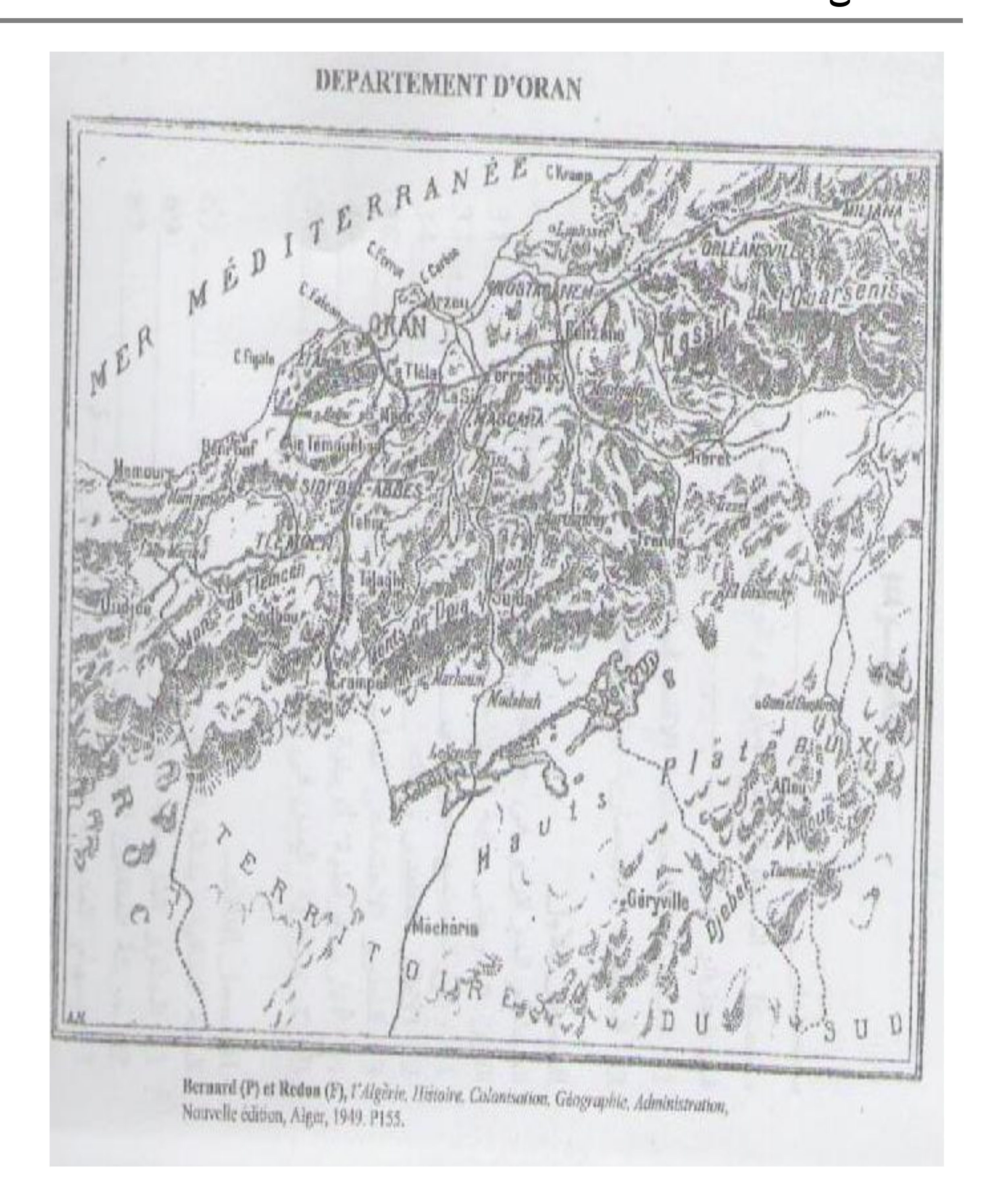


ملحق رقم 01 ، خريطة تمثل المغرب الإسلامي بعد سقوط الدولة الموحدية

(مراكش) تظهر فيها تلمسان عاصمة الزيانيين (الكتاب المدرسي ، سنة أولى ثانوي 2007).

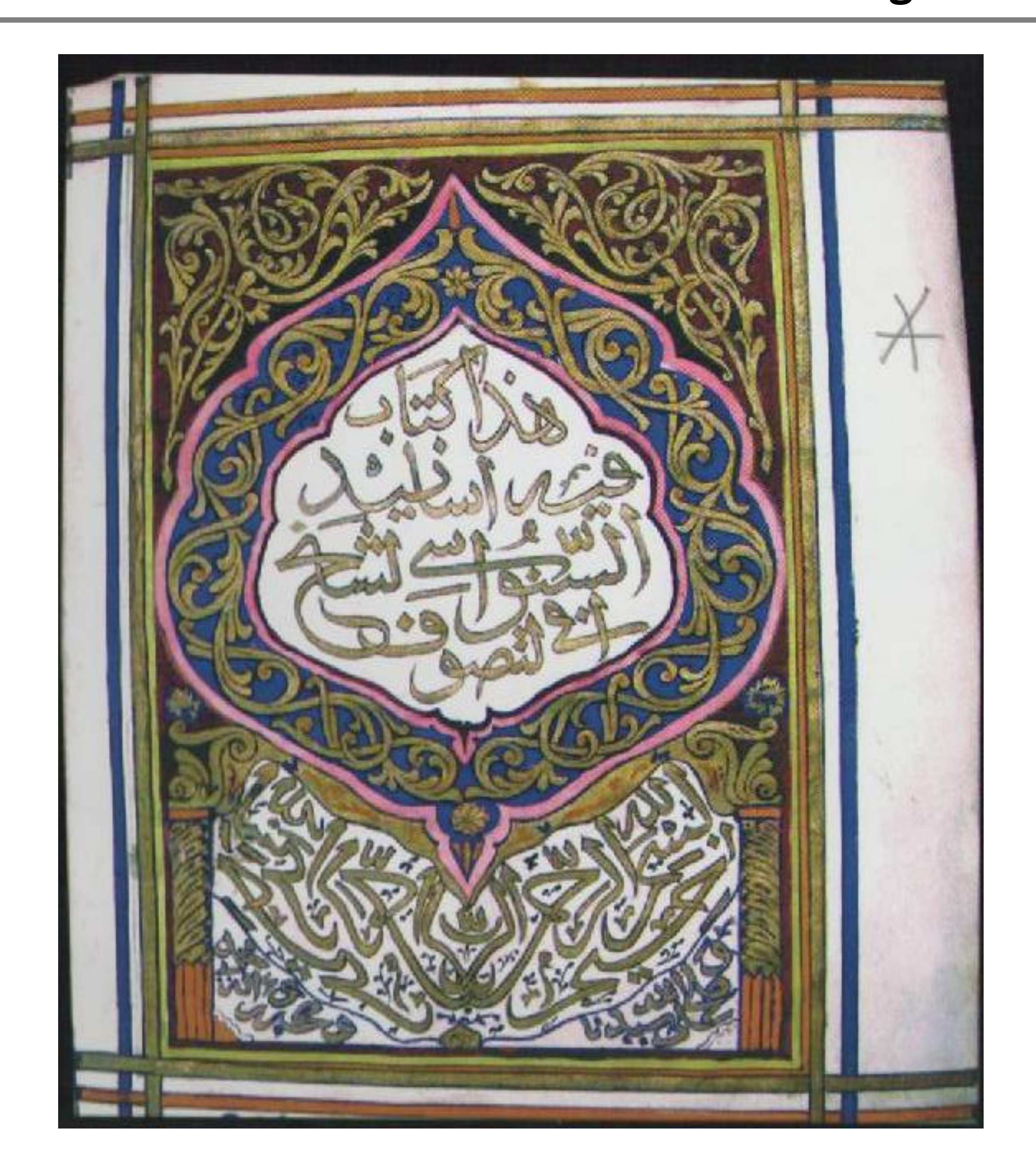


ملحق رقم 02 ، خريطة تمثل التقسيم الإداري للجزائر في العهد العثماني ، و يظهر فيها بايلك الغرب بعواصمه ((الكتاب المدرسي ، سنة أولى ثانوي 2007).

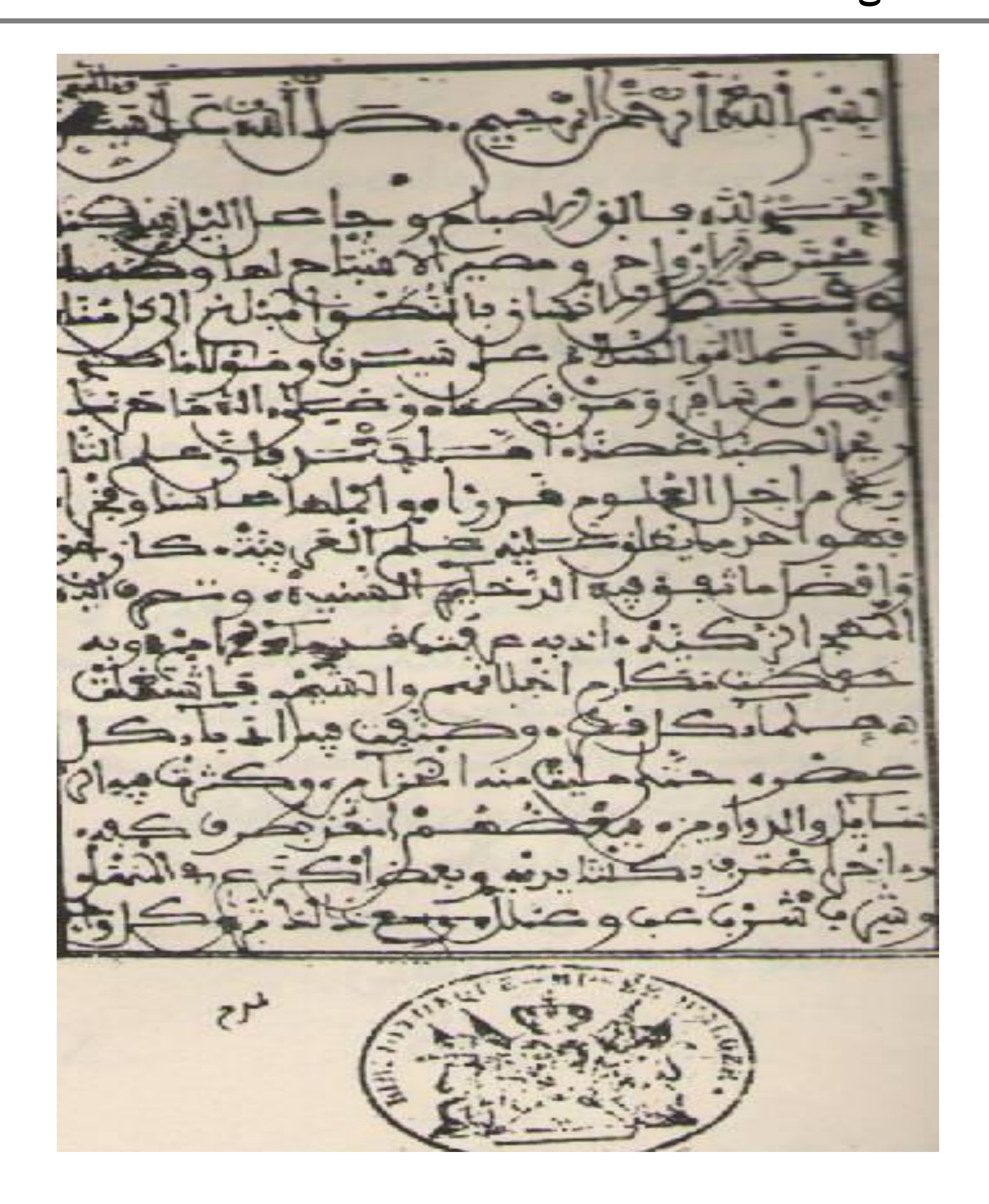


Bernard (P) et Redon (F), l'Algérie. Histoire. Colonisation. Géographie. Administration, Nouvelle édition, Alger, 1949. P155.

ملحق رقم 03 ، خريطة القطاع الوهراني سنة 1949م ، و هي خريطة طبيعية و إدارية (د. إبراهيم مهديد ، القطاع الوهراني 2006 ، ص 219)..



ملحق رقم 04 ، و هو مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 948 يمثل كتاب فيه أسانيد السنوسي في التصوف ، وهو محمد ابن علي ابن السنوسي المجاهري 1207هـ - 1276هـ ، وهو مِؤسس الطريقة السنوسية (مستغانم)، ويذكر فيه الطرق الصوفية و أسماء الشيوخ الذين ورث عنهم الطريقة .خط مغربي داخل اطار أحمر و مذهب و به زخرفة مذهبة ، 20 ورقة ،21 سطرا(مسعودة بو طابة ، المكتبة الوطنية الجزائرية تاريخ و كنوز ، مطبعة الديوان الجزائر 2007، ص).130.


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا

ملحق رقم 05 ، يمثل الصفحة الأولى من مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1643، يمثل كتاب "رحلة محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي لأحمد بن هطال التلمساني

(أحمد بن هطال التلمساني ، رحلة محمد الكبير ، تحقيق و تقديم محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب ، القاهرة 1969).

واحوجهم الى توفيقه وتسديده أحمد بن محمد بن محمد
بفتح الميم بن محمد بن أحمد ابن هطال كان الله تعالى
ان يجبر صدع قلوبنا ويغفر جميع ذنوبنا وان يجعلنا
استعدادنا لمعادنا انه ولي ذلك والقادر عليه وصلى
الله على سيدنا محمد وآله عدد ما ذكره الذاكرون و
غفل عن ذكره الغافلون وءاخر دعوانا ان الحمد لله رب
العالمين كمل تقييد هذه الاوراق عشية يوم
الخميس الثاني والعشرين من شهر الله ذي القعدة
سنة اثنين بعد المائتين والالف على يد عبيد
ربه واحوجهم اليه المعترف بذنبه وتقصيره محمد بن
البشير بن محمد اقراري التلمساني دارا ومنشأ غفر
الله له ولوالديه وللاشياخه ولجميع المسلمين والمسلمات
والمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم
والاموات والقول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وءاخر
دعوانا ان الحمد لله
رب العالمين

٢٢ يوم ذي القعدة ١٢٠٢ — سنة ١٢٠٢

21

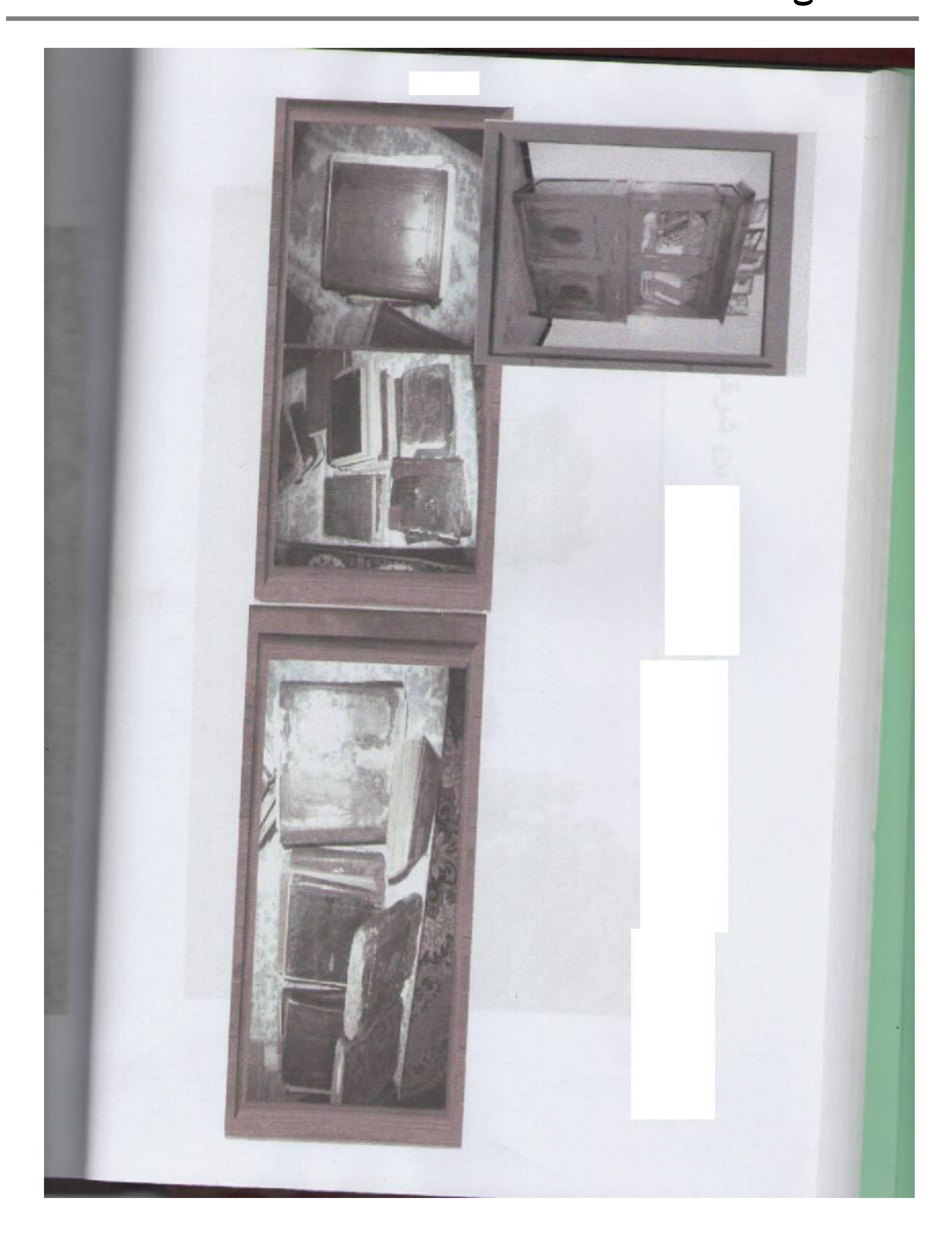
ملحق رقم 06 ، يمثل الصفحة الأخيرة من مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1644، يمثل كتاب " رحلة محمد الكبير الى الحنوب الصحراوي الجزائري لأحمد بن هطال التلمساني (أحمد بن هطال التلمساني ، رحلة محمد الكبير ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، عالم الكتب ، القاهرة 1969).

وءاله وصحبه

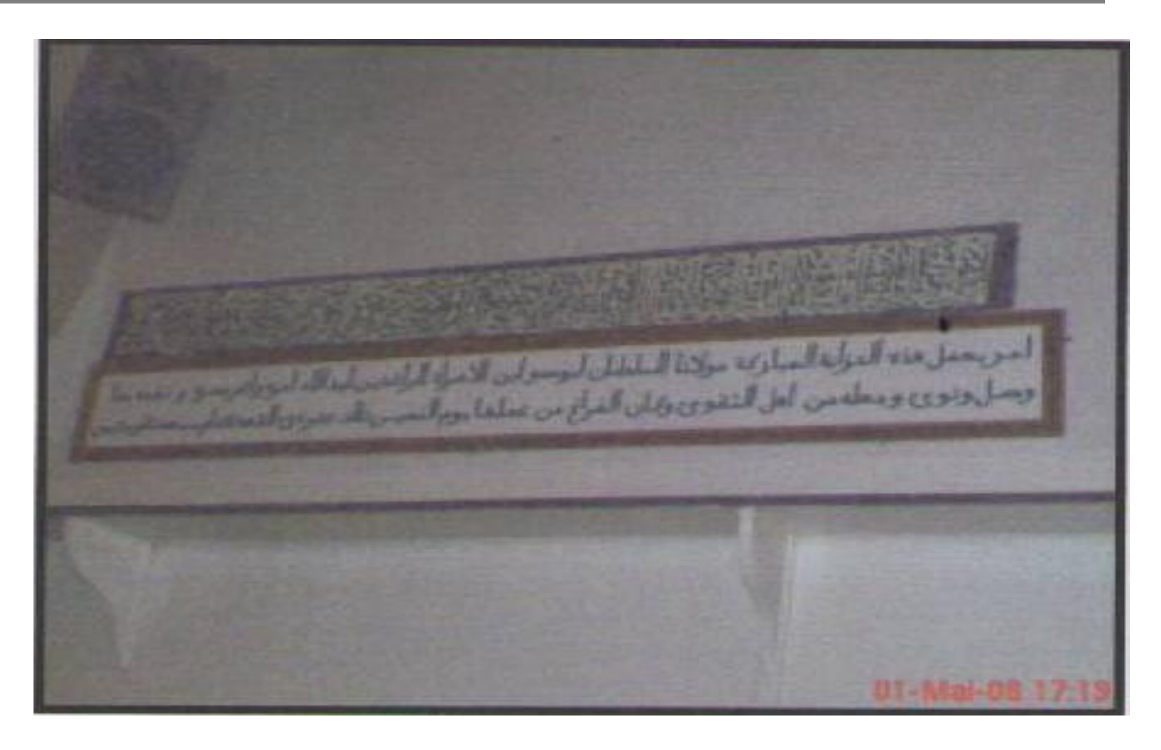
بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله وسلم على سيدنا محمد

قال الشيخ الفقيه النحرير النبيه لسان الدولة
وفارس الجولة أبو العباس السيد احمد بن محمد بن علي
ابن احمد بن هطال التلمساني كثير العلم وصحيح
الاقوال رضي الله عنه
الحمد لله فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا
ومخترع الارواح ومصير الاشباح نسما وظلا
ومفضل الانسان بالنطق المبلغ لكل منى
والصلاة والسلام على نبينا ومولانا محمد افضل
من سافر ومن قطنا وعلى ءاله واصحابه ما حرك
ريح القصب غصنا اما بعد فان علم التاريخ
من اجل العلوم قدرا واكملها محاسنا وفخرا
فهو احق ما يطلق عليه علم العربية كما
انه وافضل ما تنعقد فيه الرحلة بالعشية
وتنصرف اليه الهمم الزكية اذ به عرفت قدماء
الامم وبه حفظت مجاري اخلاقهم والشيم
فاشتغلت به علماء كل قطر وصنفت فيه ادباء
كل عصر حتى ملئت منه الخزائن وكثرت
فيه الرسائل والدواوين فبعضهم اخذ بطرف
كتبه وءاخر اعترف بقلة الجديد وبعضهم
اكثر في الشغل وشرب شراب من عجب وعلل

ملحق رقم 07 ، يمثل الصفحة الأولى من مخطوط أحمد بن هطال التلمساني حول رحلة محمد الكبير الى الجنوب الصحراوي الجزائري ، وهو مخطوط موجود بخزانة محمد بن عبد الكريم الذي قام بتحقيق ذلك المخطوط ، و يقول عنه بانه ذو حجم صغير مربع ، خطه مغربي ، في كل صفحة منه 21 سطرا (محمد بن عبد الكريم ، المرجع السابق).

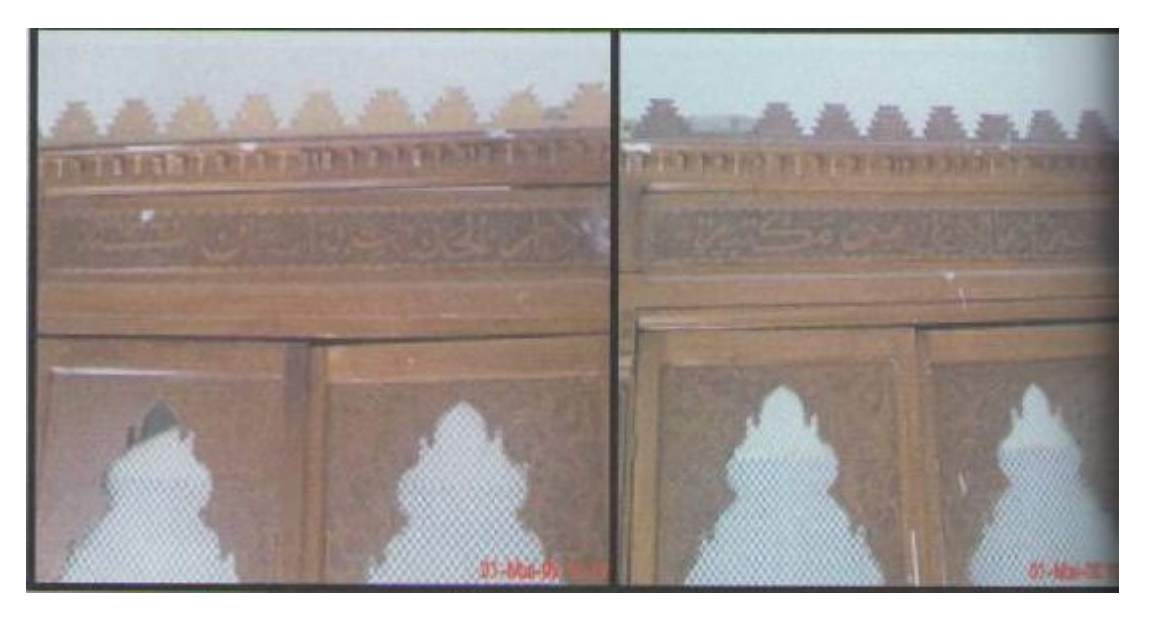


ملحق رقم 08، يمثل خزانة مكتبة مدرسة مازونة ، (مخلوفي جمال ، التعليم العربي الحر في حوض الشلف ، شهادة ماجستير ، وهران 2009 ، ص 143)



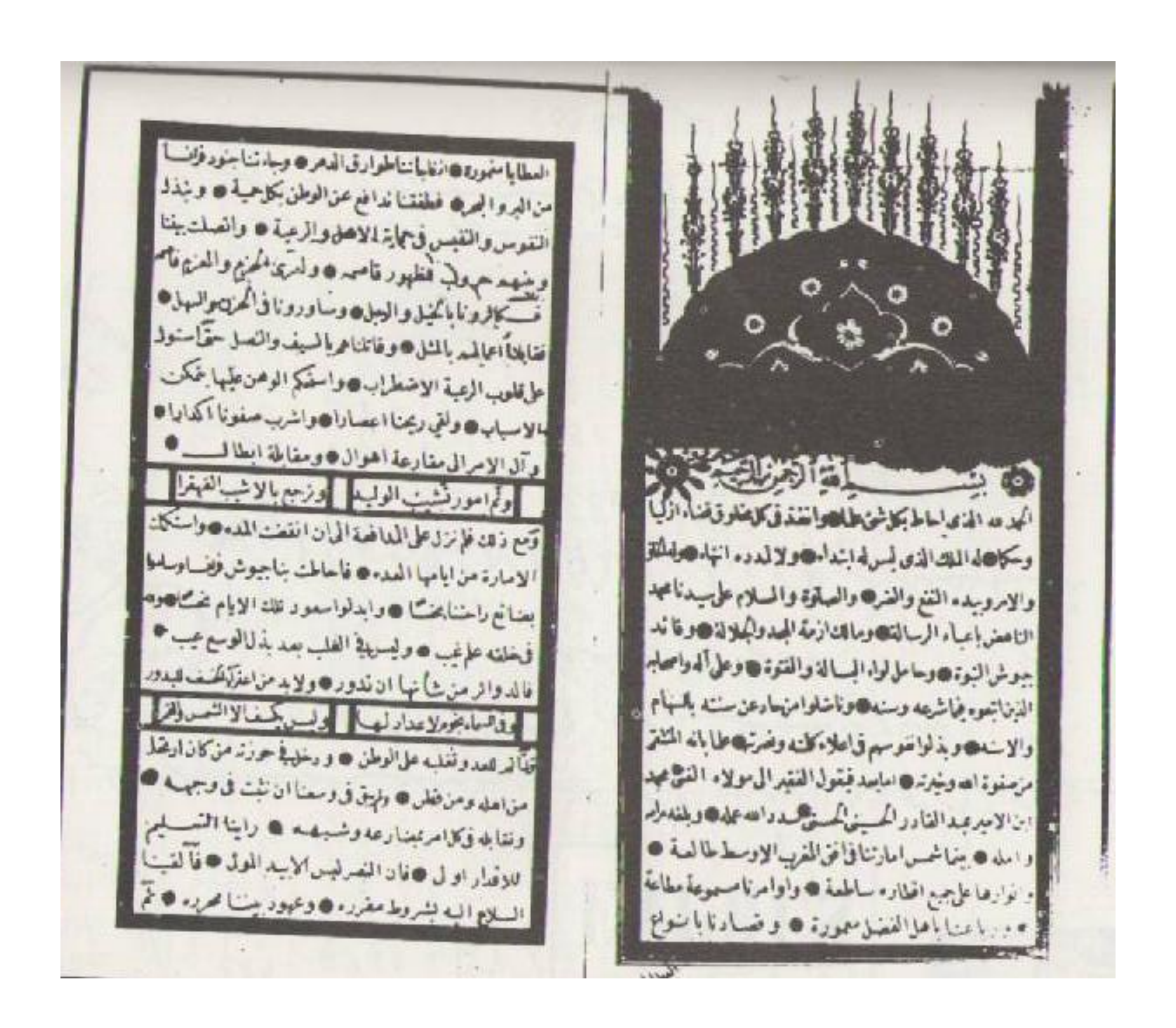
ملحق رقم 09 ، يمثل لوحة تبرز تأسيس خزانة الجامع الكبير بتلمسان .

التقطت يوم 2008/05/01 على الساعة الخامسة و تسعة عشر دقيقة مساءا بواسطة الهاتف النقال . (بن حامد عبد القادر ، المساجد في حواضر شمال الغرب الجزائري ،شهادة ماجستير ، جامعة تلمسان 2008 ، ص 137).



ملحق رقم 10 ، يمثل أول خزانة بدار الحديث في تلمسان (1361هـ) ،التقطت يوم 2008/05/01 على الساعة الرابعة و عشر دقائق مساءا بواسطة الهاتف النقال

(بن حامد عبد القادر ، نفس المرجع ، ص 137).



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احاط بكل شيء علما • واحصى في كل مخلوق قضاء ازليا وحكما • الملك الذي ليس له ابتداء • ولا لديه انتهاء • بيده الخلق والامر وبيده النفع والضر • والصلاة والسلام على سيدنا محمد الناهض باعباء الرسالة • ومالك ازمة المجد والجلالة • وقائد جيوش النبوة • وحامل لواء البسالة والفتوة • وعلى آله واصحابه الذين اتبعوه فيما شرعه وسنه • وناضلوا من حاد عن سنته بالسهام والاسنة • وبذلوا نفوسهم في اعلاء كلمته ونصرته • ما بانه المشتهر من صفوة الله وخيرته • اما بعد فيقول الفقير الى مولاه الغني محمد ابن الامير عبد القادر الحسني [illegible] الله عليه • وبلغه مرامه وامله • بينا شمس امارتنا في افق المغرب الاوسط طالعة • وانوارها على جميع اقطاره ساطعة • واوامرنا مسموعة مطاعة • و[illegible] رباعنا باهل الفضل معمورة • وقصادنا بانواع

العطايا مغمورة • اذ فاجأتنا طوارق الدهر • وجاءتنا جنود فرانسا من البر والبحر • فطفقنا ندافع عن الوطن بكل حيلة • ونبذل النفوس والنفيس في حماية الاهل والرعية • واتصلت بيننا وبينهم حروب فظهور قاصمة • ولدى الحزم والعزم قائمة • فكادونا بالخيل والرجل • وساورونا في الحزن والسهل • فقابلنا اعاليهم بالمثل • وقاتلناهم بالسيف والنصل حتى استولى على قلوب الرعية الاضطراب • واستحكم الوهن عليها [illegible] الاسباب • ولقي ريحنا اعصارا • واشرب صفونا اكدارا • وآل الامر الى مقارعة اهوال • ومقابلة ابطال •

وتم امور تشيب الوليد ... وتزعج بالاشيب القهقرا

ومع ذلك لم نزل على المدافعة الى ان انقضت المدة • واستكملت الامارة من ايامها العدة • فاحاطت بنا جيوش فرنسا وسلموا بضائع راحتنا بحتا • وابدلوا سعود تلك الايام نحسا • ومن فخلفه على غيب • وليس في القلب بعد بذل الوسع عيب • فالدوائر من شأنها ان تدور • ولا بد من اعتراض الكسف للبدور

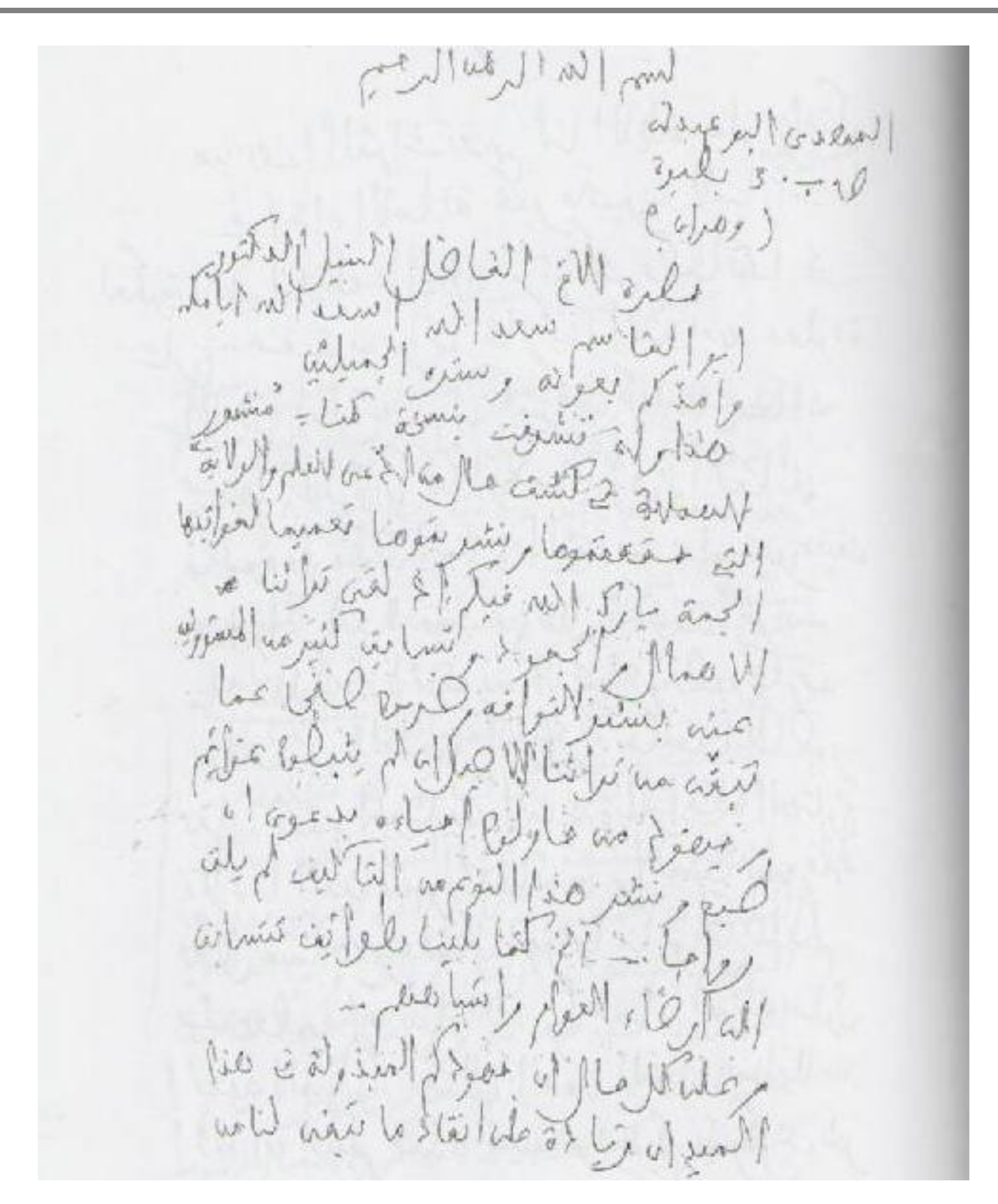
وفي السماء نجوم لا عداد لها ... وليس يكسف الا الشمس والقمر

فتأثر العدو وتغلبه على الوطن • ودخوله حوزة من كان ارتحل من اهله ومن قطن • ولم يبق في وسعنا ان نثبت في وجهه • ونقابله في كل امر يعانا رعه وشبهه • راينا التسليم للاقدار اولى • فان النصر ليس الا بيد المولى • فالقينا السلام اليه بشروط مقررة • وعهود بيننا محررة • ثم

ملحق رقم 11 ، يمثل مخطوطة ، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر و أخبار الجزائر، نسخة بمكتبة أسطانبول، وهو كتاب ألفه محمد باشا ابن الأمير عبد القادر

هذا المخطوط يقول عنه أبو القاسم سعد الله هو الحلقة الأولى في سلسلة ، لو أستشرت لأطلقت عليها اسم "مكتبة الأمير عبد القادر".و هنا اختلاف بين من يقول بأن هذا المخطوط ألف بيد الأمير تارة و أخرى بيد صهره و خليفته مصطفى بن التهامي. و المخطوط يتكون من جزئين ، الأول في 498 صفحة ، و الثاني في 503 صفحة.

(د. أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ، الجزء الثاني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986 ، ص 08).



بسم الله الرحمن الرحيم

المهدي البوعبدلي
ص.ب. 3 بطيوة
(وهران)

حضرة الأخ الفاضل النبيل الدكتور
أبي القاسم سعد الله أسعد الله أيامكم
وأمدكم بعونه [illegible]
[illegible]

ملحق رقم 12 ،يمثل نسخة بصفحتين من رسالة للشيخ المهدي البوعبدلي الى الدكتور أبي القاسم سعد الله بتاريخ 1988/05/14م ، هي رسالة بخط يد الشيخ المهدي البوعبدلي صاحب مكتبة الزاوية بطيوة و هي من اكبر المكتبات بالغرب الجزائري ، و هي توضيح منه لسعد الله حول التراث الفكري الجزائري المخزن بالزاوية البوعبدلية .(الدكتور أبو القاسم سعد الله ، رسائل في التراث و الثقافة ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر ، 2007 ،ص 141)

مما رهنا التراث تقديم لنا الأدلة على نزاهتكم
في أداء الأمانة غير متحيزين للتيارات
الفكرية التي أحدثت البلاد من تركت بصماتها في
تاريخ حقيقة من مراحل تاريخنا الثقافي مملوءة
بالأباطيل حيث إن كثيرا من كتابنا عفا الله
عنهم ظلموا أو ظلموا وشوهوا الحقائق
وصوروا ما في البلاد الثقافي على غير حقيقته
هذا وإني كنت اتفقت مع بعض الأصدقاء محمد ترتيب
ما أملكه من الوثائق الأصيلة وتصويرها قد
ساعدتني التلفزة الجزائرية بالتقاط صور
بعض هذه الوثائق النادرة الراجعة لتاريخ
بلادنا الثقافي والعقائدي والسياسي وخاصة
بعض مشاهير علمائنا وزعمائنا وسأطلعكم
على بعضها إن شاء الله وأغتنمها فرصة حلول
العيد المبارك يتقبل أسمى التهاني سائلا من
الله أن يحييكم حياة طيبة ويحفظكم شركاء شكر
ويتقبل تحياتي وأجمل ذكرياتي

ملحق رقم 12، تابع للنسخة السابقة من رسالة الشيخ البوعبدلي إلى الدكتور أبي القاسم سعد الله . (نفس المرجع ص 142).

الحمد لله

بطيوة في 15 صفر الخير 1391 / 3-12-71

حضرة الأخ الفاضل النبيل الدكتور ابو القاسم سعد الله
اسعد الله ايامكم وبعد فإني ارسلت اليكم بما وعدتكم
به من مقاطيع بخط ابن آمنة (مال الامين) ومقطعة
ابن التهامي والطيب ابن المختار فإن مجموعها
تواجه ما خلده الاخ التركيب وان تم المزيد من
نوعها مما زالت عندي مقاطيع لبعض العلماء
الجزائريين في الاستغاثة والتغني الحي بها
من اهل اوائل القرن الثالث عشر الى مشابهه
النظيمة شبيهة بالحجة لسان الدين ابن الخطيب
السلماني الشهيرة في تاريخ الادب العربي وقد نشرها
المقري بتمامها في ازهار الرياض واما النظيمة
المذكورة عندي فهي نظم ولم ينظر فيها ناظمها
على التقاليد الدينية بل تعرض بتفصيل للتقاليد
الدنيوية كالاقتصاد في المعاش واستقبال الضيوف

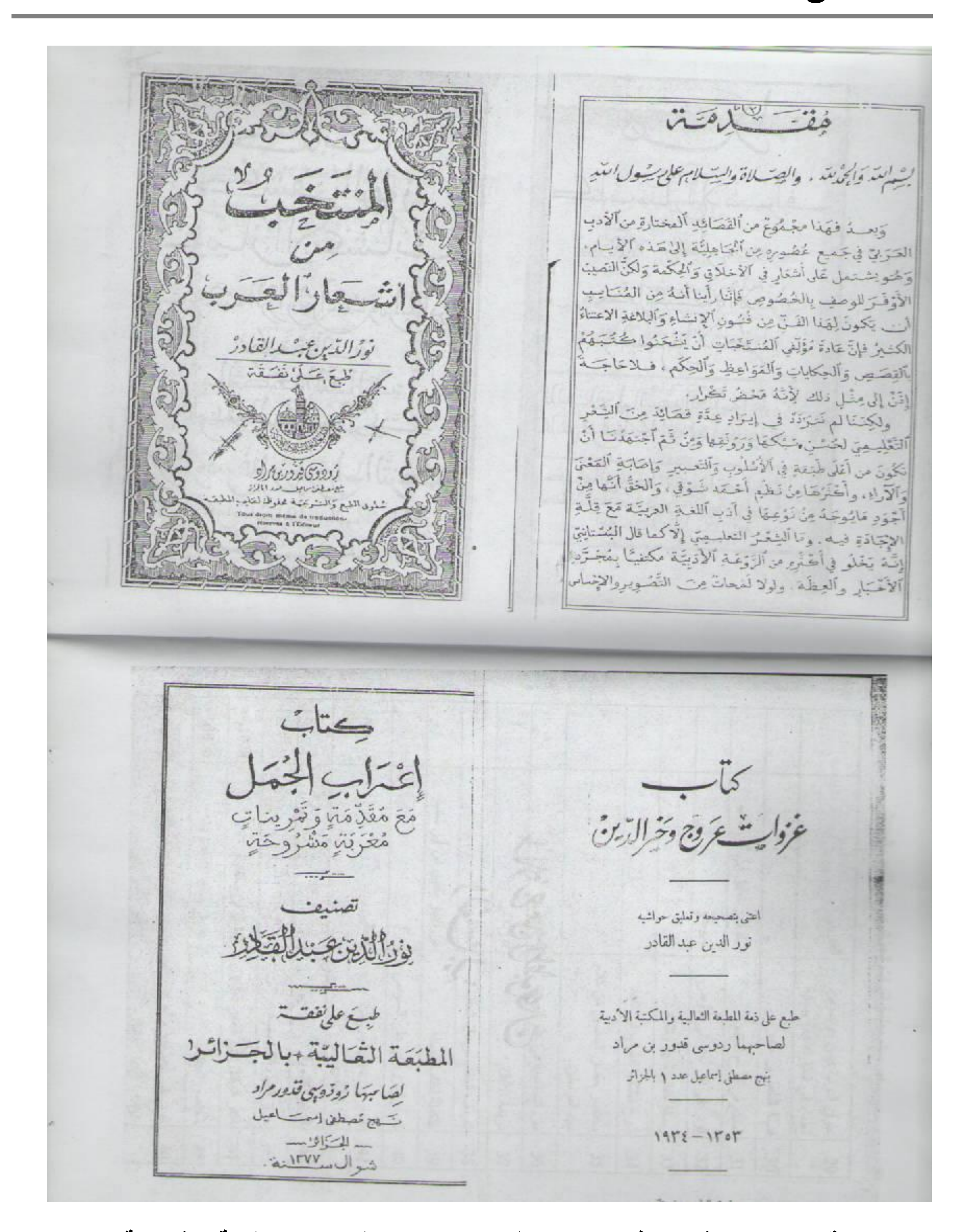
ملحق رقم 12 ، تابع للرسالة الموجهة من الشيخ البوعبدلي إلى د. أبي القاسم سعد الله (نفس المرجع ، ص 143) .

والابتعاد من مغالطة الراسماليين "عبدة
الدرهم والدينار" والابتعاد عن مغالطة الحكام
الظالمين الخ والاستغاثة كما ذكرنا ان التهامي
لذلك انتشرت في الادب الجزائري خصوصا في العهد
التركي جمعها من نظمت بالعربية الفصحى ومنها
بالدارجة ولازالت بعقيدة الناس فيها الان كان
الكثير منها ينشد كل ليلة جمعة في بعض الزوايا
وقد كانت الاولى من شرحها غوثية الشيخ ابي مدين
شعيب بن موسى التوجيني احد وادي القاعية بعزيز
في اواخر القرن العاشر اذ قتل ولده ولم ينصفه
حكام مدينة ام عسكر فنظم استغاثته المشهورة
التي افتتحها بقوله

لما عجزت في بلاد الجور من اخذ ثار ولدي بالعدل
وما نفى في تلك الامير والاهل والقاصب والعشير
ناديت غوثنا يا رجال الخفاء يا اهل بدر ياعيون الحق

وقد شرحها ناظمها كما شرحها جماعة ادباء منهم المؤرخ
ابو راس الخ. تعرض في شرحه للحروب التي مثلت فيها والترجمة
الى النالكم وعلى كل حال جاءت في انتظار اشارتكم لاتمام مجهودي
من طلبة الزاوية عجلهم نفاعها كما هو قلب   المخلص التوعميلي

ملحق رقم 12 ، تتمة للرسالة الموجودة في الملاحق الثلاث السابقة(نفس المرجع ، ص144).



مقدمة

بسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد فهذا مجموع من القصائد المختارة من الأدب العربي في جميع عصوره من الجاهلية إلى هذه الأيام، وهو يشتمل على أشعار في الأخلاق والحكمة ولكن النصيب الأوفر للوصف بالخصوص لإننا رأينا أنه من المناسب أن يكون لهذا الفن من فنون الإنشاء والبلاغة الاعتناء الكثير فإن عادة مؤلفي المنتخبات أن يشحنوا كتبهم بالقصص والحكايات والمواعظ والحكم ، فلا حاجة إذن إلى مثل ذلك لأنه محض تكرار.

ولكننا لم نتردد في إيراد عدة قصائد من الشعر التعليمي لحسن سبكها ورونقها ومن ثم اجتهدنا أن تكون من أعلى طبقة في الأسلوب والتعبير وإصابة المعنى والآراء، وأكثرها من نظم أحمد شوقي، والحق أنها من أجود ما يوجد من نوعها في أدب اللغة العربية مع قلة الإجادة فيه . وما الشعر التعليمي إلا كما قال البستاني إنه يخلو في أكثره من الروعة الأدبية مكتفيا بمجرد الأخبار والعظة . ولولا لمحات من التصوير والإحساس

المنتخب من أشعار العرب

نور الدين عبد القادر

طبع على نفقة

رودوسي قدور بن مراد

شوق الطبع والترجمة محفوظة لصاحب المطبعة

Tous droits même de traduction réservés à l'Éditeur

كتاب غزوات عروج وخير الدين

اعتنى بتصحيحه وتعليق حواشيه

نور الدين عبد القادر

طبع على ذمة المطبعة الثعالبية والمكتبة الأدبية

لصاحبهما ردوسي قدور بن مراد

نهج مصطفى إسماعيل عدد ١ الجزائر

١٣٥٣ - ١٩٣٤

كتاب إعراب الجمل

مع مقدمة وتمرينات معربة مشروحة

تصنيف

نور الدين عبد القادر

طبع على نفقة

المطبعة الثعالبية بالجزائر

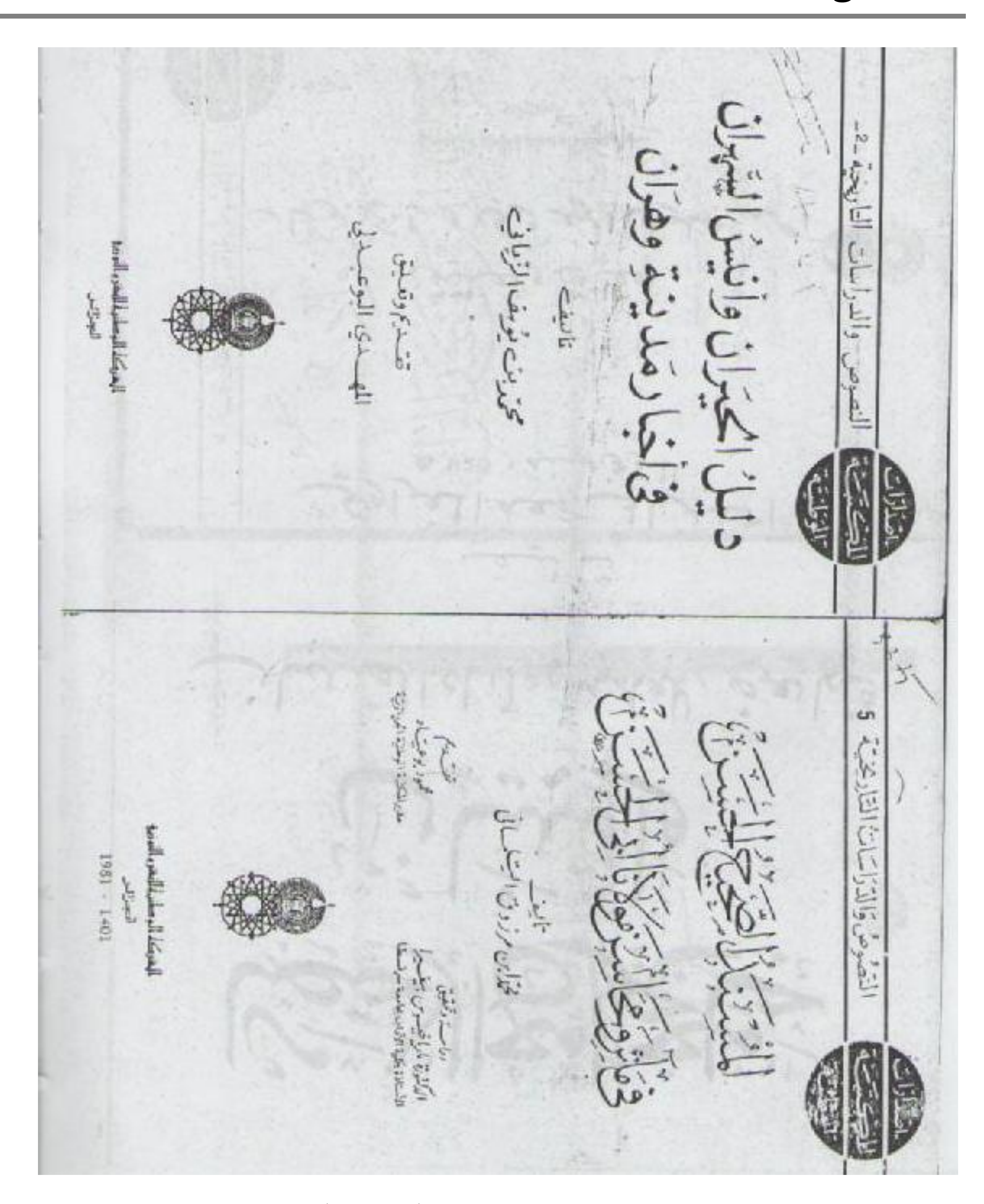
لصاحبها رودوسي قدور مراد

نهج مصطفى إسماعيل

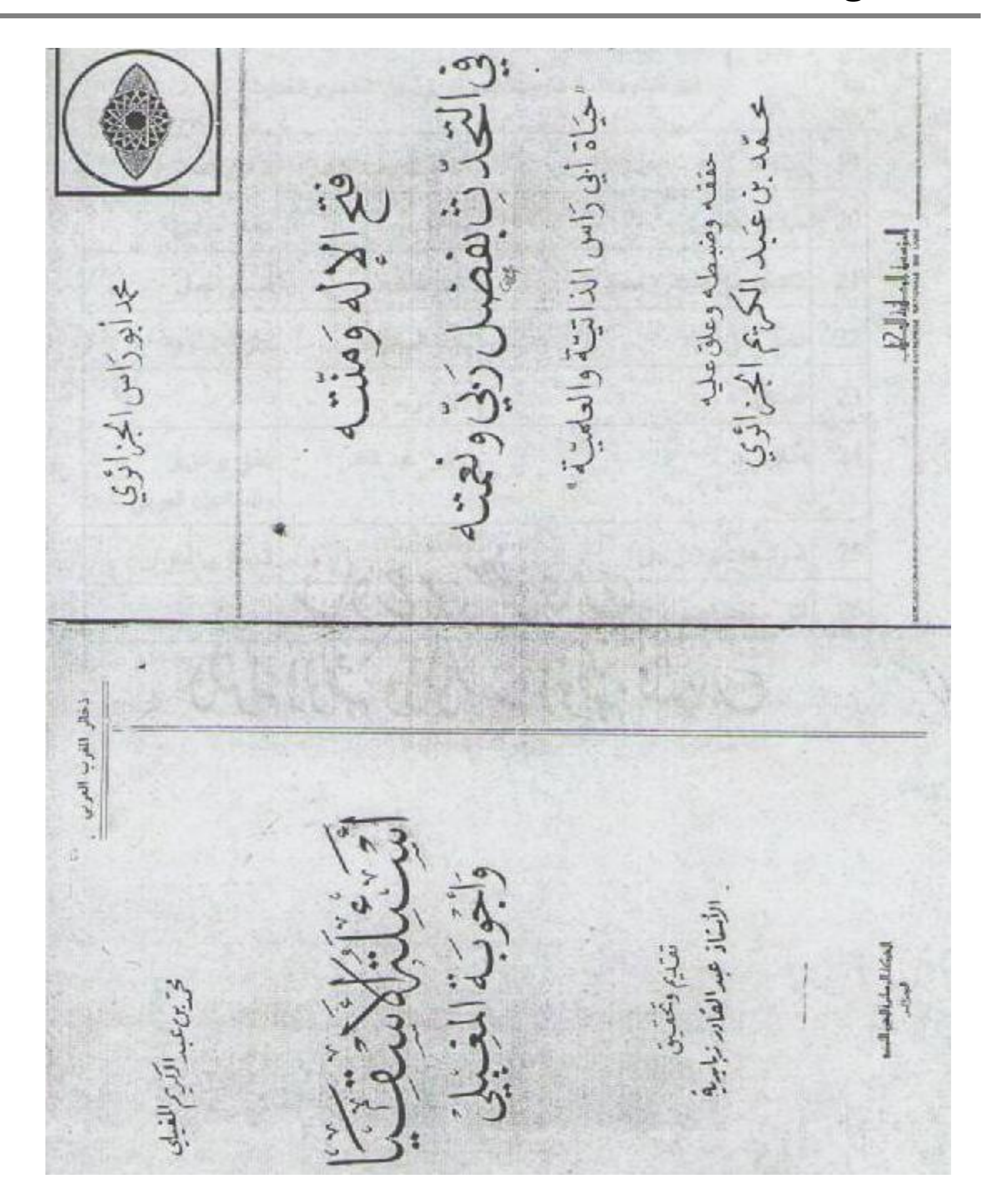
الجزائر

شوال سنة ١٣٧٧

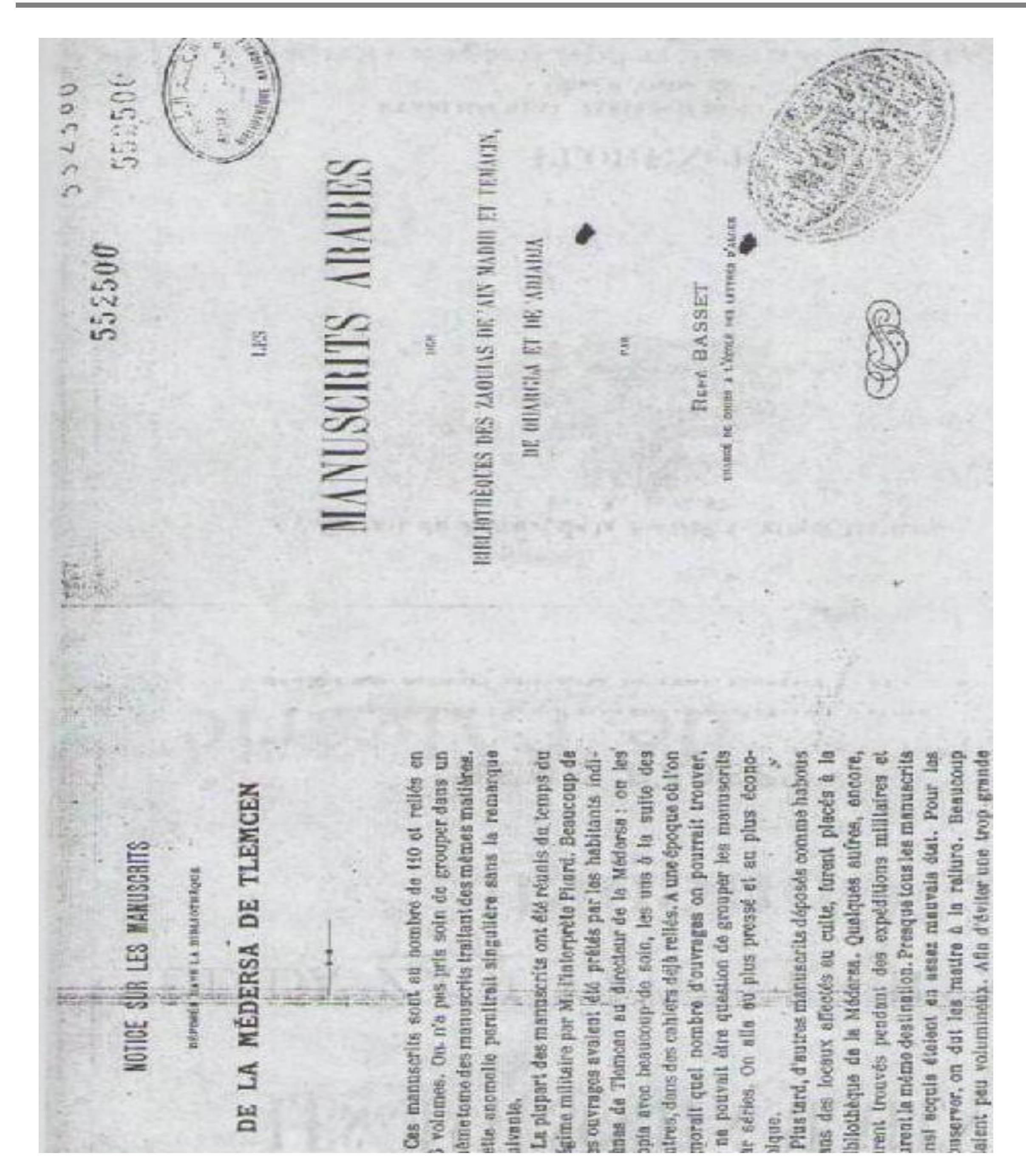
ملحق رقم 13، يمثل نماذج من المطبوعات التي طبعت بالمطبعة الثعالبية بالجزائر العاصمة ،هي نماذج طبعت لصالح نوادي و مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، (د . عثمان بدري ، واقع التراث الجزائري الأصيل بين المعلوم و المجهول ، الجزء الأول ، منشورات ثالة الجزائر 2002 ، ص 52-53).



ملحق رقم 14، يمثل نموذج من مطبوعات المؤسسة الوطنية للكتاب و النشر و التوزيع ، و التي اهتمت بطبع و نشر تراث المكتبات و الخزانات بالغرب الجزائري لكل من ، محمد ابن مرزوق التلمساني ، محمد بن يوسف الزياني وسنة الطبع و المكان واضحان في الصورة ، مع الذين قاموا بالتحقيق و التقديم و التعليق و الضبط (المرجع السابق، ص 67).



ملحق رقم 15 ، يمثل نموذج آخر من مطبوعات المؤسسة الوطنية للكتاب و النشر و التوزيع ، و التي اهتمت بطبع و نشر تراث المكتبات و الخزانات بالغرب الجزائري لكل من، أبي راس الناصر ، محمد بن عبد الكريم المغيلي وسنة الطبع و المكان واضحان في الصورة ، مع الذين قاموا بالتحقيق و التقديم و التعليق و الضبط (المرجع السابق، ص 68).



LES

MANUSCRITS ARABES

DES

BIBLIOTHÈQUES DES ZAOUIAS DE 'AIN MADHI ET TEMACIN,

DE OUARGLA ET DE 'ADJADJA

PAR

René BASSET

CHARGÉ DE COURS A L'ÉCOLE DES LETTRES D'ALGER

NOTICE SUR LES MANUSCRITS

DÉPOSÉS DANS LA BIBLIOTHÈQUE

DE LA MÉDERSA DE TLEMCEN

Ces manuscrits sont au nombre de 110 et reliés en [illegible] volumes. On n'a pas pris soin de grouper dans un même tome des manuscrits traitant des mêmes matières. Cette anomalie paraîtrait singulière sans la remarque suivante.

La plupart des manuscrits ont été réunis du temps du régime militaire par M. l'interprète Picard. Beaucoup de ces ouvrages avaient été prêtés par les habitants indigènes de Tlemcen au directeur de la Médersa : on les copia avec beaucoup de soin, les uns à la suite des autres, dans des cahiers déjà reliés. A une époque où l'on ignorait quel nombre d'ouvrages on pourrait trouver, il ne pouvait être question de grouper les manuscrits par séries. On alla au plus pressé et au plus économique.

Plus tard, d'autres manuscrits déposés comme habous dans des locaux affectés au culte, furent placés à la Bibliothèque de la Médersa. Quelques autres, encore, furent trouvés pendant des expéditions militaires et eurent la même destination. Presque tous les manuscrits ainsi acquis étaient en assez mauvais état. Pour les conserver, on dut les mettre à la reliure. Beaucoup étaient peu volumineux. Afin d'éviter une trop grande

ملحق رقم 16 ، يمثل نموذج من مطبوعات المستشرقين حول التراث الفكري الجزائري المخزن بمكتبات المساجد و الزوايا ، و هو نموذج يتحدث عن مخطوطات مدرسة تلمسان ، التي حسب روني باسي(René basset) تحتوي على 110 مخطوط ، و هي مخطوطات جمعت في عهد نظام العسكري من طرف المترجم بلار (Pilard)، ولقد وضعت تلك المخطوطات بمكتبة مدرسة تلمسان . (فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم و الحديث ، الجزء الأول ، مراجعة و تقديم أ .د. عثمان منشورات ثالة ن الجزائر 2002 ص 153).

Revue africaine



LES INSCRIPTIONS ARABES

DE TLEMCEN.

III.

MOSQUÉE ABOU L-H'ACEN, OU BEL-H'ACEN.

Lorsqu'on entre à Tlemcen du côté Nord, par la porte d'Oran, la vue est attirée par un petit édifice d'un aspect si modeste qu'il se distinguerait à peine des habitations voisines, s'il n'était surmonté d'un minaret où le temps a imprimé sa noire empreinte, et dont les quatre faces sont ornées de colonnettes et de capricieux reliefs en mosaïque. Cet édifice est la mosquée ou *Mesdjed d'Abou l-H'acen*. Si le touriste est assez bien inspiré pour ne pas céder à l'impression défavorable produite par ces humbles dehors, et qu'il prenne la peine de pénétrer dans l'intérieur du monument, il en sera amplement dédommagé par tout ce qu'il y trouvera d'intéressant au point de vue de l'art. La disposition générale est simple, et remarquable seulement par l'harmonieuse régularité des proportions. C'est un carré de cent mètres de superficie, dans lequel six colonnes de marbre, onyx translucide, dont deux colonnes engagées, supportent autant d'arcades à large courbure, et forment trois travées ou nefs parallèles. Mais l'attention doit se porter plus particulièrement sur les détails. C'est là que le talent inspiré de l'artiste s'est déployé dans tout son éclat. Rien n'est plus fin, plus exquis que le revêtement d'arabesques qui décore les parois, et ces mille dessins qui courent, se replient et s'enlacent, affectant

Rev. afr., 3e année, n° 15. 11

ملحق رقم 17 ، يمثل نموذج من دورية المجلة الإفريقية (Revue Africaine) و هي المجلة التي كثيرا ما تناولت أبحاث عدد من المستشرقين الفرنسيين حول مكتبات و خزانات الغرب الجزائري ، و هذا النموذج يتحدث عن بعض مساجد تلمسان، مثل مسجد أبي الحسن ،مجلة الإفريقية ، سنة الثالثة ، العدد رقم 15 ، فبراير 1859 .

المرجع : (

)

Azib (fermes) de Tikobaïn, et qui s'étend jusqu'aux Ait aïsellem, fraction des Beni Ouaguennoun.

La nature avait fait de ce point, élevé sur de hautes falaises granitiques, une fortification naturelle, et il fallut peu de chose à la main de l'homme pour achever d'en faire une forteresse inabordable.

Un sentier descend le long de la face Est et conduit, sous la protection des rochers, à deux puits ou silos presque contigus et maçonnés intérieurement avec de petites pierres.

Il faut près d'une heure pour descendre, de roc en roc, au pied de cette gigantesque forteresse, dont l'accès ne serait pas facile, même avec nos moyens d'attaque.

Je me rendais à Tala-Azrou.........; le caïd d'Imakouda, Ali ou Mouça, à l'obligeance duquel j'ai dû beaucoup de curieuses indications, m'a assuré avoir entendu dire que les Turcs avaient un moment occupé les sommets d'Azrou, et qu'ils s'étaient ensuite repliés sur Tazazraït et Bordj Sebaou.

Baron Aucapitaine.

Notitia dignitatum. — M. Eugène Bache, correspondant de la province de l'Ouest, a publié, dans l'*Echo d'Oran*, un travail fort remarquable sur ce curieux document officiel antique que l'on fait remonter jusque vers la moitié du 5e siècle de notre ère. M. Bache en a extrait tout ce qui concerne l'Afrique et l'a expliqué à l'aide du commentaire de Pancirole. Il va refondre son œuvre, en prenant pour base l'édition de la *Notice* donnée en 1853 par Bocking, et il promet d'adresser ce nouveau travail à notre Revue. Le talent et l'érudition de l'auteur, l'importance du document sur lequel il opère, rendront cette communication très-précieuse à nos lecteurs.

Pour tous les articles non signés de la Chronique,

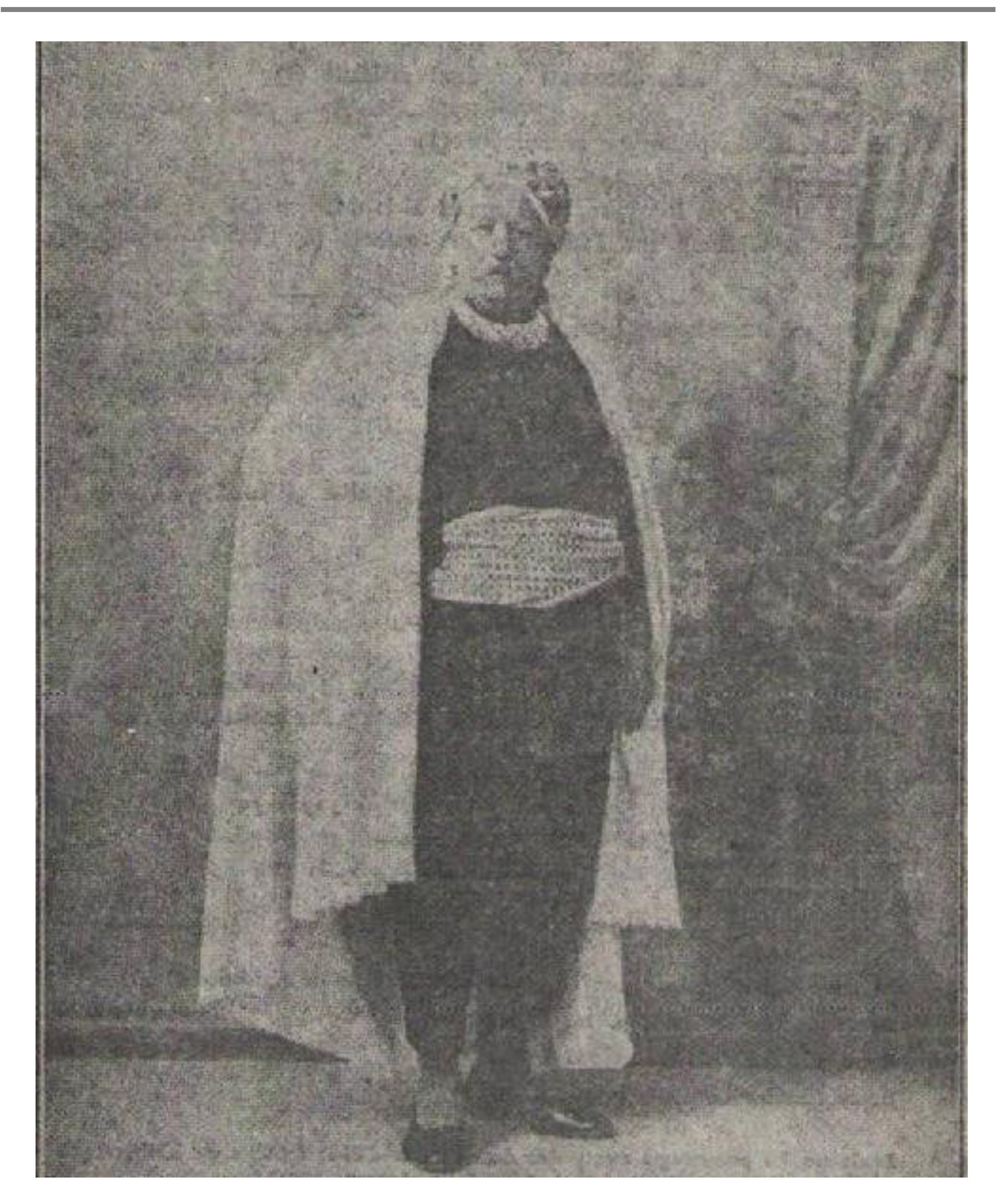
Le Président,

A. BERBRUGGER.

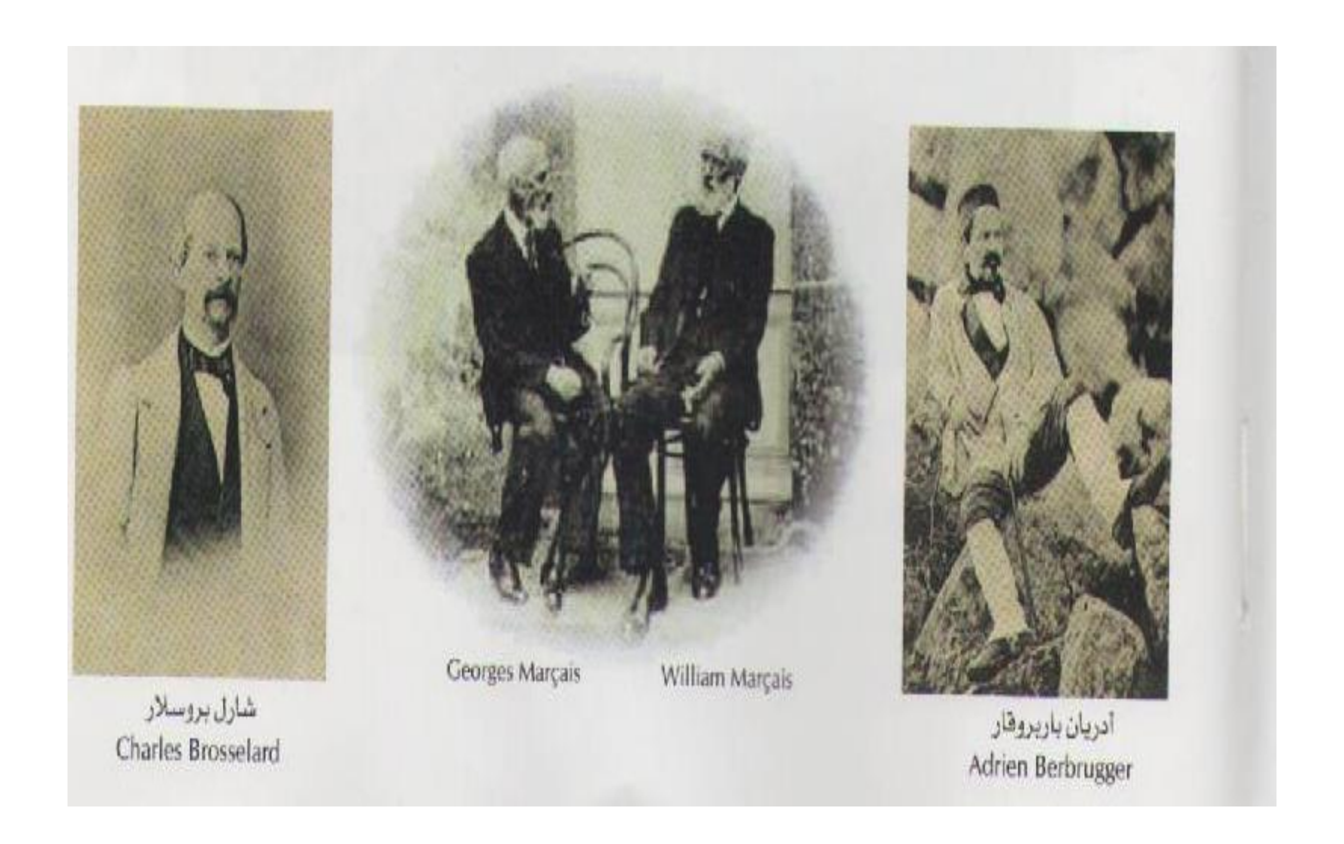


ملحق رقم 17 ، تابع للصفحة السابقة من المجلة الإفريقية و بتوقيع المستشرق المتخصص في علم المكتبات أدريان بير بروجير (A . Berbrugger) و الذي رافق الحملة العسكرية على تلمسان 1835 ، و جمع من تلمسان عدد من مخطوطات مكتبات مساجدها و زواياها ، المجلة الإفريقية ، السنة الثالثة ، العدد رقم 15 ، فبراير1859 ، المرجع: (

)



ملحق رقم 18 ، يمثل صورة فوتوغرافية للدكتور محمد ابن أبي شنب ، ولد سنة 1869م بنواحي المدية و توفي يوم 06 فبراير 1929 م و هو دفين مقبرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي ،محمد بن أبي شنب غمل كباحث كلف من طرف الإدارة الفرنسية بوضع فهرسة لمخطوطات و كتب المساجد الجزائرية باعتباره يتقن اللغتين العربية و الفرنسية ، و عند وفاته أبنه صديقه ألفريد بال (A. Bel) . (عائشة خمار ، مجلة الثقافة ، العدد 53 ، سبتمبر – أكتوبر 1979 م ، ص 33).



ملحق رقم 19، يمثل صور فتوغرافية لبعض المستشرقين الفرنسيين الذين اهتموا بالمخطوطات و الكتب و المكتبات المتعلقة بالتراث الفكري الجزائري خاصة بالقطاع الوهراني ، (براهامي نصر الدين ، تلمسان الذاكرة ، مطبعة ثالة ، الجزائر 2010م ، ص 261) .

البيبليوغرافيا

المصادر بالعربية :

1 -أبي راس الناصر المعسكري ، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، تحقيق و تقديم المخطوط من طرف محمد غالم ، منشورات CRASC وهران 2005.
2 -أحمد بن هطال التلمساني ، رحلة محمد الكبير " باي الغرب "إلى جنوب الصحراء الجزائري ، تحقيق و تقديم المخطوط محمد بن عبد الكريم ، عالم الكتب ، القاهرة 1969.
3 -أحمد الراشدي ، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، تحقيق المهدي البوعبدلي ، قسنطينة 1973م.

المصادر بالفرنسية :

1- Bel, Alfred – rapport d'inspection mouderrés du département d'Oran (territoire civil) année scolaire 1906-1907/1908-1909/1909-1910.
2- Berbrugger,adrien, Bibliothèque – mussée d'Alger : livret explicatif des collections diverses de ces deux établissements,- Alger : imprimerie bastide,1861 ,- 154p.
3- Fagnan,edmond,- catalogue général des manuscrits des Bibliothèques publiques de France : départements – tome XVII : Alger,-paris,1893,- 680p.
4- Lebel, germaine, Bibliothèque nationale et lecture publique en Algérie, in : <bulletin de l'académie d'Alger > ,n°1,1957, pp,53-57

المراجع بالعربية :

1 - أبوبكر محمد الهوش ، لمحة حول الكتب و المكتبات في الحضارة الإسلامية ، جمعية الدعوة الإسلامية العلمية ،طرابلس (1986م).

2 - الإبراهيمي محمد البشير ، عيون البصائر ، دار المعارف القاهرة ، الطبعة الأولى (1963م).

3 - الإبراهيمي محمد البشير ، الآثار ، الجزء الثاني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،(1987م)

4 - أحمد بدر ، علم المعلومات و المكتبات ، دار المريخ ، جدة، (1984م).

5 - العقبي صلاح مؤيد ، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر ، تاريخها و نشاطها ، دار البراق ، بيروت (2002م).

6 - المدني أحمد توفيق ، جغرافية القطر الجزائري ، الطبعة الثانية، دار المعارف القاهرة (1963م)

7 - بوعزيز يحي ، المساجد العتيقة بالغرب الجزائري ، منشورات A.N.E.P ، الطبعة الأولى (2001م).

8 - بوعزيز يحي ، مدينة وهران عبر التاريخ ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، الجزائر ،(2004م).

9 - عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ، الجزء الثالث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (1994م).

10 - جغلول عبد القادر ،"الإستعمار و الصراعات الثقافية في الجزائر "ترجمة،سليم قسطون ،دار الحداثة للطباعة و النشر و التوزيع ، (1984م).

11 - حلوش عبد القادر ،"سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر(1999م)، 292 ص.

12 - عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، الجزء 2، دار النشر و التوزيع،الجزائر (2002م).

13 - تركي رابح عمامرة، عبد الحميد ابن باديس رائدا الإصلاح و التربية في الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، ، الطبعة الثانية (1981م).

14 - تركي رابح عمامرة، ابن باديس فلسفة وجهوده في التربية و التعليم (1900م-1940م) الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر (1970م).

15 - تركي رابح عمامرة ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية(1931م-1956م) و رؤساؤها الثلاثة ،المؤسسة الوطنية للفنونالمطبعية ، الجزائر (2004م).

16 - - تركي رابح عمامرة ، التعليم القومي و الشخصية الوطنية ، الشركة الوطنية للكتاب ، الجزائر (1975م).

17 - سعيدوني ناصر الدين ، المهدي البوعبدلي ، الجزائر في التاريخ ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر (1984م).

18 - سعيدوني ناصر الدين ،دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر ، العهد العثماني ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر(1984م)

19 - سعد الله ابو القاسم ، الحركة الوطنية ، الجزء الثاني (1900م-1930م)، منشورات دار الآداب ، بيروت (1969م).

20 - سعد الله ابو القاسم ، الحركة الوطنية ، الجزء الثالث (1930م-1954م).

21 - سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، "10أجزاء" الجزء الأول (1500م-1830م) ، و الجزء الثالث(1830م-1954م)، دار الغرب الإسلامي ، بيروت الطبعة الأولى (1998).

22 - فضلاء محمد الحسن ، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر ، الأجزاء 1،2 ،3، شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر الطبعة الأولى ، (1999م).

23 - محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، نشأتها ، تطورها و مصادرها ، مؤسسة الرسالة ، بيروت (1994م).

24 - مهديد إبراهيم ، القطاع الوهراني ما بين (1850م-1919م)، دراسة حول المجتمع الجزائري ، الثقافة و الهوية الوطنية ، دار الأديب ، وهران (2006م) .

25 - مهديد إبراهيم ، المثقفون الجزائريون في عمالة وهران خلال الحقبة الكولونيالية الأولى (1850م-1912م) ، دار الأديب وهران (2006م)

الرسائل و الأطروحات الجامعية :

1 -بن حامد عبد القادر ، مكتبات المساجد في حواضر شمال الغرب الجزائري و أثرها الثقافي ، رسالة ماجستير ، جامعة تلمسان ، قسم الفنون الشعبية ، (2008م).

2 -بوكفة يوسف ، مدرسة مازونة الفقهية ، النهضة و السقوط ،رسالة ماجستير ، جامعة وهران ، قسم علم الاجتماع ، (2002م) .

3 -حاجي نور الدين ، المكتبات، مراحل تطورها و دورها الثقافي ، رسالة ماجستير ، جامعة تلمسان ، قسم الثقافة الشعبية (2001م-2002م) .

4 -صحبي حسن ، تاريخ التربية و التعليم بالجزائر في العهد الاستعماري ، رسالة ماجستير ، جامعة وهران ، معهد علم النفس (1995م-1996م).

5 -محمد بوشقيف ، العلوم الدينية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي ،9هـ/15م ، رسالة ماجستير ، جامعة وهران ، قسم التاريخ ، (2004م) .

6 -ميلود ميسوم ، مدرسة مازونة "دراسة تاريخية فنية"،رسالة ماجستير ، جامعة تلمسان ، قسم الثقافة الشعبية (2002م-2003م)

المقـــــــــالات:

1 - الصالح فركوس ، الباي محمد الكبير و بعث الحركة الثقافية ببايلك الغرب الجزائري ، مقال بمجلة الثقافة ، العدد 71سبتمبر- أكتوبر 1982م.

2 - المهدي البوعبدلي ، وثائق أصلية عن حياة الأمير عبد القادر الثقافية ، مقال بمجلة الثقافة ، العدد 75، ماي – جوان 1983م.

3 - المهدي البوعبدلي ، جوانب من ماضي وهران الثقافي عبر العصور ، مقالة بمجلة الثقافة ، العدد 89 سبتمبر- أكتوبر 1985م.

4 - ألفريد بيل (Alfred bel) ، ترجمة عائشة خمار ، مقال بمجلة الثقافة بمناسبة مرور نصف قرن على وفاة العلامة ابن أبي شنب ، العدد 53 سبتمبر- أكتوبر 1979م.

5 - بشار قويدر ، تاريخ الجزائر و المستشرقون الفرنسيون (دراسة بيبليوغرافية)، مقال بمجلة التاريخ العدد رقم 25، المركز الوطني للدراسات التاريخية 1983م

6 - عبد المجيد مزيان ، عواقب التعايش بين ثقافة الغالب و ثقافة المغلوب ، مقال بمجلة الثقافة ، العدد 71، سبتمبر – أكتوبر ،1982م

7 - عبد الكريم عوفي ، جهود الجزائر في فهرسة المخطوطات العربية ، مقال بمجلة الثقافة ، العدد 117،118،1999م، المقال عبارة عن محاضرة ألقيت في ملتقى المخطوطات في أدرار يوم 14-05-1998م.

8 - سعد الله ، أبو القاسم ، من رسائل محمد ابن أبي شنب إلى محمد كرد علي ، مقال بمجلة الثقافة ، العدد 53 سبتمبر – أكتوبر 1979م.

9 - مولاي بلحميسي ، دور مازونة في الحركة العلمية و الثقافية ، مجلة العصر العدد 11 ، أكتوبر 1997م.

10 - محمود بوعياد ، المكتبة العربية ، لماذا ؟ و كيف؟ مقال بمجلة الثقافة العدد 89 سبتمبر – أكتوبر 1985م.

المراجع باللغة الفرنسية

1- Arab abdelhamid, Manuscrits et Bibliothèques musulmanes en Algérie, (B.N.A) Alger 2006.
2- Arab abdelhamid, la lecture publique en Algérie durant la période coloniale 1830-1962, (O.P.U), alger, 2004.
3- Arab abdelhamid, Bibliothèque nationale d'Algérie, création et développement des origines à la veille de l'indépendance, (B.N.A), Alger, 2004.
4- Ageron charles-robert, histoire de l'Algérie contemporaine (1830-1979), Edition P.U.F, 7ème éditions, paris 1980
5- Belhmissi moulay, histoire de mazouna, des origines à nos jours, Edition Sned, Alger 1982.
6- Julien Charles André, histoire de l'Algérie contemporaine, Tome 1 : la conquête et les débuts de la colonisation (1827-1871), P.U.F, Paris, 1979.
7- Jacques Berque, les arabes, sindbad, paris, 1979.
8- Lachref Mostefa – l'Algérie : < Nation et société >, 2ème Edition, sned, Alger, 1978.
9- Laroui Abdellah, l'histoire du Maghreb ; Tome 2, Edition Maspero, Paris, 1976.

10- Stora Benjamin, Algérie, Histoire contemporaine 1830-1988, Edition Casbah, Alger 2004.
11- Yvonne Turin, Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, (Ecoles-Médecines-Religions), 1830-1880, Edit. Houma, Alger 2003.
12- Yacono Xavier, Histoire de l'Algérie de la fin de la régence Turque à l'insurrection de 1945, Edit. l'atlanthrope, Paris 1993.

الفهـــــــــــــرس

الفصـــل التمهيـــــدي

المراكز التعليمية و المكتبات و أهميتها في المحافظة على التراث الفكري الجزائري قبل 1830م

الفصـــــل الأول

مكتبـــات المساجـــــد و الزوايـــا بالقطـــاع الوهرانـــــي خلال القـــــــرن 19

الفصـل الثانـــــــــي

مكتبات القطاع الوهراني من خلال واقع المطالعة العمومية و جهود الجزائريين في طبع و نشر التراث الفكري الجزائري (1900م-1954م)

الـمـلخـــص

خـلاصـــة عــامـــة لـمذكـــرة الـبحـث الـمـــوســـوم ب :
الـمكـتـبـــات الـجـــزائـريـــة فــي الـقطـــاع الـوهـرانـــي
خـــلال الـفـتـــرة " 1830م – 1954م –

باسم الله الرحمان الرحيم و الصلاة و السلام على سيدنا محمد صلى الله عليه و اله و سلم، أما بعد.
بداية أتوجه بخالص الشكر و الامتنان للسادة الأساتذة، أعضاء لجنة المناقشة الموقرة، رئيسا و أعضاءا و مشرفا على قبولهم تقييم و تقويم هذه المذكرة، حيث منحوني من وقتهم الكثير رغم انشغالاتهم.
الشكر الجزيل كذلك للأساتذة المحترمين الذين سهروا على تكويني مدة سنتين تحضيرتين و هم السادة :
أ. دغازي الشمري، و أ.د بوشيخي شيخ، أ.د خليفي عبد القادر، أ. د مهديد إبراهيم و الأستاذة الدكتورة مقرنطة بختة. كما لا يفوتني أن أشكر جزيل الشكر كل من ساعدني من قريب أو من بعيد و كذلك الشكر الموصول لكل من شرفنا بالحضور اليوم أساتذة و أهل و أصدقاء و طلبة.
أقول و بالله العون،

1. لقد ظهرت بالجزائر بوادر التدوين و التأليف و نسخ و جمع المخطوطات و الكتب منذ القديم، فكان الاهتمام بشراء الكتب و نسخها و جمعها في الخزانات و المكتبات، و ينطبق هذا مثلا على تلمسان عاصمة الدولة الزيانية (1236م-1557م) التي اشتهرت مساجدها و زواياها بخزانات و مكتبات احتوت على مجموعة هامة من المخطوطات مثلها مثل مكتبات مساجد و زوايا كل من مازونة، معسكر، وهران، قسنطينة، بجاية، الجزائر، تيهرت و كذلك بزوايا و مساجد الجنوب الجزائري، الواسع، الغنية بمخطوطات ثمينة جدا.
- إن خزانات و مكتبات الجزائر استمرت في العطاء بفضل حرص العلماء الجزائريين و محافظتهم عليها، و كذلك بفضل مكانة المخطوطات و الكتب في نفوس الجزائريين و مدى اعتزازهم و احترامهم لها إلى درجة التقديس، و هذا خلال كل العصور التاريخية(القرون القديمة، الوسطى أو الحديثة أو المعاصرة) و هو نفس التقديس الذي عثرنا عليه في الفترتين التاريخيتين الزيانية و العثمانية و كذا خلال فترة الاستعمار الاستيطاني الفرنسي.
2. لقد ابتليت الجزائر بظاهرة الاستعمار الاستيطاني الفرنسي المدمر و الذي دخلها رسميا ذات يوم من 1830/07/05م و الذي طبق سياسة شاملة هدفها إخضاع الجزائر و إلى الأبد، مستعملا كل الوسائل من عنف و همجية و إبادة و مصادرة لأراضي و أملاك الجزائريين و أوقافهم و أحباسهم و مقدساتهم و خاصة منها الجوامع و المساجد و الزوايا و الكتاتيب القرآنية التي كانت هي الحامي و المحافظ على مرجعية و هوية المجتمع الجزائري، و كان الهدف هو القضاء النهائي على مقومات الشخصية الجزائرية الأمازيغية، العربية و الإسلامية، فحلت اللغة الفرنسية محل اللغتين الامازيغية و العربية، و حوصر الدين الإسلامي في أضيق نطاق إذ حولت المراكز التعليمية و التربوية من مساجد و زوايا إلى كنائس و ثكنات و إسطبلات و الأخطر من ذلك هو تعرض خزانات المخطوطات و الكتب للنهب و الإتلاف مثل ما وقع لخزانة الباي بقسنطينة و خزانة الباي محمد الكبير بوهران و خزانة الأمير عبد القادر بزاوية القيطنة أو خلال الهجوم على زمالته سنة 1844، و ما وقع لخزانات و مكتبات مساجد و زوايا العاصمة، تلمسان، معسكر و غيرها كثير.

3. بعد احتلال الجزائر مباشرة، شرع عدد من المستشرقين و الضباط المثقفين و هواة جمع المخطوطات الفرنسيين بعملية الاتصال بالمساجد و الزوايا و بعض العائلات الجزائرية، فجمعوا من هناك ما تحتوي عليها خزاناتها و مكتباتها و كتبوا حولها دراسات و مقالات و مؤلفات و أعدوا لبعضها فهارس و قوائم لمحتوياتها، و لم

يكن المثقف الجزائري بمعزل عن تلك الحركة العلمية الاستشراقية مع بداية القرن (20م) مثل الباحث المزدوج اللغة، الأستاذ محمد ابن شنب الذي قام بفهرسة مخطوطات أكبر مساجد مدينة الجزائر، فهرسة علمية دقيقة سنة 1908م.

- ان تلك الحركة العلمية الاستشراقية رغم أهدافها الاستعمارية الواضحة، فإنها تعد رائدة بالنسبة لفهرسة تراثنا الفكري المخزن بخزانات و مكتبات مساجدنا و زوايانا، و لذلك، كان لابد من الإشارة إليها حيث أنها كانت النواة الأولى لظهور دراسات علمية أكاديمية حول مخطوطات و كتب خزانات و مكتبات المساجد و الزوايا من حيث الجمع و التوصيف و التصنيف و الفهرسة و الترجمة إلى الفرنسية و إنشاء لمكتبات عصرية أشرف عليها علماء متخصصين هم المكتبيين(**Les bibliothécaires**)

و نذكر منهم :

- بيربروجر (Berbrugger) - روني باسي (René Basset)
- البارون دوسلان (Baron de salane) - موتيلانسكي (Motylinski)
- ليفي بروفانسال (Levi provençal) - أوكيست كور (August cour)
- ادمون فانيان Edmond fagnan)

و غيرهم كثير.

إضافة إلى المجلات و الدوريات التي اهتمت بكل ما هو تراث فكري من مخطوطات و كتب عربية إسلامية امازيغية.

مثل:

المجلة الأسيوية بفرنسا 1822م (Revue asiatique).

المجلة الإفريقية بالجزائر 1851م (Revue africaine).

حوليات معهد الدراسات الشرقية بجامعة الجزائر 1934.

و غيرها.

4.لا بد من توضيح بعض المصطلحات الواردة في عنوان و متن هذا البحث الموسوم ب "المكتبات الجزائرية في القطاع الوهراني".

* **<u>المكتبات</u>**: قصدنا بها خزانات المخطوطات و الكتب، فقبل دخول الاستعمار الفرنسي للجزائر، كان المصطلح المستعمل أكثر هو خزانات الكتب سواء العامة الموجودة بالجوامع و المساجد و الزوايا أو الخاصة التي كانت تمتلكها بعض العائلات الجزائرية في بيوتها، لكن بعد 1830م، أصبح مصطلح المكتبة Bibliothèque هو المستعمل أكثر، خاصة بعد إنشاء ما تسميه فرنسا بالمكتبة الوطنية بمدينة الجزائر ابتدءا من سنة 1835م و تطورها و توسعها بعد ذلك.

* **<u>الجزائرية</u>**: قصدنا بها تلك الخزانات و المكتبات التي كانت موجودة على أرض الجزائر سواءا تلك التي كانت بالمساجد و الزوايا أو لدى بعض الأسر الجزائرية، أو تلك التي أنشأتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر من مكتبات جامعية بلدية، مدرسية، عسكرية و غيرها.

5. لقد حدد البحث فضاءه المكاني، فكان الغرب الجزائري أنموذجا لكي تسهل عملية البحث و الاستقراء ليس إلا، لان الاستعمار الفرنسي لم يفرق بين جهات الجزائر إلا لخدمة مصالحه و نشر النعرات و العصبيات بين الأقاليم تطبيقا للمقولة الشهيرة " فرق تسد"، و أخيرا، كان اختيارنا لمنطقة الغرب الجزائري نابعا كذلك من كثرة عواصمه العلمية مثل تلمسان، مازونة، معسكر، بطيوة و غيرها من العواصم التي لعبت دورا أساسيا في التاريخ الثقافي بالقطاع الوهراني.

6. تنحصر فترة هذه الدراسة ما بين 1830-1954م و هي عموما فترة طويلة جدا لكن اتسمت بالحضور المميز للمراكز التربوية و التعليمية و الدينية و مكتباتها و علمائها و شيوخها خلال كل مراحل المقاومة الجزائرية الشعبية السياسية و المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي الاستيطاني منذ 1830م و إلى غاية الاستقلال، و هي فترة وجد فيها الشعب الجزائري نفسه يقاوم على عدة جبهات:

*** جبهة الاستعمار المتمثلة في الغزو العسكري.**

*** جبهة التبشير المتمثلة في الغزو الصليبي.**

***جبهة الاستيطان المتمثلة في مصادرة الأراضي الجزائرية**

*** جبهة الاستشراق المتمثلة في الغزو الثقافي** و هي الجبهة الأخطر لأن الاستشراق كان هو البوصلة التي تتحكم و تنظر و توجه الاستعمار الفرنسي، ففرنسا أثناء احتلالها للجزائر لم تكن تراهن فقط على جيوشها بل راهنت على مستشرفيها حيث كانوا في طليعة الحملات العسكرية، كما وضح ذلك المفكر جاك بيرك قائلا:

"الاستشراق هو الجناح الفكري للتوسع الاستعماري، فغياب احدهما عن الأخر هو بداية تصدع في جدارهما".

- **لاحظنا** بأن هناك تقصيرا فيما يتعلق بالبحث العلمي الدقيق حول التراث الفكري الجزائري المخطوط منه أو المطبوع، لذلك اخترت هذا الموضوع كمدخل للتعريف بواقع خزانات و مكتبات المساجد و الزوايا بالقطاع الوهراني.

7. لاحظنا من خلال هذا البحث المتواضع، الدور الهام الذي لعبته المراكز التربوية و التعليمية من مساجد و جوامع و زوايا في المحافظة على التراث الفكري الجزائري خاصة، و العربي الإسلامي عامة، و مدى تأثيرها في مجتمع الغرب الجزائري ثقافيا، فكريا، سياسيا و اجتماعيا.

8. لم نتمكن من إحصاء و جرد لكل مكتبات و خزانات مساجد و زوايا القطاع الوهراني، فهي كثيرة العدد حيث كان لا يخلو مسجد أو جامع أو زاوية من خزانات للمخطوطات و الكتب ليس فقط في المدن المذكورة سابقا بل حتى في الأرياف و في خيام البدو الرحل بالإضافة إلى ما وقع لتلك المكتبات من إتلاف لمحتوياتها خلال الحروب أو الثورات الشعبية التي عرفتها المنطقة أيام الزيانيين أو في العهد العثماني أو خلال العهد الاستعماري الفرنسي، ثم هجرة عدد من علماء الغرب الجزائري نحو بلدان عربية عديدة(المغرب، تونس، سوريا و غيرها.....)، نتيجة تعرضهم للاضطهاد و المطاردة و ما حملوه معهم من المخطوطات و الكتب التي كانت أغلى ما عندهم، ثم كان هناك نصب و سرقة و نقل نحو مكتبات أوروبا خاصة نحو فرنسا ،اسبانيا ،ألمانيا ..و غيرها.

-**ركزنا** في بحثنا هذا على بعض مكتبات و مساجد و زوايا كل من تلمسان، مازونة، ثم مكتبة الشيخ المهدي البوعبدلي ببطيوة من خلال مراسلاته مع الدكتور أبو القاسم سعد الله ثم توقفنا عند مكتبة الأمير عبد القادر و ركزنا على مدى الاهتمام العميق للأمير بكل ما هو كتاب و مكتبات، كما أننا لم نغفل الأهمية السياسية الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية لتلك المساجد و الزوايا الجزائرية .

9.استقينا بعض مواد البحث خاصة الأساسية منها من مصادر جزائرية و أجنبية كي نتجنب الأحكام السطحية عملا بالقول المأثور: "إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها"، و لقد أثرينا البحث بجداول مستقاة من مصادرها تبين اسم المكتبة و عدد مخطوطاتها و كتبها و مواضيعها و مؤلفيها أو ناسخيها .

-لذلك كله جاء البحث موسوم ب:

"المكتبات الجزائرية بالقطاع الوهراني ما بين 1830-1954 م "

محددا إشكالية بالتساؤلات الآتية:

* بما تميز واقع المخطوطات و الكتب و المكتبات الجزائرية عموما قبل 1830؟

*ما هو الدور الذي لعبته المراكز التربوية و التعليمية خاصة المساجد و الزوايا في المحافظة على المخطوطات و الكتب الدينية و العلمية قبل و بعد 1830 ؟

*ما موقف الإدارة الاستعمارية الفرنسية اتجاه كل ما هو تراث فكري جزائري مخزن في مكتبات المساجد و الزوايا بالقطاع الوهراني ؟

*ما مصير المكتبات العربية الإسلامية خاصة يعد إنشاء الإدارة الاستعمارية الفرنسية لمكتبات متنوعة في الجزائر

*كيف كان واقع المطالعة العمومية في الفترة ما بين 1900و 1954؟

*هل تمكنت فرنسا من خلق قطيعة بين الجزائر بين و تراثهم الفكري من مخطوطات و مؤلفات و مؤلفين ؟؟

10.للإجابة على هذه التساؤلات و غيرها جاء البحث في مدخل و فصل تمهيدي ثم فصلين أساسيين و خاتمة .

* **في المدخل** عرفنا بمنطقة الغرب الجزائري من حيث جغرافيتها و بيئتها الثقافية و الاجتماعية قبل و بعد 1830.

***خصصنا الفصل التمهيدي** للحديث عن أهم المراكز التربوية و التعليمية من مساجد و زوايا و أهميتها في المحافظة على التراث الفكري الجزائري قبل سنة 1830خاصة أواخر العهدين الزياني و العثماني .

* **في الفصل الأول**، عرضنا نماذج من خزانات الجامع الأعظم بتلمسان و مازونة و كذا نماذج من مكتبات الزوايا بالقطاع الوهراني خاصة مكتبة الزاوية العبدلية و مكتبة زاوية القيطنة أي زاوية الأمير عبد القادر ، ثم تعرضنا لموقف الاستعمار الفرنسي و اهتمام المستشرقين الفرنسيين بكل ما هو تراث فكري بمنطقة الغرب الجزائري و استحواذهم على ذلك التراث و إنشائهم لما يسمى بالمكتبة الوطنية بمدينة الجزائر سنة 1835 و مغامرات محافظ المكتبة أدريان بير برو جر (Adrien berbrugger) سنة 1836 الذي كان يرافق الحملات العسكرية الفرنسية و يجمع كل ما يجده من مخطوطات و كتب وخاصة الحملات نحو تلمسان و معسكر، و هو الذي تقابل مع الأمير عبد القادر سنة 1837 و أطلعه على عقود عائلة الأمير، الذي لم يكد يصدق ذلك .

* **خصصنا الفصل الثاني** و الأخير لسياسة فرنسا المتعلقة بتأسيس المكتبات في الجهة الغربية من الجزائر (جامعية ، بلدية ،عسكرية، و غيرها) ، ووضعية تلك المكتبات من حيث المطالعة العمومية و ذلك من خلال بعثات التفتيش المكونة من متخصصين في علم المكتبات و منهم :أدريان بير برو جر 1837 (Adrien ber brugger).

-ألفرد بال Alfred Bel.اسكير قابر بيل 1908 Esquer Gabriel.

-بيار شفرو P.Chevreux . 1911- بيارلولياقر 1949 . P.Lelièvre

-أوغست كور . August cour

-ثم المؤتمر الدولي حول المكتبات و المطالعة العمومية المنعقد بمدينة الجزائر 14-15-16 أبريل 1931.

تحت إشراف" **جمعية المكتبيين الفرنسيين" . « Association des bibliothécaires français »**

-و أخيرا، تطرقنا لمجهودات المثقفين الجزائريين المعربين المفرنسين على السواء من حيث طبع و نشر التراث الفكري الجزائري من خلال جداول و احصائيات تبين ذلك .

11.اعتمدنا لانجاز هذا العمل على حملة من المصادر و المراجع نذكر منها :

*بعض المصادر مثل "عجائب الأسفار و لطائف الأخبار لمحمد بن أحمد أبي راس الناصر، و كذا كتاب "تعريف الخلف برجال السلف" للحفناوي أبو القاسم ، ثم "تحفة الزائر في ماثر الأمير عبد القادر" للأمير محمد بن عبد القادر .

***دراسات متخصصة** وردت في مجلات جزائرية و فرنسية ،عبارة عن تقارير و مقالات لها علاقة بالمكتبات الجزائرية مثل مقالات محمد ابن شنب أو لويس أدريان بير بر جر Louis Adrien Berbrugger .

*بعض الصحف بالعربية و بالفرنسية مثل مجلة "الأصالة " ،"الشهاب" ثم "الثقافة" و كذا "صوت الأهالي " la voixdes indigènes صباح وهران « Oran matin » و المجلة الإفريقية La revue africaine

*مراجع عديدة منها خاصة موسوعة "تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور أبي القاسم سعد الله بكل أجزائه .

ثم رسائل جامعية أكاديمية خاصة موضوع رسالة الدكتوراه باللغة الفرنسية الموسومة :

« 1830-1962 » Manuscrits et Bibliothèques **musulmanes en Algérie " للأستاذ د.عراب عبد الحميد**

12. اعتمدنا في بحثنا هذا على منهجية قوامها التحليل المبسط بشرح المفاهيم الأساسية و عرض الحوادث و التطورات التاريخية مع الاستئناس بالتنويع بين عدد من المناهج و التي منها خاصة :

***المنهج التاريخي** حيث كان التحليل قائما على عرض الحوادث التاريخية وفق تسلسلها الكرونولوجي و الموضوعي تماشيا مع موضوع البحث .

***المنهج المقارن** حيث اعتمدنا فيه على المقارنة بين حالة و أوضاع المكتبات قبل و بعد 1830، ثم مقارنة بين نسبة اقبال المعمرين و الجزائر يبين على المطالعة العمومية بالمكتبات التي أنشاها الاستعمار .

***المنهج الإحصائي** حيث استفدنا من جداول و قوائم مخطوطات و كتب أهم مكتبات الغرب الجزائري و ما تحتويه من مؤلفات قبل و بعد 1830.

13. واجهتنا صعوبات جمة تنوعت ما بين المادية و العلمية :

أ. فالمادية تمثلت في شبه غياب لعدد من المصادر و الوثائق و المخطوطات و المؤلفات التاريخية نتيجة التخريب و التدمير و الحرق و السطو و الإتلاف الذي طال خزانات كتب المساجد و الزوايا و بالتالي ضاعت منا فرصة الاستفادة مما كان العلماء و الشيوخ يدونونه مثل الجرد اليومي للكتب و الطلبة و فهرسة كل ماله علاقة بالمكتبات من مخطوطات ووثائق و كتب ، إضافة إلى أن بعض العائلات لا تسمح لنا بالاطلاع على ما تحتفظ به مكتباتهم من مخطوطات ووثائق بدعوى أنها ملك عائلي .

ب. أما الصعوبات العلمية فتمثلت خاصة في صعوبة الترجمة من الفرنسية إلى العربية خاصة و أننا ركزنا على ما قام به المستشرقون الأجانب خاصة الفرنسيين من فهرسة لعدد من مخطوطات مكتبات المساجد و الزوايا حيث حشروا أنفسهم منذ البداية في كل ما هو تراث فكري و تاريخ ثقافي جزائري ، مع الكثير من التشويه لذلك التراث و تغيب الكثير منه نظرا لأهميته ،هذه الترجمة جعلت المعطيات الثقافية أحادية الجانب حيث أن الترجمة من الفرنسية إلى العربية في غالب الأحيان تؤدي إلى صعوبة الحصول على المعنى الحقيقي الذي يخدم البحث العلمي التاريخي و لا يبعدنا عن الأمانة العلمية لأصحابها في كتاباتهم الأصلية و رغم ذلك حاو لنا إقامة مقارنة بين المصادر و المراجع التاريخية العربية بنظيرتها الفرنسية ووضع ذلك في سياقه التاريخي بشكل موضوعي بعيدا عن نزعتنا الذاتية .

14.لقد انتهى بنا البحث إلى العبر و المعاني و النتائج الآتية :

*- شهدت الجزائر على مر الأزمان و تعاقب الأعصار ،حركة علمية زاخرة في كل مجالات العلوم و أنجبت عدد من الفقهاء و المفكرين الذين تركوا مؤلفات عديدة خزنت في كثير من الأحيان بعناية فائقة .

*- مدى مساهمة الجزائريين المتواصلة في استمرارية الثقافة الأمازيغية العربية الإسلامية و الإنسانية ،رغم ترويج الإدارة الاستعمارية الفرنسية لفكرة مفادها :"أن لم يكن للجزائريين ماض فكري ،ثقافي و علمي و لا مرجعية و لا هوية لهم قبل 1830."

*-تميز منطقة الغرب الجزائري بعدد علمائها و مكتبات و خزانات مساجدها و زواياها و أهميتها الناتجة عن تأثرها بما خلفه الأسلاف من تراث متنوع و غني.

*-الجهود التي بذلها المفكر و الباحث محمد ابن شنب و ضرورة التوقف عند أعماله بالعربية و بالفرنسية و التساؤلات حول موضوع الأصالة و الحداثة في فكره و فهم العقل العربي لمسألة المرجعية و ما موقع مؤلفات محمد ابن شنب من حركة النهضة في الجزائر و البلاد العربية و الإسلامية .

*-كل الوسائل كانت مشروعة بالنسبة للإدارة الاستعمارية الفرنسية من مراقبة و حجز و إتلاف و نهب مجموعة مخطوطات و كتب خزانات مساجد و زوايا القطاع الوهراني و الغرض كان هو تقليص دور و تأثير خزانات و مكتبات المساجد و الزوايا .

*-دور الاستشراق و المستشرقين الفرنسيين من حيث دراسة و تصنيف و فهرسة التراث الفكري الموجود بخزانات المساجد و الزوايا و الاستفادة منه ،و استعماله كسلاح أخر للسيطرة على الجزائر فكريا و ثقافيا و العمل على عزل المجتمع الجزائري عن تراثه الفكري .

*--إن علمية المستشرقين الغزيرة و كفاءاتهم العالية وظفوها في خدمة أوطانهم و حكوماتهم لتجسيد مصالحها السياسية الدينية، الثقافية ،الاقتصادية و المصيرية على حساب الشرق .

*-العلم تراث عالمي مشترك ،لكن الثقافة ملك خاص بكل مجتمع فهي عنصر تميز بين الأمم و الشعوب بل و حتى القبائل في مجتمع واحد تتميز عن بعضها البعض من حيث عاداتها و تقاليدها و لهجاتها و تراثها الشعبي ، لكن هذا التميز والاختلاف ليس معناه المخالفة للغير أو لفرضه على الأخر بل هو إضافة و غنى للتراث الثقافي الإنساني ، أي أن القصد من هذا التنوع هو التعرف على الأخر دون المس بالخصوصيات التي تميز ثقافة عن أخرى .

*-التراث الفكري الجزائري هو في أصله منفتح إذ سبق و أن تعامل مع فكر و ثقافات متنوعة ذات أصول غربية و شرقية كلها كانت وافدة علينا مثل ما وفد علينا فكر أولائك المستشرقين الفرنسيين، فما كان صالحا من فكرهم و أبحاثهم حول تراثنا الفكري المخزن في مكتباتنا بقي و استمر و ما هو غير ذلك ذهب جفاء، مصداقا لقوله تعالى في سورة الرعد الآية 17: **"فأما الزبد فيذهب جفاءا و أما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ".**

*-لقد خلد التاريخ مزايا ذلك التكوين الشعبي التقليدي البسيط من حيث وسائله ، إذ يكفي مكتبات مساجد و زوايا الجزائر فخرا ،أنها أنجبت من بين ما أنجبت ،شخصية علمية ،سياسية عسكرية ،عاشقة للكتاب ،المكتبات ،تمثلت في شخصية الأمير عبد القادر ابن مكتبة القيطنة .

*-إن التراث الفكري ،الأمازيغي العربي الأندلسي الإسلامي ملك لنا ، نتصرف فيه انتقاءا أو استغلالا و نقدا و تجديدا و لا نعامله معاملة الجاهلين و العجزة غير المجتهدين المعقدين بعقدة المحافظة المطلقة ، حيث كان تراثنا الفكري في وقته و زمانه إبداعا من مفكرينا و علمائنا و أدبائنا و حكمائنا و متصوفينا ، فلابد إذن من التمييز بين ما هو إنساني شمولي ، و ما هو خاص بحضارة ما و بين ما هو أبدي و ما هو ظرفي و بين ما هو متغير و ما هو ثابت .

*-إن واقعنا الثقافي اليوم يسير وفق فراغات في الذاكرة و التاريخ مما أدى إلى لاوعي بالذات و عليه حان الوقت للشروع في عملية تنقيب في التاريخ بصفة عامة و التاريخ الفكري و الثقافي بصفة خاصة و هذا ليس بدافع التمجيد بل لنعرف أخيرا من نحن و من أين أتينا لنعرف أين نتجه و هذا كخطوة أولى نحو إعادة الاعتبار للذات و الثقة الكاملة بالنفس

*-عبر التاريخ عرفت النخب الجزائرية مصيرا مأساويا بشكل مستمر فكانت دائما تبرز ظاهر هجرة النخب التي كثيرا ما كانت ضحية ذلك التلاعب بمصطلحي الحداثة والأصالة أو معرب أو مفرنس : و علماني و إسلامي و الأخطر من ذلك هو تلك الظاهرة التي تكررت عبر تاريخ حضارتنا العربية الإسلامية و هي ظاهرة تكفير التفكير أي الاجتهاد و المجتهدين فأضعنا الوقت الكثير في هذه النقاشات العقيمة و أهملنا البحث العلمي الأكاديمي الجاد فيما يتعلق بتراثنا الفكري أو تراث غيرنا .

15. و أخيرا حاول البحث الكشف عن بعض جوانب الموضوع ، حيث توصلنا إلى حقائق متواضعة جدا لا يمكن أن تضع حدا لتطور البحث العلمي في ميدان معقد له صلة بالتراث الفكري المخزن في مكتبات الجزائر و كيفية المحافظة عليه عبر التاريخ ،فما توصلنا إليه يعتبر نقطة في بحر لا حدود له ، فهي مجرد حقائق نسبية إلى أبعد الحدود خاصة و أن الموضوع له ارتباط وثيق بعلم جديد هو علم المكتبات « **Bibliothéconomie** »
من تصنيف و فهرسة و ترقيم ...الخ.
انه موضوع مليء بالثغرات العلمية، فالمأمول أن يجد أقلاما أهم منا تغوص في خبايا و أسرار تراثنا الفكري الغني و ذلك لتصحيح ما بدر منا من نقائص و سهو سواء من حيث الشكل أو المضمون أو حتى من حيث المنهجية.
موضوع بحثنا هذا ما هو إلا مدخل متواضع جدا لكن لنا أمال غير محدودة بأن الأجيال القادمة من الباحثين ستتناوله بعمق و بجدية أكثر مما قمنا به، و العلم لله.
-كل هذا تم بفضل الله تعالى أولا و بفضل الأستاذ المحترم المشرف **الدكتور.شيخ بوشيخي** الذي لم يدخر جهدا في التوجيه و التصويب و شحذ الهمة و الحث على الصبر و المثابرة طيلة إشرافه على المذكرة فجزاه الله خيرا .
كما أجدد شكري الجزيل و امتناني الوفير لأساتذتنا الكرام المحترمين الذين تجشموا عناء القراءة و التصويب و التوجيه فجزاهم الله عن ذلك خيرا و زاده في ميزان حسناتهم.

و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته .

عنــوان الــرســالـــة

الـمكتبــات الـجـزائـريـــة فـــي الـقطــاع الـوهـرانـــي
خــلال الـفتــرة : 1830- 1954

الـكلمــات الـمفتــاحيـــة :

*** المخطوطات * المكتبات * المساجد * الزوايا * المستشرقين * التأليف * الفهرسة * الاستنساخ * الطباعة * الأرشيف * القراء * المكتبيين * المطالعة العمومية.**

ملخص الرسالة :

لقد ظهرت بوادر التدوين و التأليف و نسخ و جمع المخطوطات و الكتب منذ القديم بالجزائر، فكان الاهتمام بشراء الكتب و نسخها و جمعها في الخزانات و المكتبات، و ينطبق هذا مثلا على مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية (1236م-1557م)، و على مدينة معسكر أواخر الدولة العثمانية خاصة في عهد الباي محمد الكبير(1779م- 1796م)، و في كل جهات التراب الجزائري.
لقد احتلت المخطوطات و الكتب و المكتبات مكانة في نفوس الجزائريين إلى درجة التقديس و هذا ما عثرنا عليه أواخر العهدين الزياني و العثماني.
بعد احتلال فرنسا للجزائر (5جويلية 1830م)، شرع عدد من المستشرقين الفرنسيين في عملية الاتصال بالمساجد و الزوايا، فجمعوا ما تحتوي عليه خزاناتها من مخطوطات و كتب و وثائق و ألفوا حولها دراسات و مقالات و أعدوا لعدد منها فهارس و قوائم ، و كان ذلك تحت إشراف علماء متخصصين هم المكتبيين (**les bibliothécaires**) الذين لعبوا دورا أساسيا خاصة سنة 1835م عندما أنشأت الإدارة الاستعمارية الفرنسية ما يسمى بالمكتبة الوطنية بمدينة الجزائر.
عموما، شهدت الفترة ما بين 1830م و 1954م بالجزائر، أنواع من المكتبات:

- مكتبات المساجد و الزوايا و الكتاتيب القرآنية و بعض المكتبات التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- مكتبات بلدية جامعية عسكرية أنشأتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية.

ملخص

لقد ظهرت بوادر التدوين و التأليف و نسخ و جمع المخطوطات و الكتب منذ القديم بالجزائر، فكان الاهتمام بشراء الكتب و نسخها و جمعها في الخزانات و المكتبات، و ينطبق هذا مثلا على مدينة تلمسان عاصمة الدولة الزيانية (1236م-1557م)، و على مدينة معسكر أواخر الدولة العثمانية خاصة في عهد الباي محمد الكبير(1779م- 1796م)، و في كل جهات التراب الجزائري.

لقد احتلت المخطوطات و الكتب و المكتبات مكانة في نفوس الجزائريين إلى درجة التقديس و هذا ما عثرنا عليه أواخر العهدين الزياني و العثماني.

بعد احتلال فرنسا للجزائر (5جويلية 1830م)، شرع عدد من المستشرقين الفرنسيين في عملية الاتصال بالمساجد و الزوايا، فجمعوا ما تحتوي عليه خزاناتها من مخطوطات و كتب و وثائق و ألفوا حولها دراسات و مقالات و أعدوا لعدد منها فهارس و قوائم ، و كان ذلك تحت إشراف علماء متخصصين هم المكتبيين (**les bibliothécaires**) الذين لعبوا دورا أساسيا خاصة سنة 1835م عندما أنشأت الإدارة الاستعمارية الفرنسية ما يسمى بالمكتبة الوطنية بمدينة الجزائر.

عموما، شهدت الفترة ما بين 1830م و 1954م بالجزائر، أنواع من المكتبات:

- مكتبات المساجد و الزوايا و الكتاتيب القرآنية و بعض المكتبات التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- مكتبات بلدية جامعية عسكرية أنشأتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية.
-

الكلمـات المفتـاحيـة :

المخطوطات؛ المكتبات؛ المساجد؛ الزوايا؛ المستشرقين؛ التأليف؛ الفهرسة؛ الاستنساخ؛ الطباعة؛ الأرشيف؛ القراء؛ المكتبيين؛ المطالعة العمومية.